في السجن والغربة

مذكرات

د. جمعة أحمد عتيقة



ما قبل المقدمة

حينما كتبت هذه المذكرات سنة 2007 أثناء تواجدي خارج ليبيا - كُتب الفصل الأخير سنة 2010... لم أكن أتوقع أن تنشر في حياتي، فالظلام كان حالكا وخيوط الأمل تتبدد مع مضي العمر وقد أوصيت أولادي بنشرها حينما ينقشع الظلام ويغمر ليبيا ضياء الحرية. ... غير أنَّ الله قد منّ عليّ بأن أشهد لحظة الانتصار العظيم وانكسار جحافل الطغيان والتخلف والجريمة وها أنذا أقدمها للقارئ كما كتبت حينها.

فلله الحمد والمنة

طرابلس في 11 - 09 - 2011

شكر واجب

لا يفوتني هنا أن أشكر كل أصدقائي (النوعيين) الذين شجعوني على كتابة هذه المذكرات وكذلك شقيقي (علي) وابنتي (ريما) وزوجها (أبوبكرغزالة) وابني (غسان)..الذين قاموا بالطباعة والنسخ لهذه المذكرات واحتفظوا بها في مكان آمن.

كما أشكر زميلتي: الأستاذة (ليلى الطرابلسي) و (صفاء الخمسي) المحاميتين والشاعرة (حواء القمودي) اللائي قمن بمراجعة هذه المذكرات في صياغتها النهائية .. وسكرتيرتي (ميساء السوكني) التي قامت بالطباعة النهائية ...

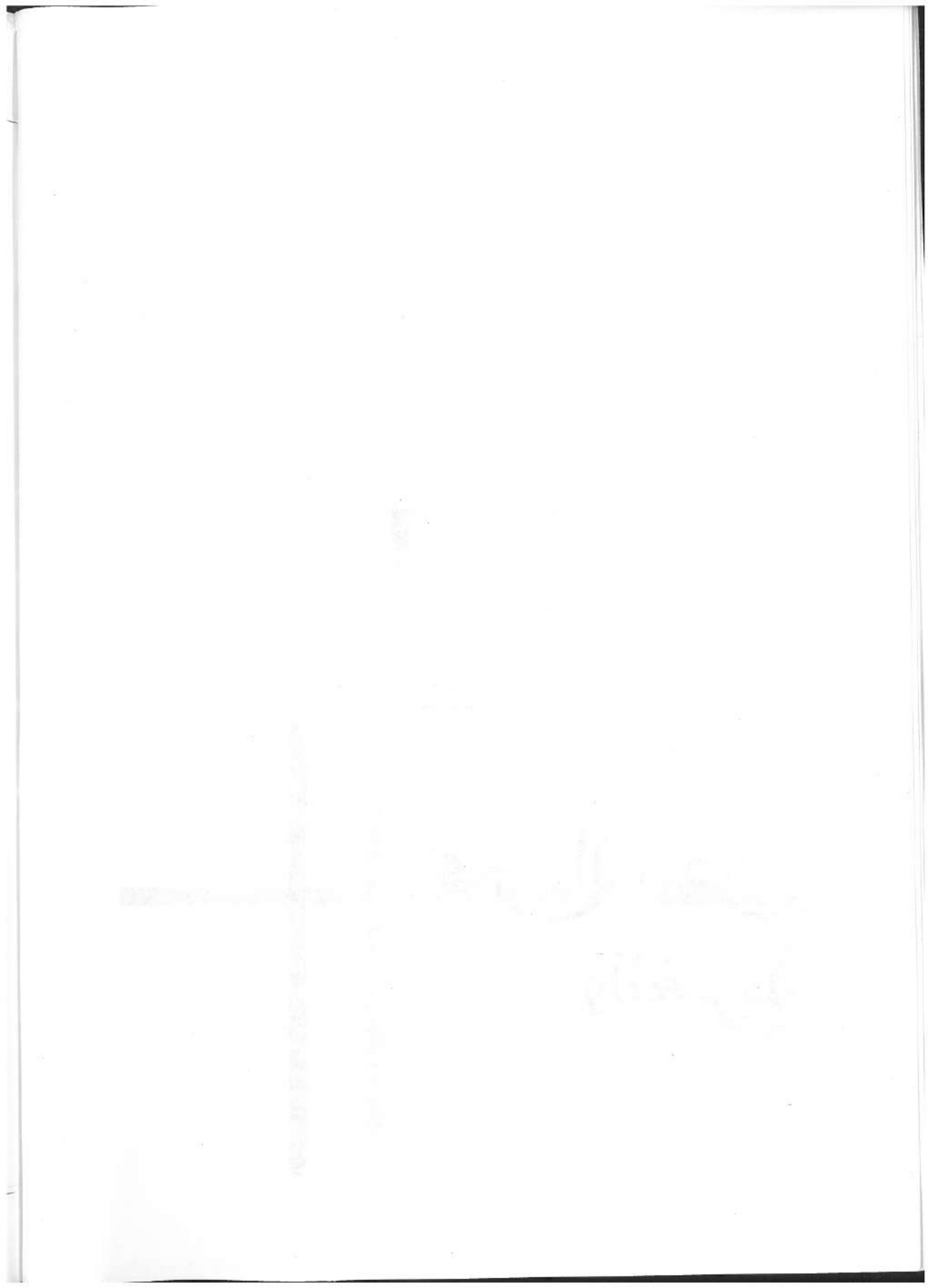
لهؤلاء جميعاً تقديري .. فلولاهم لما قُدر لهذه المذكرات أن ترى النور ....

طرابلس في 21 - 09 - 2011

1

مذكرات

في السجن والغربة



في السجن و الغربة

مذكـرات

كلمـة

هذه صفحات من سجل العمر .. سلختها منه لاعتقادي بأن فيها ما يهم القارئ و يتعلق بالشأن العام... فأنا من الذين يرون بأن تسجيل الذكريات أو المذكرات التي تتناول السير الذاتية بتفاصيل دقيقة تشمل: المولد ... و النشأة و التكوين...إلخ.. هي أمور لا تخص سوى صاحبها .. باستثناء قلة معدودة تربعت على سيرة التاريخ و شغلت فيه مكاناً لا يُضاهى....رغم تقديري لوجهة النظر التي ترى في ذلك إطلالة على مرحلة ورصد لواقع وتسجيل لملامح تاريخية .. إلاّ أنني و قد عزمت على كتابة شيء مما أُختزن في الذاكرة و إشراك القارئ الكريم في ما قد ينطوي عليه ذلك من فائدة .. عبرة.... و رصد ..و ربما شيء من المتعة الجارحة، لكل ذلك فقد رأيت اقتصار هذه الذكريات على تجربتّي (السجن) و (الغربة) و هذا لا يعني أن صاحبها لم يعش تجارب أخرى في مجال العمل العام.. إلا أنني رأيت أن هاتين التجربتين تطلان على أفق و تلجان عوالم تشكل مزيجاً من (الاستثناء) و (القسوة) . فالأصل أن يعيش الإنسان في وطنه آمناً مستقراً يسعى في الأرض ليؤكد ذاته و يساهم في عمران ونهضة بلاده و ألا يكون اغترابه عنها إلا طواعية لتجارة أو دراسة أو سياحة أو سعي في مناكبها .. وأمامه باب الوطن مشرعاً بلا مواربة ... و حضنه مفتوحاً بمحبة و حنان .. الأصل أيضا أن يعيش حرا في وطنه لا تكبله القيود ولا تقيده الأغلال ... و من هنا جاء التركيز في هذه الذكريات على هاتين المحطتين ... دون إمكانية تحاشي الإشارة و التضمين لشذرات من التجارب الحياتية الأخرى التي مررت بها كلما اقتضى المقام ذلك.

و لا يفوتني التصريح هنا بأنني اعتمدت فيما سأرويه من ذكريات على الذاكرة و الذاكرة وحدها... و هي على ما فيها من ضعف و ما يعتريها من وهن مع مرور الزمن و تعاقب الليل و

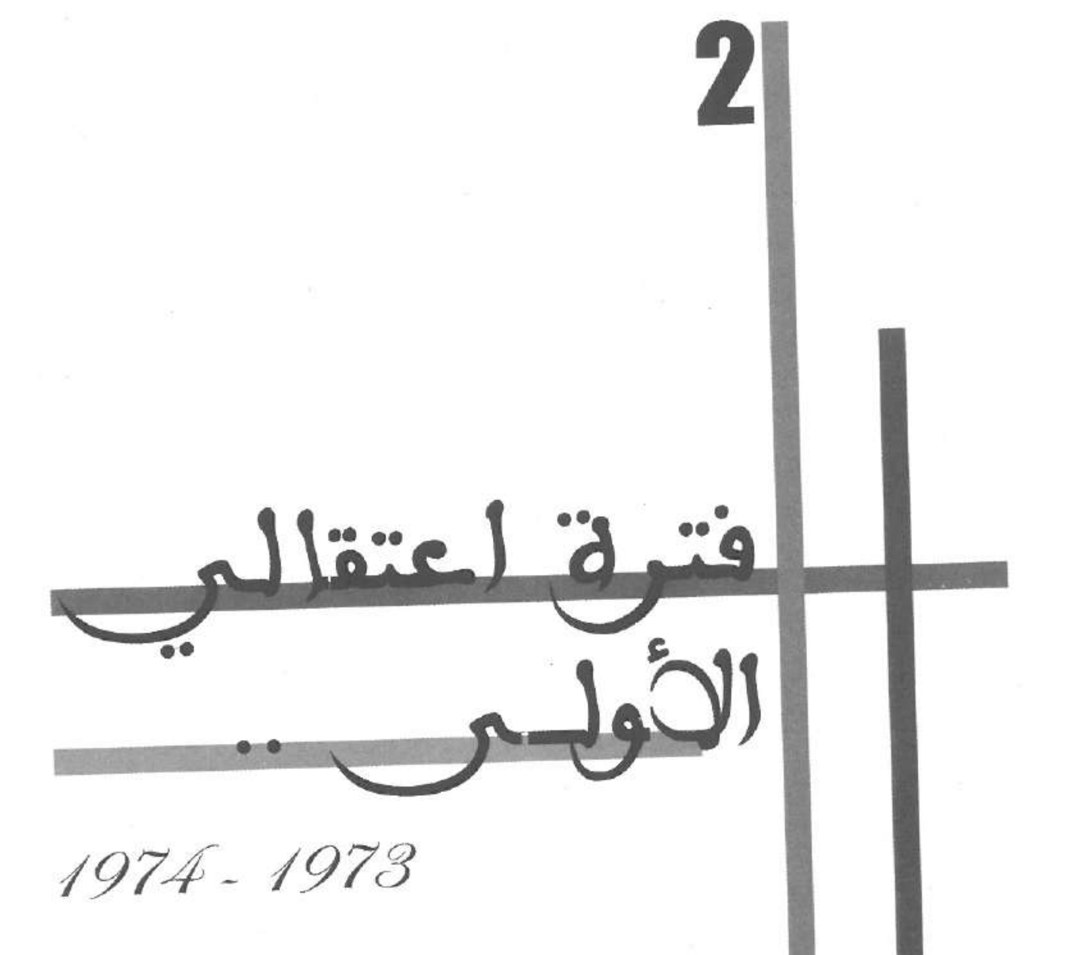
والنهار... فهي في تصوري المعين المعتمد في مثل هذا النوع من الكتابة .. الذي لا يشكل تسجيلاً تاريخياً للوقائع و ترتيباً للأحداث بدقة الراوية و انضباط المؤرخ بقدر ما هي جدلية بين ما حدث كوقائع حادثة و بين ثنايا الذاكرة كحاضنة و وعاء ... و التي تتشكل فيها كيفية التلقي و نوعيته ... درجة الوعي بما حدث ... القدرة على الاستيعاب و التفسير بما يدعم القدرة على التجاوز و الصمود... فأنا في هذه المذكرات لن أُعني بالضبط ... و الرصد ... و التوثيق و التسلسل ... و الجرح و التعديل ... كما أن ما تحويه من وقائع سردية لا تعبر سوى عن انعكاس لهذه الوقائع في ذاكرة كاتبها و انغماس أثرها و دلالاتها في وجدانه...

و إذا وصلنا إلى الإطار الزمني (الكرونوكي) الذي تشمله، فقد رأيت تقسيمها إلى أربعة أجزاء رئيسية تشمل:

1) فترة اعتقالي الأولى .... 1973 - 1974
2) فترة الغربة و الترحال... 1977 - 1988
3) فترة السجن الثانية .... 1990 - 1997
4) فترة الاعتقال الثالثة 2009

و كم أتمنى أن أكون بما قدمته قد أفصحت عن ما وقر في القلب و حاول العمل أن يصدقه ..... و أن أكون قد وفيت بعهد قطعته على نفسي مذ كنت في غياهب الجب... بأن أروي بعض ما حدث إسهاماً مني لكي يستعيد "التاريخ لسانه" الذي أخرسته جحافل الخوف و الترهيب .. و ألجمته أدوات البطش و التنكيل .. حتى كاد يقطع لتنقطع معه ذاكرة الوطن...

كما لا يفوتني أن أشكر كافة الذين دفعوني إلى كتابة هذه المذكرات و على رأسهم زوجتي التي قاسمتني مرارة ما بها من ألم و سعادة و ما حوته من إشراقات و آمال و محبة وكذلك أولادي الذين كان لهم من المعاناة (في الغربة التي ولد فيها أغلبهم) و أثناء فترة سجني الثانية والثالثة حينما تفتحت مداركهم على فجيعة غياب الأب ... كما أشكر أصدقائي الذين كانوا يرون في أهمية هذه المذكرات ما لم أكن أراه ... فها أنا أذعن لرغباتهم و دوافعهم النبيلة و أسجل ما قد ينفع الناس و يمكث في الأرض...


2
فترة اعتقالي الأولى ..
1974 - 1973

15

فترة الاعتقال الأولى....

1973 - 1974

هدوء ما قبل العاصفة

هدوء ما قبل العاصفة : كان المسرح الثقافي و الفكري في الجامعة الليبية_ حيث كنت أدرس بكلية الحقوق ــ زاخراً بتفاعلات و تدافعات خلاقة و كانت فترة ما قبل أبريل (1973) تشهد حراكاً ملفتاً و تفاعلاً إيجابياً ... فالمحاضرات .. و الندوات ... و أمسيات الشعر في مختلف الكليات كانت برنامجاً معتمداً على مدار العام الدراسي ... كانت ملامح التوجهات الفكرية للطلبة تطل و تعبر عن نفسها ضمن كتابات و مطبوعات .. و دوريات عديدة مما كان يعد بمستقبل مزدهر...

كنت أثناء فترة الدراسة مساهماً في هذا الجهد الثقافي بالكتابة في بعض المجلات التي تصدرها كليات الجامعة و عضواً في هيئة تحرير مجلة "العدالة" الخاصة بكلية الحقوق، و مشاركاً في الندوات العامة و محاضراً كلما سنحت الفرصة.... و لا زلت أذكر عنوان محاضرتين أثارتا قدراً كبيراً من الاهتمام و ردود الفعل و المناقشات . إحداهما «شبابنا بين الفكر المادي والديني» بمدرج رفيق بكلية الآداب .. و التي لاقت استحسانا من " أهل اليسار" و سخطاً من "أهل اليمين" وصل إلى حد اتهامي بالعداء للفكر الديني لحساب الفكر المادي و هو ما لم يخطر لي ببال وليس له نصيب من الحقيقة ... و أذكر أن أحد الأساتذة بكلية الآداب (لا أذكر اسمه) طلب الكلمة للتعقيب على المحاضرة ... و بدأ يقول : « المحاضر بالتأكيد ماركسي وهو يطرح أفكاره من هذا المنطلق ...» و أكمل تعليقه من هذا السياق دون أن يتعرض إلى ما ورد في المحاضرة من آراء و وجهات نظر ... و ما إن ختم تعليقه حتى انبرى له (محمود شمام) قائلاً بانفعال مشوب بالسخرية: " كان الأجدى بالأستاذ أن يقدم تقريراً سرياً للأمن... " و احتدم الجو و ارتفعت وتيرة الحوار و تباينت وجهات النظر غير أن الاتجاه الغالب كان مع حق

الاختلاف و حرية الرأي و التعبير و ضد التصنيف «المباحثي»...

كما أذكر مقالاً كتبته في جريدة الزمان التي كان يصدرها المرحوم عمر الأشهب و يديرها الشاب " آنذاك" رضا المكي و كان المقال بعنوان «أعمدة النكسة السبعة» و الذي قوبل بعاصفة عاطفية نظراً لانتقاده لسياسات و ممارسات النظام المصري آنذاك خاصة في مجال الديمقراطية و الحريات العامة مما يعد خروجاً على تابوات (التيار الناصري)...

و في مجلة قورينا كانت لنا أيام ... و كانت ندوتها السنوية التي تتناول قضية فكرية وسياسية ساخنة و جاذبة... اقتربت في أحيان كثيرة من نقد لتوجهات الحركة السياسية للنظام الجديد و تعريضاً بطابعه العسكري وصلت إلى حد رفع شعار (عودوا إلى ثكناتكم أيها العسكريون) علناً وما زالت ترد في سمعي كلمات المرحوم " فتح الله إنديشة" مدير الندوة بصوته الحاد المتوتر حينما يحتدم النقاش ((قال فولتير العظيم: أخالفك الرأي و لكنني أقدم عنقي في سبيل أن تقول رأيك...))، شاركت في إحدى الندوات رفقة الأستاذ أحمد الماقني .. و الدكتور نجيب الحصادي في طرح موضوع بعنوان " شبابنا و القلق" و كان محور الندوة يبرز قلقاً بدأ يلوح في الأفق...

كمـــا أذكر محاضرة في كلية الاقتصاد والتجـــارة بدعـــوة من لجنتها الثقافية التي كان يرأســـها المرحوم (عبد العزيز الغرابلي) الذي سيأتي ذكره في هذه الصفحات مراراً ... و كانت بعنوان "حديث حول الشخصية الليبية" و كان طبيعياً أن يثير موضوع هذه المحاضرة حفيظة تيار السلطة الذي كان مولعاً إلى حد الهوس بشعار الوحدة العربية و نبذ (الإقليمية والجهوية) و هو ما دفع (الرائد عبد السلام جلود) و كان آنذاك مسؤولا عن الاتحاد الاشتركي إلى أن يقول في اجتماع بأعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكي في الجامعة تالياً المحاضرة بأيام أن من يتكلم عن الشخصية الليبية «يجب أن تدوسوه بالأقدام !!» إذن بدأ أزيز العاصفة في الارتفاع !! كنت قد تخرجت فى الجامعة في أواخر 1972 و عينت وكيلاً للنيابة في بنغازي التي أحببتها و ارتبطت بها طالباً و لم أشأ أن أغادرها موظفاً ... و لم أنقطع عن الجامعة ومحيطها التي كنت لا أزال قريب عهد بها...

نذير العاصفة..

بدأت بعض الصحف في الأشهر الأولى لسنة 1973 تطالعنا ببعض المقالات التي تحوي

تضمينات و إشارات و تصريحات أحياناً بضرورة مواجهة .. التيارات الحزبية !!! .. الرجعيين. الطابور الخامس و غير ذلك من التوصيفات و النعوت التي تشي بأن وراء الأكمة ما وراءها... و كان أبرز هذه الكتابات مقال في جريدة (الفجر) كان عنوانه على ما أذكر "لنقذف القفاز في وجوههم" .. اطلعت على المقال .. و حملته إلى بعض الأصدقاء .. و بدأنا نقرأ منه ما قرأنا ونتوقع ما توقعناه... نذهب بعيداً في استبطان النوايا التي تكمن وراءه ... و نركن أحياناً أخرى إلى الكف عن المبالغة و السوداوية و اعتبار أن ذلك لا بد و أن بكون مزماراً من مزامير المزايدة (الثورية) التي بدأت نغماتها تزداد ارتفاعا. كان من أكثر الأصدقاء تشاؤماً (المرحوم عبد العزيز الغرابلي) .. فقد كان يرى أن هذا المقال تعميد لمرحلة جديدة من الإقصاء .. و الترهيب .. و العنف .. و قد أثبتت الأيام صدق نبوأته و توقعاته التي كنت أخالفه فيها..

حمص المولد .

لم يكد حمص المولد النبوي الشريف (أبريل 1973) ينضج و لم يكد الأطفال يتقاسمونه بعد.. حين ألقى العقيد(معمر القذافي) خطاباً في مدينة زوارة الذى تم الإعلان عنه بشكل مركز قبل موعده بأيام و إبراز أهميته (و تاريخيته) .. تميز الخطاب الذي تابعه الجميع عبر التليفزيون بحضور كافة أعضاء مجلس قيادة الثورة أنذاك و عدد كبير من الضباط الأحرار مما عزز لدى البعض شائعة سرت في البلد عن اعتزام العقيد القذافي إعلان استقالته (1) في هذا الخطاب .. مما جعل مؤشر التوقعات و الاحتمالات يزداد ارتفاعا...

حينما بدأ الخطاب كنت في بيت صديقي المرحوم عبد العزيز الغرابلي في شارع اللواحي و كنا قد فرغنا للتو من توديع مجموعة من الأصدقاء قدموا من الزاوية الغربية لزيارتنا في بنغازي منهم: عبد الرحمن الشرع .. و عبد المنعم البشتي .. و عبد الفتاح البشتي. شاركونا في أيام الزيارة التحليل و التوقع و الاستقراء لما هو قادم ... في جو من السخرية .. و الترقب.. و القلق...

و لم يكن يدري هؤلاء أن هذا (القادم) لن يمهلهم طويلاً بعد وصولهم ... و سيداهمهم بعاصفته التي قذفت بهم بين جدران صماء قائمة لمدة خمسة عشر عاماً ... و هو ما سيرد في قادم الحديث...

الخطاب :

قلت بأن الأصدقاء قد غادروا .. و جلسنا نحن للاستماع إلى الخطاب ... بدا العقيد القذافي منذ بداية الخطاب متوتراً مشحوناً منفعلاً.. مما أدار جواً من التوجس بيننا حملته نظراتنا المستفهمة و ابتساماتنا الموحية.. و حين وصل الخطاب إلى تحديد نقاطه الخمس:-

- إلغاء كافة القوانين المعمولة بها ؟!
- الثورة الإدارية.
- الثورة الثقافية.
- تطهير البلاد من المرضى و المنحرفين!!

تأكد بما لا شك فيه أن العاصفة قد هبت .. و فيما تلي الخطاب من نقاش أبديت استغرابا شديداً لمسألة إلغاء القوانين فبحكم تخصصي لا أعرف سابقة لهذا الإجراء في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الحديثة.. فحتى ما يعرف بإعلان حالة الطوارئ و الأحكام العرفية والانتقالية.. لا يتم فيها إلغاء القوانين و إنما إيقاف العمل بها مؤقتاً ... إذاً نحن أمام حالة غير مسبوقة ستنتج آثارها المدمرة ... افترقنا على أمل أن نلتقي ... و نحن لا ندري ما الذي تخبئه الساعات القادمة .. و لم يطل الانتظار...؟!

ليلة القبض و التغييب

رجعت إلى منزلي بشارع المهدوي .. وجدت زوجتي لا تقل عني قلقاً و توتراً و توجساً وحيرة... خاصة و أن التليفزيون قد بدأ في إذاعة الأناشيد الحماسية .. و ترديد الشعارات التي تتضمن وعيداً و تهديداً ... و نمت على أمل أن يجعل الله العواقب خيراً... و لم أكد أستغرق في النوم .. حتى دق جرس الباب بصورة متواصلة و الساعة تجاوزت الثانية صباحاً. أسرعت لفتح الباب بعد استفسار عن زائر الفجر الذي لم يقطع رنين الجرس ... فاجأني صوت أعرفه معرفة سطحية و قال لي ــ ((أنا عثمان الوزري)) ضابط المباحث والمعروف في الوسط الرياضي ببنغازي ... فتحت الباب و كان خلفه اثنان يرتديان الملابس المدنية ....:

صباح الخير يا عثمان

صباح الخير يا أستاذ...

لدينا أمر بالقبض عليك و تفتيش بيتك..

و لكنني يا عثمان كما تعلم وكيل نيابة يتمتع بحصانة قضائية

يبدو أنك لم تسمع خطاب زوارة..

فهمت الرسالة.. و أشرعت الباب....

دخلوا البيت .... وولجت غرفة النوم لأجد زوجتي مرعوبة .. مضطربة .. فطلبت منها التماسك و إعداد بعض الحاجيات الضرورية .. فلربما تطول الرحلة !! و خرجت (لعثمان وصحبه) و طلبت منه طلباً استجاب له (بما لا زلت أحفظه له) و هو تمكيني من إيصال زوجتي إلى بيت ابنة عمها في (شارع العقيب) ... و فعلاً قمت بذلك وحدي بما جعلني أطمئن قليلاً .. و حين عدت وجدتهم قد وضعوا مكتبتي كاملة على الأرض ... و هم في حيرة في طريقة حملها .. فأحضرت لهم « بطانية» وضعوا فيها كمية الكتب و شيعت معهم نعش الكتب إلى مثواه الأخير ...

كان مشهداً موحياً بالغ الدلالة على طبيعة الهجمة و مرادها و مراميها .. أسفل العمارة وجدنا سيارة أخرى بها أشخاص آخرون أحدهم يحمل بندقية بشكل ظاهر... و ركبت رفقة عثمان ((دون قيود و أغلال!!)) ... و تملكتني موجة سخرية و أنا أشاهد هذا الحشد الذي جاء للقبض على إنسان أعزل و قلت لعثمان ساخراً : «لو تركتموني حتى الصباح لقمت باحتلال الإذاعة و إعلان البيان الأول» لم يعلق عثمان و ربما شفعت معرفتي له دون ردة فعل منه .. في حين رمقني الشخص الآخر بنظرة مستريبة و قال متجهماً (شن قصدك!!) ولم أجبه ، وغير عثمان دفة الحديث وكذلك وجهة السيارة ليعمد إلى طريق (مركز الحدائق في الفويهات)..

الليلة الأولى .

تم التسليم و الاستلام في مركز الحدائق و أدخلت غرفة الحجز التي لم أجد فيها سوى شخص فلسطيني الجنسية و شخص آخر في حالة سكر ظاهر... علمت فيما بعد أن دفعة من المحتجزين قبلي قد تم نقلهم إلى سجن الكويفية في مساء اليوم السابق- لم يكن في الغرفة ما

يمكن أن يجعل للنوم سبيلاً ... فضلاً عن صخب و صياح صاحبنا الذي فتك به (باخوس) اللعين..

كانت إغفاءة الإرهاق و التوتر قد أخذت مني .. حينما فتح الشرطي الباب و طلب مني اصطحابه للخارج .. و قادني إلى غرفة رئيس المركز الذي رحب بي و أبدى أسفه مما حدث ويحدث (كان اسمه الرائد صلاح و تعرفت إليه من خلال عملي كوكيل للنيابة حيث كان مركز الحدائق من ضمن اختصاصي المكاني في تقسيم العمل.. أحضر لي إفطاراً و مكنني من الاتصال بزوجتي لأطمئنها .. و كان ذلك موقفاً شهماً سيكلفه كثيراً فيما بعد كما سيرد لاحقاً ... بعدها بقليل حضر ضابط من المباحث العامة كما كانت تسمى آنذاك و تم الاستلام والتسليم مرة أخرى .. اصطحبني الضابط إلى سيارة تنتظر خارجاً .. بآلية ميكانيكية وجدت نفسي جالساً بجانب شخصين في الخلف و اتخذ مرافقي مكاناً بجانب السائق ... كان الشخص الذي يجلس بجانبي يرتدي نظارة طبية و تبدو عليه علامات الوجاهة و الوقار صامتاً متجهماً مما أوحى لي بأنه ذاهب إلى نفس المصير في حين كان الشخص الآخر... متبرماً ساخطاً يبدي عدم رضاه و احتجاجه على اعتقاله و يتحدث عن القانون و تجاوزاته و حقوق الإنسان .. و كان يرمقني أثناء حديثه ببعض النظرات و يوجه الكلام لي أحياناً. ... لم يراودني الشك في أنه كان يرغب في استدراجي ضمن لعبة مباحثية معروفة (لجر الرجل) .. فلازمت الصمت المطبق بل أعرضت عنه إفشالاً لخطته .. و ابتعادا عما قد يورطني و أنا القادم على المجهول...

وقفت السيارة أمام سجن الكويفية التي كانت تبعد عن الطريق الساحلي نحو 500 متر قبل أن تصبح اليوم على حافته ... في تطور و توسع لا تخفى دلالاته ... نزلنا جميعاً و تم التسليم و الاستلام مرة ثالثة .. و حينما ولجنا البوابة الداخلية فوجئت بأن صاحبي الذي كنت أظنه يكيد لي يسير بجانبي محاذياً و يقودنا جندي نحو عنابر السجن حييته و سلمت عليه معرفاً بنفسي فقدم لي نفسه ((د.محمد المفتي)) ... عندها أيقنت أن بعض الظن إثم وأصبحت هذه الطرفة محل تندر و رواية كلما التقيت أخي محمد...

وراء الأسوار .

اقتادنا جنديان إلى القسم الذي يوجد فيه باقي المعتقلين .. كان الوقت منتصف النهار

وحال دخولنا قابلتنا عن بعد جلبة و ضوضاء و أصوات مختلطة سرعان ما عرفنا أنها ناتجة عن تواجد المعتقلين في الآرية الكبيرة و هي ساحة مستطيلة المساحة يخرج إليها المعتقلون في ساعات النهار .. و كان عناقاً و سلاماً حاراً من قبل الإخوة الذين تربطني بهم علاقة سابقة وأغلبهم طلبة في الجامعة .. منهم: فتح الله إنديشة .. و إبراهيم بدر .. و إبراهيم هويدي .. عبد العزيز الغرابلي .. و عبد الرؤوف الشرع .. ومحمد شعيب .. علي البوسيفي و لهم من الأقدمية في المكان يومان... و من هنا كان دورهم بارزاً في الاستقبال و الاهتمام بنا _ وانصرف د.المفتي إلى الالتحام و السلام و العناق مع مجموعته و جلهم من الجبل الأخضر: عبد العاطي خنفر..عبد الغني خنفر .. مبروك الزول .. عبد الجليل الزاهي .. محمد المنفي ... عمر المختار .. و غيرهم ...

حان وقت الغذاء و لم ندخل إلى أماكننا في العنبر فقام الإخوة (السابقون) بعزومتنا وإحضار صحون (المكرونة) إلينا ... في إشارة ترحيبية لمن التحق بالمركب !!!

جاء وقت الدخول إلى الآرية الصغيرة وهي فناء داخلي يتوسط ثلاثة عنابر كبيرة و حجرة صغيرة .. أتاح هذا الاقتراب بين الجموع فرصة للتعارف و تبادل الأسئلة .. و الاستكشاف .. لمحت الدكتور (عبد الرحمن بدوي) فهرعت للسلام عليه متردداً إلا أنه صافحني بود و حرارة و ابتسامٍ .. و هو ما لم يكن يعرفه في الخارج .. بل كان معروفاً بأنه لا يرد تحية من محبيه إطلاقاً (و فعلاً للسجن أحكام).. سلمت على الأستاذ محمد حمى الذي سبق لي معرفته في الخارج ... و كذلك الأستاذ (طالب الرويعي) النقابي المعروف ... و محمد الشلطامي الشاعر ذى الاسم المتوهج أنذاك و فيما بعد....

جاء الليل فوجدت نفسي في عنبر طرحت فيه قطع الفرش على الأرض و يضم قرابة الثلاثين شخصاً في مساحة عشرة أمتار طولاً في خمسة عرض.. و في مدخله دورة مياه ... اقتادني الإخوة السابقون إلى مساحة من الأرض العارية لأضع فراشي و بعض الأدوات الزهيدة التي زودت بها و هي لا تعدو صحناً بلاستيكياً و كوباً للماء..

يا ظلام السجن خيم

إننا نهوى الظلاما

ليس بعد الليل إلاّ

فجر صبح مستداما

هكذا وجدتني أستعين بمحفوظاتي .. و أستدعي عالماً طالما نسجته في خيالي حينما كنت أقرأ عن أدب السجون و تجارب المناضلين و كيف كانت أذهاننا الغضة تصور ذلك العالم بإعجاب شديد بأصحاب تلك التجارب يصل إلى حد التقديس .. بل و التمني أحياناً (أن ينعم الله) عليّ بنعمة السجن كما أنعم عليهم..!!!

ذلك ما كنت أفكر فيه دون مبالغة .. و ها أنذا أجد نفسي فيما حلمت به و تمنيته... فكان لابد من الاعتصام بهذه المعاني و مقابلة السجن بروح التحدي و الجلد و الاستعداد لقبول أسوأ النتائج .. تحلقنا في المساء حول الأستاذ محمد حمى الذي بدأ حديثاً عن تجربته السابقة في السجن في سنة 1961 ضمن مجموعة حزب البعث .. كان الرجل شخصية رائعة ودودة محببة .. متواضعة ..يتواصل معك و يدخل قلبك دون استئذان... كان صوته الجهوري يردد بيتاً (لخليل الحاوي) :

من ضفاف الشرق من مستنقع الشرق

إلى الشـــرق الجـديـــد

أضلعي امتدت لهم جسراً وطيد..

و كنت مشدوهاً .. منتشياً ... بمعنويات تكسر ألواح الأسمنت و تطاول عنان السماء... لم يجد النوم تلك الليلة إلى عيني سبيلاً... فبعد أن انفض السمر و حلقته .. تفرقنا إلى مجموعات صغيرة و أحياناً ثلاثية أو ثنائية ...و كان الحديث مساحة مفتوحة ...مسيجة بالقلق .. و السخرية .. و التوجس..

و في الصباح .. بدأت (يوميات الحزن المعتاد) و بدأ إيقاع الحياة اليومي في السجن برتابته و تكراره... و انعدام الجديد فيه....

الثـلاثة :

إن الأرواح جنوداً مجندة ما تقارب منها تآلف ..و ما تباعد عنها تنافر...

لا أدري كيف تطورت العلاقة بيننا : (مصطفى العالم).. و (عبد الحق الورفلي) .. سرعان ما صرنا ثلاثة لا نفترق .. مصطفى العالم كان محامياً و أحد قيادات حركة القوميين العرب خرج من السجن بعد سقوط النظام الملكي سنة 1969 ... و مارس مهنته مع بعض

الأنشطة الثقافية و الإعلامية من ضمنها: برنامج حاز شهرة و قبولاً كان اسمه (وجهاً لوجه) ... نوقشت فيه الكثير من القضايا الاجتماعية و السياسية في جرأة و صراحة .. و كان مصطفى العالم وجهاً حوارياً ناجحاً ... و عبد الحق كان موظفاً في مصرف ليبيا المركزي. لم يكن يعني بالشأن السياسي و لم يعرف له نشاط حزبي أو تنظيمي أو اتجاه فكري. كل ما أتى به إلى السجن بعض التعليقات و الانتقادات لما كان يجري. تأخذ شكل (النكتة) في أغلب الأحيان مما جعله هدفاً للتقارير الأمنية من قبل موظفين زملاء في المصرف فشملته الحملة فيمن شملت مع عدد آخر من الموظفين في المصرف منهم في ما أذكر. عبد الله الفاخري .. عوض الشعافي.. كان الخيط الخفي الذي جمع ثلاثتنا قد جعل منها حالة متميزة داخل السجن نتقاسم التعليقات عما يدور حولنا ... و نستعين على مرارة الأيام بالسخرية و التندر...

الأيام الأولى.

كان سجن الكويفية تحت إمرة الشرطة العادية و كان مديره آنذاك شخصاً دمثاً طيباً ... كثيراً ما يبدي أسفه لوجود هذه الكفاءات و العناصر الوطنية في سجنه دون مبرر ... و رغم تبعية السجن للشرطة كما ذكرنا إلاّ أن صاحب الكلمة الفصل (و كان عريفاً في الجيش اسمه جمعه المصري) أو هكذا قيل لنا .. كان فظاً... يجوس خلال جنبات السجن بقبعته العسكرية الحمراء مستفزاً و معلقاً .. و متحدياً و كنا نتجنبه .. و أحياناً نفوت عليه محاولات الاستفزاز والتحرش ... بإظهار بـرود و ردود أفعال هادئة..

في الفترة الأولى لم يسمح لنا بالاتصال بأهلنا أو إيصال الحاجيات و الملابس و غيرها ولم يتم تزويدنا بأجهزة الراديو و التليفزيون..مما سبب لنا ضيقاً و كان مصدر أخبارنا عما يجري هو المعتقلون الجدد الذين كان يؤتى بهم بصورة متكررة .. علمنا منهم أن الحملة قد شملت كل أرجاء ليبيا و أن معتقلي المناطق الغربية تم وضعهم (في الحصان الأسود) وباستعراض الأسماء التي تم اعتقالها أدركنا بأن الحملة لم توفر أحدا فكل من تشتم منه رائحة الانتماء العقائدي .. أو له صلة ولو ضئيلة بالعمل السياسي و الثقافي .. أو ممن أبدوا اعتراضا و نقداً للقادمين الجدد قد تم الزج بهم في السجن.

الزيــارة .

في الأسبوع الثالث استيقظنا على جلبة و فتح للأبواب و نداء من الحراس بالخروج (للآرية) الداخلية .. فخرجنا ننفض غشاوة النوم ... و نغالب النعاس ... فتم إخبارنا بأنه سيسمح لأهلنا بزيارتنا لمرة واحدة في الأسبوع تبدأ اليوم... و أن قوائم المزارين سوف تتلى علينا لاحقاً حسب أولوية التسجيل من قبل الزائرين...غمرتنا فرحة كبيرة فقد كنا في شوق لمعرفة أحوال الذين تركناهم وراءنا و الاطلاع على ظروفهم ... و أخذنا في إعداد قوائم الطلبات و ما أكثرها في السجن...

جاء دوري .. و تم النداء على اسمي .. فخرجت في اتجاه البوابة الرئيسية .. و تم إدخالنا لغرفة صغيرة قريبة من البوابة معدة للزيارة .. و جدت والدتي بصحبة شقيقي علي و زوجتي ووالدها ... كان عناقاً و فرحة و تأثراً بالغاً خاصة من قبل الوالدة ... تبادلنا أحاديث مقتضبة .. و أعلن الحارس انتهاء الزيارة و استلمت ما حمله أهلي من حاجيات وودعتهم لأعود إلى غيابات السجن ... هكذا أستمر يوم الزيارة الأول الذي كان له بالغ الأثر في رفع معنوياتنا و عزز من قدراتنا على مواجهة هذا الواقع المؤلم و زاد من ذلك أن إدارة السجن قد زودتنا بجهاز تليفزيون .. اتفقنا على أن نضعه في عنبر (جماعة الجبل الأخضر) لكبر مساحته.. واستعداد قاطنيه لاستضافة من يرغب في المشاهدة و ما أكثرهم في ظل الفراغ و الخواء الذي يكتسي تجربة السجن... من خلال التليفزيون أدركنا درجة الحمى و التوتر في الخارج .. وأدركنا أيضاً أننا مستهدفون ربما ليس لأشخاصنا أو ما نمثله من خطورة على النظام و لكن بسبب سياسة العسكريين في الضرب الاستباقي و اعتماد الرعب و التخوين نهجاً لحماية النظام و كان لابد من أكباش للفداء... كانت الأغاني الثورية الجديدة تتخذ مادتها من إدانتنا و نعتنا بنعوت الخيانة و الرجعية و الإقليمية .... و تحريض الناس ضدنا و كانت المسلسلات الدرامية ..تصورنا في مواقع التجسس و العمالة للاستعمار .. أو الاستغلال و العداء للطبقات (الكادحة) رغم أن الكثيرين معتقلين باتهام يتعلق بقناعاتهم الاشتراكية المنحازة للكادحين . إذاً فنحن في فوهة مدفع العسف و التنكيل و التشويه و الإدانة لتحقيق أغراض حددها النظام العسكري الجديد، وينوي تنفيذها و لنكن نحن وقود المحرقة . تكررت الزيارات الأسبوعية مما

أتاح لنا وفرة في (التموين) و شيء من البذخ ! إضافة إلى التموين الذي كان يصرف لنا وكان معقولاً إلى حد كبير و من ضمنه (10) سجائر يومياً . كثيراً ما يتنازل عنها غير المدخنين لأولئك الذين تستعبدهم هذه العادة اللعينة و كنت أبرزهم.و قد ساهمت الزيارات و طلب السجائر من أهلنا في تخفيف الأزمة .. و المفارقة الغريبة أنها دفعت البعض إلى ترك التدخين و منهم صديقي عبد الحق الورفلي...

زيارة الخروبي .

بعد مرور شهر من مكوثنا في السجن .. فوجئنا أثناء فترة توزيع الغذاء بأبواب الآرية تفتح و دخول عضو مجلس قيادة الثورة (مصطفى الخروبي) وسط حشد من الحراس و رجال الشرطة، كنت أجلس على الأرض أتناول الغذاء و بقرب الدكتور محمد المفتي و آخرين .. وكان أن بادر الخروبي المفتي الذي كان يعرفه معرفة جيدة " ريت الدنيا يا مفتي .. أمس و أنت مدير شؤون الصحة في البيضاء واليوم إنك في السجن" لم تمكّن المفاجأة المفتي من الرد .. وسرعان ما تحلق حول الخروبي مجاميع المساجين و كان أكثرهم مزاحمة و رغبة في التواصل معه مجموعة من إخوتنا الفلسطينيين تجاوز عددهم الخمسين جلبوا على أساس أنهم أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و يقومون بالتدريس في مدرسة العويلية الزراعية و قد تم جلبهم جميعاً بالجملة و معهم مدير المعهد الليبي (عبد الفتاح صيرة) و الذي سنعود إليه فيما سيلي..

بعد كثرة المتزاحمين أمر الخروبي بالسماح للمساجين بالخروج للآرية الكبيرة فتدافع الجمع خارجاً .. وقف الخروبي شابكاً يديه إلى صدره موغلاً في تعليقاته الساخرة و بدأ الجمع في الحديث الذي قادته المجموعة الفلسطينية في احتجاجات أقرب إلى المناشدة و الاستجداء وطلب المغفرة !!! كذلك نفر قليل ممن تم اقتيادهم إلى السجن و هم يحسبون أنهم جزء من النظام الجديد و يعملون في أجهزته و مؤسساته (الاتحاد الاشتراكي) كانوا يزايدون في إظهار الولاء... و الاستغراب في أن تشملهم حملة (تطهير البلاد من المرضى) في حين أنهم أصحاء موالون...!!!

كان الخروبي قد سمح لبعض من كبار السن بالوقوف إلى جانبه في حين أمر الآخرين

بالجلوس ... و حينما خرجت من باب الآرية الصغيرة كانت المجموعة قبالتي و لم أتجه نحوهم مما لفت انتباهه ..فصاح منادياً "أنت يا تحفة!! تعال هنا" فاتجهت إليه .. حيث بادرني "خيرك مش معدل ؟؟" فأجبته بتلقائية سريعة.. "أنتم منذ خمس سنوات تتحدثون و نحن نستمع .. فالآن أعطني خمس دقائق أتحدث فيها و أنت تسمع " فانتفض و اعتبر ذلك إهانة له.. و عبر عن استيائه مما قلت و أيدته مجموعة الفلسطينيين و نفر آخر ... و تبرؤوا مما قلت ورجوه ألا يحسب ذلك عليهم .. واصل حديثه الذي لا يعدو كونه تكراراً لما تتداوله وسائل الإعلام عن الحزبية .. و العمالة و الثورة المعطاءة ... ووجه الحديث إلى الدكتور البدوي قائلاً " يا دكتور بدوي .. ريت حتى أنت في السجن نقول لك يا دكتور .. نحن نحترم العلم !!!" غالب الجميع ضحكة مكتومة ملؤها عجائب هذا الزمان الرديء .. و استمر حديثه للدكتور الذي لم يخرج عن الإطار السابق و لم يرد عليه د. بدوي... بعدها فجأة وجه الحديث لي بعد أن أنبأه بعض الحاضرين عن اسمي... "يا عتيقة شن تبي تقول " ... فأجبته "أنا لا أستطيع أن أفهم قيامكم باعتقالنا بهذا الشكل المخالف للقانون .. ثم مجيئك لتحاضر علينا بما لا يفيد .. " انفعل بشدة و قال " ليش ما جابوش واحد ثاني من الشارع" ... فقلت " أنا لا أطلب منك إطلاق سراحي و لكن معاملتي وفقاً للإجراءات القانونية الصحيحة و تقديمي للمحاكمة إذا توافر ما يستدعي ذلك " ... زاد غضبه و احتقن وجهه.. مما جعل المجموعة إياها تتدخل لإدانتي و التنصل مما قلت و بأنه لا يعبر عنهم .. فهم يطلبون الرحمة و العفو و إطلاق سراحهم ... و زاد الصخب و المزايدة فما كان منه إلا أن وجه الحديث إلى ضابط الشرطة الذي كان بقربه .. مشيراً نحوي .. خذ حاجياته و أرسلوه إلى معسكر البركة ... اصطحبني الضابط و اثنان من الحراس إلى داخل العنبر حيث أخذت متعلقاتي البسيطة ...و تسلل في الأثناء بعض الإخوة الذين حرصوا على تزويدي بما لديهم من بعض المعلبات و علب السجائر كزاد لمواجهة القادم هناك حيث إن معسكر البركة قد سبقت شهرته كمكان للتنكيل و التعذيب و التأديب .... خرجت صحبة الحرس بما أحمله ... و ما إن اتجهنا خارجين حتى سمعت صوته ينادي ... "رجعه..رجعه" علمت بعدها أن المرحوم الأستاذ حمي و المرحوم طالب الرويعي قد طلبا منه الصفح عني و اغتفار تهوري و اعتبار حداثة سني ... رجعت ...و سرعان ما انفض المولد ... و ذهب الرجل و عدنا إلى الاستقراء و الاستنتاج و التعليق و التندر و محاولة قراءة الأسباب الكامنة وراء الزيارة ... والتي كانت تتجه في معظمها على أنها تؤشر للانفراج الذي سيليه

الإفراج القريب و تلك هي عادة السجين الذي يطوع كل ما يحدث حوله و يوجهه نحو بوابة الخروج من السجن...

قضينا تلك الليلة و لا حديث لنا إلا عن هذه الزيارة ...

و في الصباح...

استيقظنا على فتح الأبواب التي ظننا أنها للخروج (للآرية) إلا أن وقع الأقدام و جلبة الحرس نبهت المستيقظين و أيقظت النوام....و سرعان ما فتح باب العنبر و دخل الحرس يتقدمهم ضابط يرتدي زي الانضباط العسكري .. فاتجهت الأنظار نحوي في توقع لم يقع... حيث أمرنا الضابط بالخروج للساحة للتصوير الجماعي ... و كان من بين المجموعة التي دخلت الغرفة شخص يحمل كاميرا تصوير تليفزيونية محمولة ... و أعطانا مهلة قصيرة للاستعداد ... انقسم الرأي ... هل نقبل التصوير الجماعي ... و الذي ربما سيستخدم كخلفية تصاحب بعض أغاني السحق و المحق التي تذاع في التليفزيون ... أو تستخدم لأغراض تسيء إلينا و سرعان ما رفضت الأغلبية الخروج.... و عندما علم الضابط بامتناعنا عاد للعنبر غاضباً ... فأبلغناه بأننا لا نمانع في تصويرنا داخل العنبر و الذي يمثل الوضع الحقيقي الذي نعيشه أما في (الآرية) فلا .... اعتبر ذلك تحدياً و غادر بعد أن أقفل علينا باب العنبر ملوحاً بتهديد ووعيد قادم...

زيارة مفتاح رشيد :

بعد الظهر سمعت من ينادي باسمي و بعد أن طرقنا على باب العنبر ، دخل أحد الحراس (جمعة المصري) و اصطحبني في اتجاه مبنى إدارة السجن .... و أدخلني على ضابط يجلس بعجرفة ظاهرة على أحد المكاتب في لباس مدني و إلى جانبه ضابط آخر يرتدي لباساً عسكرياً بقبعة حمراء ... و كان أول ما فعله أن قدم لي اسمه (مفتاح رشيد) كان هذا الاسم قد اشتهر بممارسة التعذيب و التنكيل بالسجناء الذين اتهموا فيما عرف (بقضية فزان) و قضية (أحمد الزبير) و كذلك قضية الأستاذين الراحلين (عبد المولى دغمان و أحمد بورحيل) ... لا أنكر

أن قدراً من الرهبة قد خالجني .. إلا أنه سرعان ما تبدد أمام طلبه القهوة لي و أعطاني سيجارة التي أعقبها سؤال لماذا أنت أحد المعترضين بشدة على التصوير ... فأعدت عليه ما ذكرته لزائر الصباح .. بل إن استماعه و عدم مقاطعته لي قد شجعني على أن أمضي قدماً في احتجاجي على أسلوب الاعتقال و عدم قانونيته ... و انتهاكه لحرمة المساكن و مخالفته لحقوق الإنسان .. و تركني الرجل أكمل دون مقاطعة أو تعليق ... ثم أمر بانصرافي... أثناء عودتي التقيت الأستاذ مصطفى العالم قادماً بصحبة الحرس و كان هو أحد الذين قادوا الاعتراض على التصوير..

فور وصولي العنبر أمرني الحارس بأخذ فراشي و متعلقاتي و أن أتبعه ... ففعلت معتقداً أن أمر الأمس سيتم تنفيذه ... و أننا متجهون لمعسكر البركة.. غير أنه اتجه نحو الجهة الداخلية للسجن و تحديداً قسم الزنازين .... فتح باباً و أقفل آخر ... حتى وصلنا إلى القسم ... فأدخلني الزنزانة التي كانت مساحتها لا تتعدى مترين في مترين فألقيت حاجياتي على الأرض الإسمنتية و أقفل باب الزنزانة .. بدأت استطلاعا سريعاً للمكان ، الذي كان يتكون من صفين متقابلين من الزنازين. واجهتها الأمامية تتكون من أسياخ حديدية أفقية هي التي تفصلها عن الممر مما يجعلها مكشوفة تماماً أمام الحراس. ولم تكن بها دورة مياه وتعلوها كوة صغيرة قرب السقف...

جلست على الفراش الذي لم أطرحه أرضاً بعد... و بدأت تداعيات و محاولات تفسير ما حدث و لم يقطع هذا الاسترسال سوى فتح جديد للباب الحديدي الخارجي و سماع وقع أقدام...أطل بعدها د. محمد المفتي.. يحمل فراشه و أشياءه وصوت (شبشبه) يمسح الأرض مسحاً ... ابتسمت و ابتسم و ألقى به في الزنزانة المجاورة .. لم نكد نتبادل ما تبادلناه من كلمات مقتضبة متوجسة ... حتى فتح الباب مرة أخرى فصرنا نتوقع و ننتظر القادم الجديد الذي كان الدكتور رافع التاجوري ... يتقدم الحرس في خطوات يعتريها عرج لا يكاد يبين ... وضع التاجوري في الزنزانة المجاورة للمفتي و أقفل الحراس الباب .... ساد صمت ثقيل ...كنا ننتظر قادماً جديداً و لكن لا أحد... يبدو أن هذه هي العينة التي تم اختيارها لتكون عبرة للآخرين ...؟!

في الزنـزانة .

بدأنا حياتنا في الزنزانة ... وسط تضييق كامل ... لم يكن يسمح بفتح الأبواب إلا للخروج للحمام و الذي حدد بثلاث مرات في اليوم... و قد أتاحت لنا أسياخ الحديد المفتوحة أن نتبادل الحديث .... الذي كان متراوحاً بين المزيد من التعارف بيننا ...رواية بعض ذكرياتنا وتجاربنا .. و كان صاحباي أكبر سناً و أغنى تجربة خاصة في الحياة في أوروبا ، فقد عاش المفتي في بريطانيا و التاجوري في سويسرا واستوعبا ثنايا و خبايا هذه المجتمعات حتى أن كليهما مقترن بمواطنتين من البلدين اللذين أمضيا فيهما سنوات من الدراسة و العمل ... و هو ما أتاح لي الإلمام بما لم أكن أعرفه ... كما أن اهتمامات المفتي بالشأن السياسي و تحليلاته المعمقة في شؤون الفكر و ذهنيته المستنيرة و المتأثرة باليسار الأوروبي الذي كان لا يزال مزدهراً تلك الأيام قد جعلتني أتفتح على أنماط من التفكير و التحليل و الاستقراء استفدت منها كثيراً ... (رافع التاجوري) كان شخصية ظريفة ممتعة متميز في تخصصه الطبي (طب الأطفال) مما أكسبه شهرة واسعة في بنغازي إلا أن اهتماماته السياسية كانت محدودة ... و شهرته الطبية هذه جعلتني و إياه موضع انتقاد حاد و عقوبة تأديبية تعرض لها اثنان من ضباط الشرطة أحدهما (رئيس مركز شرطة الحدائق) الذي أشرت إليه و الثاني هو مدير السجن ...أما كيف حدث ذلك... ففي لقاء موسع لوزير الداخلية و عضو مجلس قيادة الثورة الخويلدي الحميدي تعرض بالاسم لهذين الضابطين ... متهماً إياهما بالتعاطف و التعاون مع أعداء الشعب فالأول كما ذكر حرفياً ساعد أحد هؤلاء على الاتصال الهاتفي أثناء حجزه .. و الثاني استعان بطبيب في السجن للكشف على أطفاله ... و الحقيقة أنه في الأيام الأولى لاعتقالنا ... تم استدعاء الدكتور رافع للإدارة و كان اليوم (جمعة) طلب منه مدير السجن الكشف على أطفاله نظراً لشهرته التي أشرت إليها...و لكن العيون التي ترصد و القبضات التي تحكم جعلت مما فعله هذان الضابطان مؤامرة تستوجب العقاب ... و كنا نستمع إلى لقاء وزير الداخلية بعدها بيومين في التليفزيون ....

الزيارة من الزنزانة .

جاء موعد الزيارة الأسبوعية ... استيقظت مبكراً و الخشية تراودني بأن أمنع من الزيارة

بسبب عزلي في الزنازين و مر الوقت بطيئاً رتيباً ثقيلاً ... كلما مرّ زاد الانقباض و القلق و التوتر ... إلى أن جاء الحرس ليصطحبني للزيارة . كنت قد أمضيت أسبوعاً في الزنازين و حينما دخلت على أسرتي لاحظ شقيقي الأكبر شحوباً يعتريني ... فسألني عن صحتي .. فحمدت الله و لم أشأ إخبارهم بما أنا فيه .. اطمئننتُ على أحوالهم و اطمأنوا ... تمنيت على والدتي عدم الحضور خاصة و أن إقامتها الاعتيادية في طرابلس ، لكنها لم تلب طلبي فيما بعد... تزودت بما أحضروه من حاجيات ..كان أثمنها كتاب (موسوعة الجهاد في ليبيا) للأستاذ خليفة التليسي و بعض الكتب و المجلات الأخرى ... و التي كانت فرحتي بها كبيرة كأنيس في ضيق الحجز.. و تغول الفراغ ...

عدنا بعد أن زار رفيقيّ ذووهم .. لتلفنا رتابة الزمن المقيم في الزنزانة...قلت بأنه لم يكن يسمح لنا بالخروج بتاتاً بموجب أوامر مشددة من (المشرف العسكري جمعة المصري) الذي وضع إعلاناً بتوقيعه ألصق على الباب الداخلي لممر الزنازين و نصه فيما أذكر « يمنع منعاً باتاً فتح زنازين السياسيين» و علقنا على ذلك بحمد الله أن التقيد لم يكن حرفياً من قبل الحراس بالإعلان و إلا لقضينا داخل هذه الأسياخ الحديدية....غير أن الشدة و الضيق مهما اشتدا فلا بد أن يجعل الله منه مخرجاً ، كان نظام الحراسة في الكويفية يعتمد طريقة (التوكات) أي أن ثلاث مجموعات تتبادل الحراسة يومياً بواقع ثمان ساعات يومياً يتم تداولها بين الصباح والمساء و الليل دورياً على مدار الأيام ... و كان رئيس أحد التوكات اسمه (عمر الشويهدي) و كان رفيقه يسمى (محمد القذافي) كان الرجلان يحملان في أعماقهما حساً إنسانياً و شهامة ... و شجاعة أيضاً .. فحينما يأتي دورهما في الفترة الليلية..وبعد أن تهدأ حركة السجن ويهجع ضابط الخفر... يفتح الشويهدي لنا أبواب الزنازين و يسمع لنا بالخروج بل ويشركنا في شرب الشاي الذي كانا يعدانه .. مع قطع من الخبز الطري... كنا ننتظر فترتهما الليلية بصبر و ترقب ..و الغريب أنهما كانا أثناء فترة حراستهما النهارية يظهران قسوة و شدة و صرامة في معاملتنا لسبب لا يخفى....

كرت الأيام و مرت و نحن في ضيق الحجز و لا أمل يلوح في الأفق .. سمح لنا بالتزود بجهاز راديو صغير و كان ذلك فرجاً كبيراً مكننا من متابعة ما يجري خارج الأسوار ... و لم يكن إلا مزيد من الغوغائية و الشعاراية ... و الاستقطاب ... و التجييش و التحريض ضدنا ... تابعنا

العبث الذي تعرضت له المؤسسات و الجهات الإدارية تطبيقاً لما سمي (الثورة الشعبية) و أدركنا أن هذه بداية الانهيار و الانتكاسة و التردي و لا أدري لماذا خطر بذهني أبيات للشاعر الليبي الشهير (حسين الحلافي) ....

عمري عليه الوطن ما ننهاكن
سيلن عليه إن كان ضاق أو عاكن ؟؟

إلى أن يختمها:

في وطنكن يحسن الله عزاكن

زوار الترانزيت .

لا جديد في حياتنا بالزنازين ... سوى قدوم بعض السجناء الذين يرتكبون مخالفات في عنابر السجناء بالسجن الجنائي ... ليتم معاقبتهم بإيداعهم فترة قصيرة لا تتجاوز يومين أو ثلاثة ... كنوع من التأديب ... كان مجيء هؤلاء يسبب لنا الكثير من الإزعاجات في البداية بما يثيرونه من جلبة و ما يتبادلونه من ألفاظ نابية سوقية خاصة و أن معظمهم يكون في حالة سكر جراء احتساء ما يقومون بتخميره و إعداده لهذا الغرض ... إلا أننا تعودّنا على ذلك مما جعلنا نتأقلم و نحاول أن نمد معهم وشائج علاقة إنسانية خاصة بعد أن يستيقظوا من النشوة اللعينة ... لنملأ معهم فراغ الوقت ... بتبادل النكات و سماع الطرائف .. و أحياناً بالغناء الشعبي الذي كان يجيده أغلبهم و يتقنه ... و ما إن يبدأ شيء من الألفة حتى يغادرونا ليأتي غيرهم بعد أيام ... و هكذا دواليك !! .. أحضر هناك ذات مرة شخصية شهيرة في بنغازي يدعى (جقرم) كان ملاكماً في شبابه ثم انحرفت به الحياة أو انحرف بها إلى حياة السكر والعربدة و شذوذ السلوك ... بقي معنا ثلاثة أيام في الزنزانة ... تواصلنا معه و ناكشناه بسؤاله عن ماضيه فحكى لنا باعتزاز كيف أنه تعلم الملاكمة في السودان و أنه تمكن من الانتصار فيها و إحراز بطولات كثيرة أكثرها حضوراً في ذاكرته انتصاره على (ملاكم في الجيش البريطاني) في أواخر الأربعينيات (أيام الإدارة البريطانية) و كيف كانت فرحة مشجعيه بهذا الانتصار لأسباب لا تخفى....

جريمة عين الغزالة

قبل أيام قليلة صار الحرس يحضر لنا بشكل يومي أعداداً من الصحف المحلية ... التي رأينا فيها وسيلة لملء الفراغ الموحش الذي كان يلفنا ... دون النظر إلى الغرض الدافع من إحضارها .. و هو إطلاعنا على مجريات ووقائع «الثورة الشعبية» و التي كانت لا تخلو من التعرض لنا و إبراز كيف انتصرت الثورة على أعدائها (وتطهير البلاد منّا) طالعنا بألم و أسف ما كان يحدث للجهاز الإداري و حالة الفوضى و التدمير و التحريض على تقويض كل ما يمت إلى المؤسسات الإدارية في الدولة ... و تجييش الغوغاء و العوام و تشجيعهم على أن يحلوا محل من كانوا يمثلون (البيروقراطية المتعفنة!!) و كانت صورة أحد مدراء المؤسسات الزراعية و هو مقيد على جذع شجرة و الوثاق يشد يديه و قدميه... معروضاً في عين الشمس تحيط به ثلة من هؤلاء الرعاع أشد الصور إيلاماً ...و أذكر أنني شهدت في عيني محمد المفتي التماعاً لدموع تحجرت...

في إحدى هذه الجرائد طالعنا تفاصيل جريمة بشعة ارتكبت في منطقة (عين الغزالة) في الجبل الأخضر نجم عنها إبادة أسرة تتكون من أب وزوجته وزوجة ابنه .. كانت الوقائع تنذر بانفلات أمني يصاحب الانفلات الإداري وغياب القانون .. وهو ما سيستفحل مع قادم الأيام فالسلسلة واحدة والعطب في أي حلقة من حلقاتها سوف يؤدي الى انفراطها وتحللها ...

خضنا تعليقاً مسهباً حول الجريمة التي كانت نادرة في تلك الأيام ... واسترجع المفتي ذكرياته في تلك المناطق أيام كان يشتغل مدير الشؤون الصحية في الجبل الأخضر كان حريصاً على أن يزور الناس ويتنقل بين النجوع محاولا نشر الوعي الصحي وتوفير الخدمات .. ثم انصرفنا إلى شؤوننا واستغرقنا زمن الرتابة والملل ... وبعد أيام قليلة وكان الوقت عصرا ... فتح الباب الخارجي .. وسمعنا صراخا تحت ضرب موجع .. استمر فترة طويلة .. وهو أمر لم نألفه من قبل .. نقلت لرفيقي بشيء من السخرية الممزوجة (يبدو أن اللعب تغير) !! أدخل الأشخاص القادمون إلى الناحية الأخرى من الزنزانات .... وسط لعنات وسباب وركلات من الحرس .... ثم حضر حارس (اسمه جدولة) وهو رئيس (التوكة) ويبدو أنه جاء لإيضاح ما

حدث لنا ... فقبل أن نسأله قال (هؤلاء جماعة عين الغزالة .. تم استردادهم من مصر بعد هروبهم إليها) حمدنا الله أن العدالة والقصاص سوف يأخذ مجراه للاقتصاص لدماء الأبرياء المغدور بهم ... بعدها بأيام صار وضع هؤلاء يفوق وضعنا جودة .. حيث سمح لهم بتوزيع الوجبات علينا ... والتموين اليومي .. وكانوا يتجولون في الممرات ويخرجون (للآرية) ... وسط غيظ مشوب بالحرقة من قبلنا .. فمن قتل نفسا بغير حق ... يتمتع بميزات أكثر ممن كان ذنبهم (أنهم أحبوا بلادهم ... ورأوا ما لايراه أصحاب الخوذات والرشاشات !!).. استمر وضعنا رتيباً ثقيلا في الزنازين ، لا جديد ... ولا شيء مثير .. صار الصمت يلفنا ويطوينا لساعات طويلة .. كل ما هو فيه سابح وهائم .. حاولنا ان نوصل احتجاجنا على هذه الوضعية وإبلاغها للمسئولين عبر الحراس وضابط المخفر الذي كان يمر علينا بين الفينة والأخرى ولكن كل ذلك كان ضربا من الحرث في البحر ... عندها قررت الإضراب عن الطعام ، وأبلغت رفيقي فنصحني الدكتور رافع التاجوري بألا أنقطع عن شرب الماء حتى لا أصاب بالجفاف مما قد يشكل في هذه البيئة خطرا حالا على حياتي ...

أبلغت الحرس وبدأت الإضراب وامتنعت عن استلام التموين اليومي من الخبز والزبد .. وكذلك وجبتي الطعام.. استمر الحال ستة أيام كاملة ولا من مجيب أو سائل أو مستفسر .. كانت سخرية الحرس ولا مبالاتهم – عدا البعض الذي كان يبدي شيئاً من التعاطف المكتوم – أشد وقعاً من قرص الجوع وتداعيات الجسد ... بعد ستة أيام شعرت بأنني سأغيب عن الوعي بعد أن انتشرت الرائحة الكريهة التي كانت تنبعث من أمعاء خاوية في محيط الزنازين .. وذات صباح حدث ما حدث ولم أستعد وعيي إلا داخل مستوصف السجن حيث وجدت زجاجة تغذية معلقة وأنبوبها مغروس في معصمي .. وبعد ذلك أُرجعت إلى الزنزانة مجددا ... فلم يعد هناك مجال لتكرار ما حدث خاصة وأنني لم أكن أحمل أدنى رغبة في الانتحار .. ولأنني كنت متأثرا بما سمعته وقرأته عن إضرابات الطعام التي يقوم بها السجناء السياسيون للضغط على الجهات المختصة لتحقيق مطالبهم .. ولكن يبدو أن (الثورة الشعبية) !! القادمة لم تعد تعني حتى بحق الإنسان في الحياة !!

تناولت طعامي وفككت إضرابي وأسلمت الحكم لله .. وعدت للانخراط في الجو .. بعدها بثلاثة أيام تحديدا وبعد أن كدت أنسى موضوع الإضراب .. حضر مسئول الانضباط

العسكري ... وكان (جمعة المصري) بمواصفاته الرديئة قد استبدل بشخص آخر اسمر البشرة اسمه (الصغير) أمرني بأخذ حاجياتي ووجدت في مدخل الزنازين كرسيا أمرني بالجلوس عليه حيث تقدم نحوي شخص يحمل صندوقا خشبيا يحوي أدوات للحلاقة. قام بحلق شعر رأسي بعد أن طال شعرى وبدا ذقني كثيفا ثم اقتادني الحارس إلى القسم الملاصق للزنازين من الجهة الشرقية – وسط ذهولي وحيرتي عن معنى عدم الاستجابة لإضراب أيقنت بعدم جدواه وكذلك عدم إخراج رفيقي المفتي والتاجوري ..

صحبة طيبة رغم الاختلاف :

وجدت نفسي وسط مجموعة لم أكن أعرف منها سوى عدداً قليلاً .. يبلغ عدد المجموعة حوالي خمسة عشر شخصا .. استقبلت بحنو وود ..(والجود من الموجود) من البداية كانت ملامح الاختلاف العقائدي مع المجموعة ظاهرة .. فمعظمهم ينتمي للإخوان أو حزب التحرير وكنت أنا في تلك الفترة على تخوم اليسار.. لم يؤثر هذا الاختلاف على علاقتنا الودية ... والتي كان يوجهها ويخدمها مسلك ذلك الأسمر مديد القامة الأستاذ (محمد معتوق) الذي بدأ حياته مرافقا لرفيق المهدوي ليصبح راوية شعره ... قبل أن يتحول إلى فكر(الإخوان المسلمين) كان الرجل غاية في الحنان الأبوي تجاهنا نحن الشباب لا أنسى صوته الجهوري ؟ وهو يردد بيتا من الشعر لرفيق المهدوي كان له أثر السحر في قلوبنا ومداركنا وقدراتنا في المواجهة (**أن تدخل السجن ما في السجن من بأس.. فيه الكرام وفيه أفضل الناس**) للذين ألقت بهم أدوات العسف وراء الشمس كان أبا حنونا عطوفا وسنداً قوياً في مواجهة المحنة .. بقينا على حالنا وأيامنا تمضي بين ممارسة الرياضة والصلاة وبعض المناقشات المتناغمة التي لم يكن يشوبها سوى بعض المناكشات التي كنت أثيرها تعليقا على بعض الأحكام والأحلام وربما بعض الأوهام التي كانت تستغرق المجموعة ...

الجماعي

ذات صباح صيفي قائظ فوجئنا بفتح الأبواب التي تفصل الساحات (الأريات) بابا بعد آخر حتى وصل الفتح لبابنا .. ودلف منه (سعد بن عمران مدير المباحث في بنغازي آنذاك)

و(علي العقوري) مساعده، اللذان ألقيا علينا التحية وتبادلا حديثا معنا مشوبا بشيء من التبسط والود .. ثم ذكرا لنا بأن لا حواجز بين السجناء وبإمكان أي أحد أن يختار المكان الذي يريد الإقامة فيه(إلى أن يفرج الله) حسب تعبيره .. لم أضيع وقتا لململمت أغراضي البسيطة وانطلقت نحو العنبر الذي بدأت منه الرحلة .. (وجدت عبد الحق يونس ومصطفى العالم) اللذين استقبلاني بحرارة وكذلك بقية الإخوة .. وشعرت بأنني عدت إلى سربي .. لم يكن هناك أي جديد لذا الجماعة سوى تمكنهم من الحصول على بعض الكماليات التي كنت محروما منها (كالدومينو) و (الشطرنج) وطبعا التليفزيون فضلاً عن (بذخ) في مواد التموين !!.

حرب العاشر من رمضان :

جاء شهر رمضان بإيقاع ثقيل هذه المرة .. ها نحن في السجن نمضغ الملل والسأم .. وأهلنا خلف الجدران يفتقدون وجودنا .. فكيف سيمر هذا الضيف الكريم الذي استحال على يد أدوات العسف (ثقيلا) بدأنا نتلقى مواد التموين وبعض الطعام من أهلنا وبدأ بعض الإخوة في إعداد وجبات إضافية خارج طعام (الكازان) ومرت الأيام الأولى رتيبة بين النوم والسهر والألم والصبر .. لم يتخللها سوى استدعاء بعض الإخوة للتحقيق في مبنى المباحث في بنغازي مما كان يشكل حدثا يتجاذبه السجناء بين سؤال واستفسار واستنتاج وتوقع .. حتى جاء اليوم العاشر واندلعت (حرب أكتوبر) فإذا بروح غامرة ومغمورة بالحماس والترقب والأمل تجتاح الجميع .. علقنا خريطة على الجدار رسمها أحد الإخوة لمتابعة الأخبار على الخريطة ووصل الحماس ببعض الإخوة لحد اقتراح إرسال برقية (للقيادة) يعلنون فيها استعدادهم للتطوع في القناة وهو ما أثار سخرية البعض بقولهم (أتريدون أن تضحكوا عليهم حتى يطلقوا سراحكم !!) وأذكر أنني في تلك الفترة حصلت على رواية بعنوان (السجناء لا يحاربون) لكاتب لم اعد أذكر اسمه فأخرجت الرواية وعرضت عنوانها في وجه دعاة البرقية .. وكان أن خفت حدة الدعوة واستمرت متابعتنا للحدث .. كُنا أحيانا نتمنى أن تكون هذه الحرب ثأرا لهزيمة سنة 1967 المفجعة والتي بددت أحلامنا .. ووأدت آمالنا في نهوض وانبعاث الأمة إلا أن واقع الحال ينطق بغير ذلك .. فالحريات مقموعة والفكر مصادر ومحاكم التفتيش نصبت في كل مكان .. هل سينتصر وينتصر أولئك الذين أهانوا الإنسان وداسوا كرامته

وحرموه حقه في الحياة الكريمة .. هل سيحارب من أحرقوا الكتب وألغو القوانين وقوضوا بنيان الإدارة .

كل شيء وارد .

كان محمد المفتي يقود التحليلات والاستنتاجات والتوقعات التي تدور حول الحرب والربط بينها (كحدث مفصلي وبين مصيرنا نحن كسجناء!!) ورغم عدم وجود أي رابط موضوعي بين الأمرين فالحرب قامت وهاهي تشارف على النهاية بعد أيام وها هو وقت إطلاق النار يبدأ في السريان ووضعنا كسجناء (معتقلين) بلا محاكمة أو تحقيق أمر محكوم بفردية وتسلط وخرق للقانون الذي (أعلن القائد!!) تعطيله في خطاب زوارة . غير أن قدرات المفتي وبعض من أقراننا على تجاوز صلابة الجدران وزرع الأمل والتفاؤل قدرات خارقة تصنع المستحيل ولو في الخيال .. كانت لازمة المفتي في الحديث والتعليق على أية نتيجة لأي موضوع هي (وارد .. وارد كل شيء وارد) ليقف بنا أمام نتائج مفتوحة على كل الاحتمالات مما لا يبقى للتحليل والجدل والتعليق أي جدوى ... انتهت حرب أكتوبر ومعها رمضان وأقبل العيد واستعدينا للزيارة .. حضرت والدتي من طرابلس صحبة شقيقي علي وشقيقتي آمنة ومعهم زوجتي ووالدتها) .. والتي كانت قد انتقلت إلى درنة للتدريس بعد تخرجها في كلية الآداب قسم التربية وعلم النفس .. كان اللقاء مشوبا بالقلق والانفعال خاصة حينما قالت والدتي للحارس الذي كان يرافقنا في غرفة الزيارة (حرام عليكم إلى متى ستبقونه لديكم قريب عام وماسدكمش ... حتى الطليان مادا روش هكي) لم يبد الحارس أي رد فعل .. بل حاول أن يطمئنها بفرج الله القريب غير أن مشاعر والدتي وقلقها قد أربكني وجعل للزيارة طعما مشوبا بالمرارة .. تسلمت حاجياتي وما أحضره أهلي وعدت للجماعة .. لتبادل التعليقات والسخرية حول الزيارة وأخبار الأهل والأقارب والأولاد .

الإفراج .

كنا نغرق في المجهول لا نعرف مصيرنا . لم تتم إحالتنا إلى جهة تحقيق قانونية، كل ما فعلوه هو محاضر هزيلة لجمع الاستدلال لم تتجاوز بالنسبة لي بعض الأسئلة المتعلقة بنشاطي

الثقافي الجامعي وسؤالي عن بعض الزملاء وطبيعة علاقتي بهم. كان المحقق يبدو أقرب إلى الاعتذار لأنه لا يملك ما يستوجب إجراء تحقيق معي حتى أن أحدهم أطلعني على تقرير كتبه أحد الطلبة آنذاك والذي تولى مناصب فيما بعد من وزير خارجية إلى مندوب ليبيا في الجامعة العربية إلى رئيس هيئة الأمن الخارجي إلى أن قضى في حادث حامت حوله الشبهات !!... لم يكن أمامنا سوى المواجهة وإعمال أدواتنا للدفاع عن تماسكنا ومقاومتنا ... نشاط ثقافي وحلقات نقاش وأمسيات شعرية ... كان البلد قد دخل بداية الانهيار .. القوانين ألغيت والإدارة تخربّ عمدا والكتب تحرق ... سمعنا فضيحة (الترانتيلا) حين أجبر طلبة كلية الحقوق تحت سطوة بعض الثوريين الأدعياء .. (عمّار لطيف) .. (محمد المصراتي) ..(إبراهيم البشاري) .. وغيرهم على إفراغ بعض البواخر في ميناء بنغازي مقابل إعفائهم من الامتحان وانتقالهم إلى السنة التالية .. كان الألم يعتصرنا ونحن نسمع مثل هذه الحادثة وغيرها من حوادث العبث والغوغاء والانتهاكات.. كعزل مدراء المستشفيات وتعيين الممرضين بدلاً منهم .. بل وصل الأمر إلى حد ربط مدير أحد مدراء مؤسسة زراعية على شجرة موثقا بالحبال كما أشرت سابقاً (نشرت الصحف صورته كدليل على نجاح الثورة الشعبية !!) بعد أن تم الزحف عليه وهكذا واصلت هذه (الزواحف) مسارها التخريبي العابث ... كانت غصّة الألم والحسرة بحجم الوطن وكانت حقبة العسف والدم تدشن خطواتها الأولى .. حكم الفرد وتأليه الضم تسفر عن وجه دكتاتوري كريه في هذا الجو القاتم الملبد والمحمل بكل احتمالات العبث والانهيار.. كان الوطن يقبع تحت حاضر مستباح ومستقبل مصادر وكنا نحن نمضغ أيام السجن الرتيبة .

ذات صباح شتوي قارص (ديسمبر 1973) سمعنا وكنا بعد لم نغادر حجراتنا أحد الحراس يتلو بعض الأسماء كان اسمي من بينهم ويطلب منا ارتداء ملابسنا .. لم يخبرنا بالسبب والذي ربما لم يكن يعرفه .. ذهبنا عشرة أشخاص إلى مبنى المباحث حيث استقبلنا كل على انفراد (سعد بن عمران) وأبلغنا بأمر الإفراج فوراً عنّا .. فوجدت نفسي في الشارع غير مصدق بأن غياب القانون يجعل سجنك وقمعك يسير محاذيا للإفراج عنك ..هكذا دون مبرر قانوني لكلا الأمرين!!.

حضرت (محبوبة) رفقة أهلها من درنة وحضرت والدتي وإخوتي من طرابلس وكانت فرحة لم الشمل كبيرة ....

ما بعد السجن .

ذكرت بأنني حين تمّ القبض علي كنت وكيلا للنيابة العامة في بنغازي .. وفي غياب القانون وتعطيله لم أتمكن حتى من طلب إذن تفتيش منزلي أو الاتصال برئيسي في العمل المرحوم (سالم السنفاز)..وهو من رجال القضاء الشرفاء وأذكر أنني حينما طلبت ذلك من (عثمان الوزري) الذي حضر على رأس (القوة) !! التي جاءت للقبض على أنه أجابني بابتسامة صفراء (يا أستاذ هل سمعت خطاب زوارة ؟) كانت إجابتي بنعم مصحوبة بزفرة أليمة .. بعد خروجي من السجن استقبلني المرحوم (سالم السنفاز) الذي أبدى أسفاً لما حدث وشعورا بالمرارة (لأن اليد قصيرة والعين بصيرة!!) على حد تعبيره .. أعلمته بأنني أنوي الاستقالة والعودة إلى طرابلس رغم تعلقي بمدينة بنغازي وعروض بعض الزمـلاء المحامين لمشاركتهم مكاتبهم. أذكـر منهم الأستاذ (مصطفى العالم) والأستاذ (رجب الماجري) .. اللذين كانا يتشاركان في مكتب واحد بشارع عمر المختار .. قدمت استقالتي ورجعت إلى طرابلس للمراجعة وترتيب أمر حياتي فيما سيقبل من الأيام .. ترددت على وزارة العدل وكان وزير العدل آنذاك المرحوم (محمد الجدي) بشأن موضوع الاستقالة .. ولما لم أظفر بنتيجة طلبت مقابلته والحقيقة أن الرجل اعتذر وأبدى أسفا واستهجانا لما حدث ولكنه عرض على الاستمرار في العمل فأخبرته بأنني لم أعد أصلح لشغل منصب وكيل نيابة حيث إأنني لن أستطيع إرسال أي إنسان إلى السجن بعد أن تذوقت مرارته ظلما وحتى أولئك الذين يستحقون السجن سوف يفلتون منه على يدي وفي ذلك خلل وظيفي وأن المهنة الوحيدة التي اقبل ممارستها هي المحاماة والتي هي رسالة نجدة تعمل على إخراج الناس من السجن لا الزج بهم فيه ... استمع الرجل باهتمام شديد مصحوبا بإيماءات من رأسه بما يفيد الموافقة ثم وافق فورا على استقالتي ..

رزقت في تلك الفترة بابنتي البكر التي اخترت لها اسم (ريما) إعجابا وتقديرا للسيدة فيروز وتأثرا بأغنيتها الشهيرة (يللا تنام ريما) حيث كنا أنا ومحبوبة نعشق السيدة فيروز وفنها الرفيع بل إن محبوبة وصلت في تأثرها بفن السيدة الرائعة إلى حد أداء بعض أغانيها في حفلات الجامعة حتى أطلقت عليها (مجلة قورينا) التي كانت تصدر عن كلية الآداب لقب (فيروز

الجامعة) ازدان بيتنا بالجميلة (ريما) التي ملأت حياتنا وبعثت الأمل مجددا في حياة مستقرة آمنة رغم أنها كانت تبدو صعبه المنال .. حيث (كان العناق على مرمى الدم)!!.

في رحاب مهنة النجدة (1974) :

عدت إلى طرابلس لأواجه مرحلة جديدة في حياتي أو محطة من المحطات العديدة التي سترافقني في رحلتي مع (السجن والغربة) .. استأجرت مكتبا في شارع عمر المختار (عمارة مرمش) وبيتا لايبعد عنه سوى أمتار قليلة (بشارع جمال عبد الناصر) بدت الأمور ميسرة بمساعدة أسرتي وأصدقائي وبدأت ممارسة مهنة المحاماة التي شكلت حلما متجذراً من حياتي منذ الصغر .. كان مايعرف بـ(الثورة الثقافية) التي أعلنت في إبريل قد ألقت بظلالها القاتمة على مجمل الحياة الثقافية كما أن صدور الجزء الأول من الكتاب الأخضر قد حمل معه نذر شؤم وضيق واختناق على المستوى السياسي والفكري .. فانصرفت إلى تأسيس مكتبي وترسيخ قدمي في مجال المحاماة واستطعت خلال فترة قصيرة أن أقف لوحدي حاملا أملا في مستقبل مهني ناجح رغم مايحف بواقع الأمور من إشارات سلبية تجعل المهمة تبدو شاقة إن لم تكن مستحيلة ..

زيارة القذافي لنقابة المحامين :

1975 في شهر مايو قام القذافي بزيارة للنقابة في مقرها بشارع عمر المختار كان باديا من البداية أنه لايحمل مشاعر ودّية تجاه المحامين وأنه يتوجس منهم ومن دورهم .. كان جو اللقاء يُنذر بالمواجهة والصراحة من قبل المحاميين .. بدءا من كلمة النقيب آنذاك الأستاذ (عبد الله شرف الدين) والتي كانت في غاية الروعة .. خاصة عندما ختمها بمطلب وطني نبيل - وهو إطلاق سراح السجناء السياسيين وقد دوت القاعة بالتصفيق الذي استمر أكثر من خمس عشرة دقيقة غير أن القذافي قابل ذلك بتجاهل تام وصمت مريب !!...

وكان اللقاء الثاني في سنة 1976 وفي موعد انعقاد الجمعية العمومية لإجراء انتخابات مجلس النقابة بعد صدور القانون الجديد الذي ينظم المهنة .. كان مقررا أن يتم الاجتماع كالسابق بمقر النقابة غير أننا فوجئنا بمن يطلب منّا الانتقال إلى (قصر الشعب) .. ورفض أغلب

المحامين وصوتت الجمعية العمومية بالرفض .. إلا أن تدخل وزير العدل الذي حضر شخصيا للنقابة مستنجداً بـ(إبراهيم الغويل) الذي تدخل مبررا ومهدداً قد جعل المحامين ينتقلون وكان لقاء ساخنا استمر ساعات حتى طلب النقيب إنهاءه لارتباطه بموعد الانتخابات ..

سمع القذافي في هذين اللقاءين 1976 من المحامين مالم يسمعه من غيرهم .. الأمر الذي ساهم في موقفه المناوئ لهم .. حتى وصل به الأمر إلى إلغاء المهنة نهائيا كما سيرد ذكره .

حركة الضباط والطلبة .

في أغسطس 1975 علم الناس أن احد أعضاء مجلس قيادة الثورة (عمر المحيشي) قد فر خارج البلاد أعقب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت عسكريين ومدنيين .. كان كثير منهم أصدقاء شخصيين لي .. (عبد المجيد المنقوش) و(محمد عبد الوهاب كريم) .. (وعلي الشاوس) .. و(عمر خضر) و(عمران الدعيكي) .. و(خليفة الفقي) و(أحمد بوليقه) .... الذي قتل أثناء مطاردته بعد هروبه من السجن على طريق (بئر الغنم) وغيرهم من المدنيين كـ(علي اللافي .. محمد ميزران .. وفريد أشرف .. وعبد الحكيم برشان) .. معرفتي بهؤلاء وصداقتي لهم زادت من درجة انفعالي وتفاعلي وتعاطفي معهم خاصة وأن تجربة سجني المبكر لم تكن بعيده عن الذاكرة والوجدان ..

كما أن الأجواء العامة في البلد وبداية ظهور النزوع القبلي الصارخ للنظام وعشائريته المعلنة ... صار الثنائي (حسن أشكال) .. (وخليفة حنيش) .. رمزين من رموز هذا التحكم والتوجه العصبوي المقيت وبحكم وجود عدد كبير من الضباط المعتقلين والمشكوك في ولائهم (لابن القبيلة) ممن ينتمون لمدينة مصراتة ... فقد طالها وطال أهلها كثير من العنت والاستهداف والتضييق .. بلغ حد تأجير المأجورين ودفعهم إلى ترديد هتافات فجه وقحة تشكك في أصالة وعروبة أهل مصراتة وتسيير مسيرات موتورة حاقدة تصرح وتلمحّ وتحشد وتجيش الغوغاء والتافهين والشعراء الهابطين للتفوه برذاذ من البذاءة والشعر الرخيص .. في هذه الأجواء .. بدأ (عمر المحيشي) يبث أحاديث من إذاعة الشرق الأوسط..والتي سرعان

ماسأمها الناس بعد ان اكتشفوا أنه لايملك من الأسرار والخفايا أكثر مما يملكون..وبعد أن انحدر بأسلوبه إلى متاهات السباب والمعايرة والشتائم الشخصية.

المحاكمات:

علمت بوسيلتي الخاصة أن هناك محكمة لمحاكمة ضباط (حركة المحيشي) ستبدأ في معسكر الفرناج خلال الأسابيع القادمة .. فقمت بالاتصال (بأسرة المنقوش) وحصلت على توكيل عن (عبد المجيد ومصطفى) وذهبت للمدعي العسكري في المحكمة (عبد الله حجازي) وطلبت حضور المحاكمة عمن توكلت عنهما فحاول إثنائي بأنهم سوف يضيفون لي عدداً من المتهمين للدفاع عنهم كمنتدب من المحكمة فرحبت بذلك فقام فورا بإعطائي أحد عشر اسما وبدأت الاطلاع على الملف وعندها تبين لي أن هناك تعارضاً بين أقوال (مصطفى المنقوش) و(عبد الحميد) فطلبت من صديقي المرحوم (حسين الصغير ... الذي قتل في السجن 1980) بقبول التوكيل عن عبد الحميد فرحب بذلك وتم توقيع التوكيل من قبل شقيق المتهم .. بعدها بدأ يحضر عدد آخر من المحامين وتم إعلامنا ببداية الجلسات التي كانت تعقد داخل قاعة معسكر الفرناج .. كان رئيس المحكمة العسكرية الدائمة (شعبان عبدالونيس) وعضو اليمين (عبد الهادي الكوافي) وعضو اليسار (محمد زكري) وممثل الادعاء العسكري هو (عبد الله حجازي) بدأنا في حضور الجلسات التي بدأت في شتاء 1975 وكان المتهمون يجلبون إلى السجن في بدلة الشغل تحت حراسة مشددة .. استمرت الجلسات وفتح باب المرافعة وكنت موكلا عن اثنى عشر متهما واستغرقت مرافعتي أكثر من ثلاث ساعات وتقدمت بمذكرة للدفاع وحجزت الدعوى للحكم . كانت أحكام الإعدام كثيرة إلا أن عددا من المتهمين تمت تبرئتهم والحكم على بعضهم لسنوات سجن متعددة وحينما علم (ابن القبيلة) بالحكم استشاط غضبا وقال حسب روايـــة موثوقة لـــدّي (هؤلاء تآمروا فإما أن يبرءوا جميعا أو أن يعدموا جميعا !!)

وهكذا طعن المدعي العسكري في الحكم أمام المحكمة العسكرية العليا وكانت برئاسة (محمد الفيتوري) عضو اليمين (محمد زكري) عضو اليسار (محمد الخضار) المستشار القانوني للقوات المسلحة والمدعي العام العسكري فيما بعد (علماً بأنه من أوائل خريجي كلية

الحقوق الليبية ولكن يبدو أن كلاً مسخر لما يُسّر له !! دارت رحى المحكمة وسط أجواء متوترة أحيانا وهادئة أحيانا لم يتخللها مايخرج عن روتين الأسئلة والمواجهات الرتيبة سوى تلك المواجهة بين (سليمان شعيب) (عديل ابن القبيلة) والمدعي العسكري (عبد الله حجازي) فعندما ذكر عبد الله حجازي تعليقا على ما اشتك منه سليمان شعيب من تعذيب وسوء معاملة قائلا إن (جميلة أبو حيرد) امرأة ولم تشتكي من تعذيب الفرنسيين فكيف يشتكي رجل (كذا) !! عندها انبرى (سليمان شعيب) مزمجرا وبصوت متهدج (ياعبدالله إذا كنا نحن نساء فأنتم بقايانا. نحن من مدرسة واحدة وأنا أعرف من يحركك !!) توتر الجو وحاول رئيس المحكمة إعادة الهدوء والانضباط ولكنه فشل فرفع الجلسة للاستراحة .. حيث تم إخراج سليمان شعيب خارج القاعة .

عدنا إلى الجلسة واستمر الإيقاع النمطي.. سرد للوقائع ومحاولات مستميتة لخلق واصطناع الدليل. اعترض المحامون مرات كثيرة على نوع الاستجواب وتدخلوا لمصلحة موكليهم. الأمر الذي واجهه رئيس المحكمة بغضب وتوتر وانفعال ، حتى أنه قام ذات مرة برفع الجلسة بعد تدخلي واعتراضي على إجراء ضد موكلي .. فأرغى وأزبد وهدد وقد أخبرني الأستاذ (حسن بن يونس) (الذي كان مستشارا للمحكمة) بأنهم (كانوا سيعضونني بأنيابهم) حسب تعبيره ولكنه تدخل لمصلحتي لديهم .

استمر الحال على ما ذكرت حتى كانت جلسة النطق بالحكم والتي فوجئنا بحضور عدد قليل من المتهمين ودخول الهيئة للقاعة لتتلو منطوق الحكم والذي بدأ بـ (حكمت المحكمة حضوريا ببراءة عدد 7 متهمين) تمت تسميتهم والإعدام فيما عدا هؤلاء : وانسحبت هيئة المحكمة سريعا .

محاكمات الطلبة والحزبيين :

في أواخر سنة 1976 بدأت محاكمات المجموعات التي صنفت أنها حزبية والتي لم يتم الإفراج عنها معنا وهم مجموعة الجبل الأخضر (المفتي ورفاقه) جماعة (الابشات) (جماعة الطلبة) الذين قاموا بأحداث بنغازي يناير 1976 للمطالبة والدفاع عن استقلالية

إتحاد الطلبة وتولت هذه المحاكمة (محكمة الشعب) برئاسة (أحمد محمود) وعضوية (عبد السلام بوقيلة) عضو اليمين و(محمد المصراتي) عضو اليسار وتولى الادعاء أمامها (حسن بن يونس) هذا الرجل العريق في سجله الوظيفي في القضاء والذي نذر نفسه رغم سنه وخبرته لخدمة (السلطان) كيفما كان نعته أو تعددت ألقابه وأسماؤه ... توليت الدفاع عن عدد من جماعة (الابشات) وكذلك جماعة (الجبل) وحاولت وزملائي أن نعيد للقانون شيئا من هيبة ولمهنة المحاماة جزءا من قداستها ولكن الأحذية الغليظة كان لها منطق آخر فصدرت الأحكام .. كانت البداية مجموعة الجبل الأخضر حيث صدرت أحكام متعددة أقصاها خمسة عشر عاما (مبروك الزول – عبد الغني خنفر) وست سنوات وأربع سنوات على باقي المتهمين وداخلنا شيء من السرور بهذه الأحكام (حيث إن قانون تجريم الحزبية هو المطبق وهو يقضي بالإعدام في كل الأحوال غير أن هذه الفرصة لم تدم حيث قام (ابن القبيلة) بتغيير الأحكام من خمسة عشرة سنة على الاثنين المشار إليهما إلى إعدام وباقي الأحكام إلى مؤبد .. وهكذا تم تدشين مسار طريق الدم ، بعد ذلك صدرت أحكام بالإعدام على اثنين من قيادات الطلبة وهما (عمر دبوب ومحمد بن مسعود) .. وقد صاحب بإزار الإعدام هذا .. صدور أحكام في وقائع متفرقة على المرحوم (عبد السلام الحشاني) المتهم بتشويه تمثال لجمال عبد الناصر في بنغازي (وقد تم استبدال الإعدام بالمؤبد في يوم التنفيذ) والفنان (عمر المخزومي) ومواطن مصري متهمين بتخريب منشآت والعمالة للمخابرات المصرية .

شلال الدم :

كان البلد يتشح بالكآبة والحزن ويلتحف بالتوجس والخوف .. انسحب الأمان وحل محله الهلع والترويع وتوقع السوء واحتمال الأسوأ..حتى كان يوم السبت 2 أبريل 1977 يوم تم تنفيذ حكم الإعدام بطريقة بشعة في واحد وعشرين ضابطا في معسكراتهم بعد أن أجبر أقرب أصدقائهم بالأمر العسكري على أن يقود (حظيرة الرمي) .. وأذكر أنني ذهبت الليلة السابقة إلى صديقي (محمد شعبان) أحد الضباط الأحرار فوجدته في حالة سيئة فقد صدر له الأمر لكي ينفذ الإعدام في صديقه ورفيقه وجاره (علي الشاوش) وفعلا لم يسلم (محمد شعبان) من تلك الصدمة التي أوصلته إلى مشارف الجنون وعدم الاتزان النفسي حتى اليوم وكانت

قمة المأساة وجولة حمام الدم الأخرى يوم الخميس 7 أبريل حيث تم إعدام مجموعة بنغازي (محمد بن مسعود) و(عمر دبوب) في ساحة (الاتحاد الاشتراكي) علنا و(المخزومي) ورفيقه في الميناء ، وبقوا يتأرجحون في المشنقة ساعات طويلة.. كان ذلك يوم 7 أبريل 1977 وعندها قررت الرحيل محاولا الهرب من عرس الدم .. ويوم 16 ابريل 1977 بدأت رحلتي مع الغربة والترحال ......


3
فترة الغربة
و الترحال..
1988 - 1977

47

سنين الغربة

قررت ياوطني اغتيالك بالسـفر
وحزمت أمتعتي .. وودعت السنابل والجداول والشجر
وحملت في جيبي تصاوير القمـر

كنـا في السجن نردد هذا المقطع النزاري كثيرا ؛ فاشتداد حلقات الحصار وامتداد أطواق العسف .. تجعل رغبـة الرحيـل والهجرة ومغادرة الوطن ... تبدو حلماً يحمل الحل السحري خاصة ونحن ننتمي إلى جيل تشبع بثقافة المنفى والرحيـل والغربـة والطواف على بوابات العالم السبع مع (عبد الوهاب البيـاتي.. وعبد الصبور وناظم حكمت) ..... وغيرهم من شعراء وأدباء المرحلة الذين ضاقت عليهم دوائر القهر والعسف والتنكيل نتيجة غياب الديمقراطية وسيادة صوت (الأحادية) المتسلطة....

تركت مكتبـي في عهـدة الصـديق (ضو المنصوري) المحامـي الـذي كان يعمـل معـي وحزمت أمتعتي بعد أن رتبت الأمر مع (محبـوبة) بأن تلحقني حالما أرتب أمر المعاش والإقامة وذهبت إلى روما حاملا أوراقي وشهاداتي عازما على الالتحاق بجامعتها (لدراسة القانون الجنائي) فى مدرسة (FERRI) الشهيرة وهذا ما كـان ......

وقد كان لمساعدة صديقي (محمد عبد المطلب الهوني) الذي سبقني في الالتحاق بالجامعة ودراسة نفس التخصص (انقطعت صلته بالقانون فور حصوله على شهادة التخصص وتحول إلى رجل أعمال وإن ظل يحركه تاريخ دفين للقانون والفكر والثقافة) ساعدني صديقي في

تذليل كثير من عقبات البداية .. ثم سارت الحياة سيرها المعتاد وانتظمت في دراسة اللغة الإيطالية بتركيز واهتمام وجدية ثم بدأت برنامج الدراسات العليا معطيا جـل وقتـي للتخصص الذي أحببته واستهواني .... روما مدينة جميلة يصاحبك فيها منذ اللحظات الأولى ليومك ... عبق التاريخ وركلات كرة القدم ورحيق الفن وضجيج الشوارع ..... وصخب (Brigati Rossi) السياسة كانت فترة مليئة بالأحداث والحوادث تحتل أخبار

(الألوية الحمراء) صفحات الجرائد فمقتل رئيس الوزراء السابق كان حدثا زلزاليا تابعنا وقائعه التي كانت تنقل بدقة وإثارة .. أخبار المافيا وكذلك الأزمات السياسية المتكررة حتى صار بعض الساسة والمحللين يطلقون على الواقع السياسي الإيطالي اسم (الديمقراطية الرجراجة) .. .

تفرغت للدراسة وحضور المحاضرات ومتابعة دروس التقوية في اللغة الإيطالية .. لم أقتحم الوسط الطلابي العربي واكتفيت بحضور بعض المناشط التي كانت تدور بين التوجهات القومية واليسارية والإسلامية والتي تنتهي في معظمها بصراع الحناجر وإن لم تخلو أحيانا من الطعن (بالمظلات) واللكم بالأيدي !!.

كان (الوطن الذي يسكننا) (قابع في الليل تحت البندقية مثل طفل حافي الأقدام مكدور الملامح) كانت الأخبار تأتي محملة بكل ما يثير القلق .. اللجان الثورية التي تشكلت مؤخـراً تمارس أعمال القمـع والترويع مصادرة أموال المواطنين وتضييق سبل العيش في وجوههم تسير وفق مخطط لا يهدف سوى إلى تكريس حكم الفرد والقبيلة والعصابة .. بدأت موجة من الهجرة ومغادرة الوطن من قبل من سمحت لهم ظروفهم ذلك ..خاصة بعد صدور قانون (4) سيئ السمعة والذي جرد الناس مما يملكون ، وجعل من كان غنيا موسراً في حالة فقر مدقع ..كان شلال الدم يزداد تدفقا والمحاكم الثورية تقام في الساحات والمشانق تنصب في الميادين..كانت كلمة نقد عابره للنظام يحملها أحـد الوشـاة كفيلة بإعـدام صاحبها !!.

هكذا كان الحال يمضي بنا .. والوطن مستباح الحرمات منهوب الثروات لا يتردد في أرجائه سوى هتافات اللجان الثورية المحملة بالوعيد والوعد والترهيب وكان النظام يخوض معركته ضد كل شيء جميل ورائع في بلادنا .

اتجه الليبيون في معظمهم لمصر وبعض الدول الأوروبية بحثا عن فرص العيش الآمن وظننا أن الأمر لن يعدو هذا الحد إلى أن يأتي فرج الله ولكن القادم كان أشدّ وأدهى ...

القادم الجديد :

في مطلع شهر أكتوبر 1977 رزقنا (بغسان) وكانت فرحة (محبوبة) كبيرة خاصة وأن والدتها تلك المرأة الطيبة الحنون قد حضرت من ليبيا فكان قدوم (غسان) دافعا ليّ لمزيد من الاهتمام بشؤون الأسرة وأمور الدراسة قمنا برحلات عديدة بسيارتي الصغيرة لكثير من مدن وقرى إيطاليا .. وكنا نمضي الصيف بين شاطئ البحر (في سان نيكولا) ومنطقة (التي بياني) الجبلية .. ومضت الأيام رائعة لايشوبها سوى مايصلنا من أخبار سيئة عما يجري في بلادنا وكنا نردد (اشتدي ياأزمة تنفرجي..) إلا أن الأزمة لم تزدها الأيام إلا قتامة وشدة وقسوة .

1980 الاغتيالات :

مع بداية هذه السنة بدأت مرحلة جديدة في حياتي مليئة بالقلق والتربص والترحال ... ففي شهر مارس من هذا العام أعدم النظام في الداخل المناضل (عامر الدغيس) أحد الوجوه الوطنية الناصعة. قتل في السجن وسلم لأهله جثة هامدة وأبلغوهم أنه انتحر وتكرر الأمر مع (الأستاذ محمد حمي) ذلك الرجل الذي مثل بالنسبة لي جبلا من الكبرياء والصبر والحكمة (أشرت إليه في المرحلة الأولى من هذه المذكرات) ثم فجعت بنبأ مقتل صديقي العزيز المحامي (حسين الصغير) في السجن هذا الرجل الذي تم اعتقاله لفترة قصيرة ثم أبلغ أهله بالحضور لاستلامه فقد تم الإفراج عنه .. وقد فرحت الأسرة فرحا عظيما ونحر والده الذبائح وأعدَّ الولائم وحينما ذهب صهره لاصطحابه إلى منزله سلموه نعشا ومع تعليمات بعدم فتح الصندوق الأمر الذي لم يمتثل له والده وعند فتحه تبين هول الجريمة البشعة التي ارتكبها الجلادون في حق صديقي .. كانت الأخبار من الداخل تأتينا مصبوغة بالدم والخوف والتوجس .. وأحسسنا بالخطر خاصة المجموعة التي بدأت نشاطا سياسيا محدودا منذ سنة 1979 وذلك بإصدار مجله معارضة (صوت ليبيا) ومحاولة إيجاد صوت للمقهورين والمعذبين في الداخل للتعبير عن رفض الممارسات القمعية للنظام وعصاباته الثورية !! وكان

إحساسنا في محله فلم تمض سوى أيام قليلة حتى أعلنت عصابات اللجان الثورية في بيان عام (التصفية الجسدية للكلاب الضالة) !! في الخارج ..

محمد مصطفى رمضان .. البداية :

بدأت حملة الكلاب (المسعورة) باغتيال المذيع الشهير في إذاعة بي بي سي (محمد مصطفى رمضان) بعد إطلاق النار عليه إثر خروجه من أداء صلاة الجمعة في مسجد المركز الإسلامي بلندن .... عرفت محمد مصطفى رمضان في منتصف ستينيات القرن الماضي. التحق مبكرا بالعمل الإذاعي بالإذاعة الليبية فور حصوله على الشهادة الثانوية .. كان محمد ذا اتجاه إسلامي معتدل خفيف الظل صاحب نكتة .. تعليقاته لاذعة يتمتع بذكاء حاد طيب المعشر .. اذكر أن آخر مرة التقيت به في ليبيا كانت بمنزله (بكازا انجس) أواخر 1969 وكان في زيارة لأهله قادما من لندن حيث يعمل مذيعاً بالإذاعة البريطانية وأذكر أن مجلس قيادة الثورة قد أذاع في نفس اليوم بيانا حول ما سمي بـ (مؤامرة) (موسى أحمد وآدم الحواز) وزيري الداخلية والدفاع وكان البيان مليئا بنعوت الخيانة والعمالة والتآمر والغدر وغيرها من المفردات التي خبرها محمد مصطفى رمضان بحكم اطلاعه على تجربة الحكم العسكري في مصر فأخرج بعد إنهاء إذاعة البيان شريطا وأسمعنا خطاب عبد الناصر في المنشية وواقعة إطلاق النار عليه بصورة يعتبرها محمد تمثيلية سيئة الإخراج .. المهم كان استهداف هذا الاسم المعروف والصوت المجاهر بنقد كل مظاهر العنف وتقييد الحريات بداية هجمة شرسة مسعورة قادتها زمرة من القتلة وأصحاب السوابق بتوجيه من عناصر في اللجان الثورية معروفة حتى صارت لازمة نشرات إذاعة لندن التي كانت تتربع آنذاك على سدة الإعلام قبل حقبة الفضائيات..كانت نشرتها تبدأ بجملة مكررة .. (قتل ليبي آخر) اغتيل (عبد الجليل العارف) في روما .. والمحامي المعروف (محمود بن نافع) في لندن .. و(صالح بوزيد) في أثينا .. وتوالى سقوط الضحايا على طريق الدم والجريمة .. كما كانت أخبار الاعتقالات الواسعة في الداخل تتوالى خاصة المتهمين بالانتماء لحزب البعث فرع العراق .

سنوات القلق والتربص .

كان قدوم لجنة جديدة لاستلام السفارة في روما سنة 1979 فيما عرف (بالزحف على المكاتب الشعبية) نذير شؤم، فتاريخ القادمين الجدد وسيرتهم مليئة بمبررات التوجس فالذي كان يقود الفريق (محمد المصراتي) معروف منذ سنوات الدراسة الجامعية بنزعته الشريرة ونفسيته الحاقدة وباطنيته المقيتة .. (والشارف الترهوني) أحد أعضاء اللجان الثورية الذين نكلوا بزملائهم في الجامعة ،، و(عمار ضو التقازي) أحد أذيال النظام المسخرة للشر .
وبحكم علاقتي بمحمد المصراتي منذ سنوات الدراسة الجامعية وتعاملي معه ومع من هم على شاكلته أحسست أن وراء الأكمة ماوراءها .. ورغم ذلك ظلت الأرض تدور .. واستمررت في ممارسة حياتي بشكل طبيعي وفي ساعة متأخرة من إحدى ليالي شهر أبريل 1980 حضر إلى منزلي صديقي (محمد عبد المطلب الهوني) ليخبرني في ارتباك وعجالة أن أغادر روما حالا فقد أفصح (الجماعة) عن نيتهم الصريحة لاغتيالي وطلبوا من أحد الموظفين المحليين الليبيين (أحمد عبد الهادي) أن يقوم بدعوتي إلى مكان حددوه هم (فيا فينيتو) وهم سوف يتولون باقي المهمة ... رفض هذا المكلف وطلب منهم تكليفا مكتوبا عندها قالوا له (أنس الموضوع) غير أن ضميره الوطني وخيريته جعلته يبلغ صديقي الهوني ويطلب منه إبلاغي فورا بذلك .

الطريق إلى القاهرة .

اتصلت بشقيقي على الذي كان يعمل بالكويت (أمينا عاماً لمنظمة الأوابك) فأرسل لي تأشيرة دخول عن طريق السفارة الكويتية بروما ذهبت مع محبوبة والأطفال (كانا ريما وغسان) إلى الكويت تركتهم هناك وسافرت إلى القاهرة بناء على اتصال مع بعض الإخوة الذين أبلغوني بأن اجتماعا سيعقد في القاهرة (لتشكيل معارضة للنظام) تدافع عن الليبيين وتدفع عنهم عصابات القتل والتشريد. وصلت القاهرة فوجدت في استقبالي (نوري الكيخيا) الذي قادني إلى فيلا فخمة محروسة أبلغني بأنها تخص (يحيى عمرو) وأن الحيتان الكبيرة مجتمعةداخلها حسب تعبيره !!.. وذكر لي بعض الأسماء فأجبت بعفوية متناهية (أول القصيدة كفر) دخلت الفيلا بعد أن حاول الحرس تفتيشي إلا أن خروج صاحب البيت الذي

الإشكال .. عندما دخلت وجدت عدداً من الأسماء الشهيرة على حوض السباحة وفي جلسة لاتتناسب مع ما كان يعتمل في داخلي من حماس ورغبة في رد العدوان والتصدي للطغيان فكررت في السر ما ذكرته لنوري الكيخيا بشأن (القصيدة..؟)

في اليوم التالي التقينا (بفندق السلام) المحل المختار لانعقاد المؤتمر الأول للمعارضة الليبية إلا أن تدخل السلطات المصرية ولأسباب لازالت بالنسبة لي مجهولة قد حال دون انعقاد الاجتماع بل تم إبلاغنا بأن من لا يقيمون في مصر عليهم المغادرة في خلال ثلاثة أيام وهكذا كان ...!!

إلى المغرب :

بعد أن انفض مولد القاهرة بلا حمص .. كان على أن أبحث عن ملاذ آمن عليّ استقر فيه ولو لحين من الزمن فعرض علي صديقي (فاضل المسعودي) الذهاب إلى المغرب حيث كانت تربطه علاقة بالمغاربة وهو معروف لديهم كما أن له علاقة خاصة بالحاج (محمد عثمان الصيد) رئيس الوزراء الأسبق والمقيم في المغرب والمزكي من قبل السلطات المغربية في تزكية الليبيين في فترة كانت العلاقات بين ليبيا والمغرب قد وصلت إلى حد (سحب الاعتراف) من قبل المغرب بالنظام الليبي .

رافقت فاضل المسعودي في طريقنا إلى المغرب ..وقد شجعني عرضه لي باستعمال (شقة يملكها هناك) على اتخاذ القرار باللجوء إلى المغرب ..

في المغرب :

بدأت في ترتيب شؤون الاستقرار واشتريت بعض الأثاث البسيط والتحقت بي محبوبة والأولاد بعد فترة قصيرة تعرفت على الوسط الليبي هناك.. كان الحاج محمد عثمان الصيد رحمه الله شخصيه وقورة يتوافر على ذكاء وحكمة كريما عطوفا كما كانت زوجته سيده فاضلة كريمة وجدت فيها زوجتي تعويضا عن مفارقة الأهل والأحباب تعرفت إلى (سليمان دهان) (صاحب جريدة المساء في الستينيات) كان شخصية عفوية عنيدة لا يلين عن حلم بيوم واحد للانعتاق (وتصفية الحساب) .. عرفت (سعيد الختالي) .. (أحمد الهمالي) .. الحاج (سالم

قدح) وأسرته الذين كانوا في حالة (لجوء تجاري) أكثر منه سياسي وهم أسرة عريقة طيبة ودودة متحضرة ..عرفت المرحوم (محمد هويسة) رجل أعمال ناجح وإن كانت جذوره (الإخوانية) تناوشه من حين لأخر ولو على خفيف ..

ثم جاء المقريف .

اتصل بي الحاج (محمد هويسة) من الدار البيضاء في بداية شهر رمضان سنة 1980 وأعطاني شخصا لتحيته لم أخطئ صوته ولا طريقته في الحديث كان الدكتور (محمد المقريف) .. والذي أبلغني بأنه في طريقه إلى الرباط لاتخاذ خطوة هامة وخطيرة حسب تعبيره. رحبت به وتمنيت له التوفيق وفي المساء حضر إلى منزلي مع (محمد هويسة) وأوضح ما ينوي عمله بل إنه كتب صيغة استقالته في بيتي مستمعا إلى ملاحظاتي والحاج هويسة .. ثم جاء شخص ذكر بأنه صحفي من وكالة الأنباء المغربية .. وأخذ البيان الذي نشر في الصحف وإذاعته وكالات الأنباء لاحقا .. استأجر الحاج محمد عثمان الصيد فيلا صغيره لإقامه المقريف الذي أحضر أسرته من الدار البيضاء .. وبدأ المقريف نشاطه واتصالاته واستقبال زائريه ولمبررات موضوعية عديدة وحتى لا أنجرف إلى ما قد يسيء لي ويسيء لمن أتحدث عنهم فإنني سوف لن أعرض في هذا الجزء من المذكرات للتقييم السياسي والعقائدي ولا للأخطاء وأحيانا الخطايا التي ارتكبت في تلك الفترة ولا إلى دوائر الشبهة والريبة وحلقات المخابرات الدولية والإقليمية وخيوطها العنكبوتية .. ولا إلى المغامرات والأوهام والمركبات النفسية التي استنزفت جهدا ضائعا .. وسوف أكتفي بإيراد اقتباس من كتاب لشخصية شاركت في مسيرة العمل من الخارج من البدايات وكان له دور فاعل فيها .. فهو أحد مؤسسي (جبهة الإنقاذ) وكان ضمن قياداتها لسنوات عديدة – يقول الأستاذ (محمود الناكوع) في كتابه (ملامح الصراع السياسي والثقافي في ليبيا الحديثة) منشورات مكتبة وهبة سنة 2007 يقول (ثم جاءت مرحلة جديدة وهي مرحلة تكوين التنظيمات السياسية في ديار الاغتراب والهجرة حيث أسس المثقفون الليبيون عدة تنظيمات بلغت أكثر من خمسة عشر تنظيما بعضها تمكن من حشد وتجنيد المئات وكان من أكبر التنظيمات (الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا) وخاضت تلك المنظمات تجارب سياسية وتثقيفية وعسكرية وعكست كل ألوان الطيف السياسي الليبي وفي

أواسط التسعينيات من القرن العشرين وصلت تلك التنظيمات الى أسوأ حالاتها وفقدت قدرتها على مواصلة النضال السياسي كقوة مؤثرة كما كانت في عقد الثمانينيات أو أوائل التسعينيات ... ويضيف الأستاذ الناكوع ويبدو أن هناك أسبابا كثيرة ساهمت في مسلسل الفشل ومن أهم تلك الأسباب ثقافة الإقصاء التي شكلت عقلية ظلت محدودة الأفاق قصيرة النظر غير قادرة على إدراك المصالح الوطنية وما تقتضيه من ضرورات الحوار مع الأخر .. والاعتراف بوجوده ودوره مهما كان صغيرا .. وظلت التنظيمات السياسية عبارة عن مجموعات صغيرة معزولة بعضها عن البعض الأخر بل إن كل تنظيم كان يقلل من أهمية التنظيمات الأخرى وربما يذهب الى أبعد من ذلك تشكك في أفكارها وأهدافها ويتهمها بما لا يليق من النعوث والأوصاف وكأن أتباعها ليسوا من أبناء الوطن (ص173 - 174) من كتاب الأستاذ محمود الناكوع...

أما التناول الموضوعي والتاريخي لتلك المرحلة فذلك ما سأتركه للتاريخ .. ربما منحني الله القوة والقدرة على إنجاز عمل شرعت فيه بتناول (أزمة النظام والمعارضة في ليبيا) أما هنا سأقتصر على رصد تجربة الغربة ومعزوفة الأمل والانتظار ..

المغرب :

بلد غني زاخر بكل شيء .. عمرانه المتنوع وثقافته المتعددة وتاريخه العريق .. كان النظام الملكي قد بدأ يستعيد توازنه ويوطد أركانه بعد الهزات والضربات التي تلقاها في السبعينيات وكانت الحياة السياسية قد بدأت أيضا في استعادة عافيتها وإن ظل شبح الخوف الذي صاحب سنوات (الجمر والرصاص) لازال يلقي بظلاله..

كانت العلاقة مع ليبيا مقطوعة بشكل مطلق .. لم يكن عدد الليبيين يتجاوز من نعرفهم ومن لهم نفس الوضعية مما عزز الحاجة الى الارتباط واللقاء في محاوله لتخفيف وطأة الغربة .. التحقت عن طريق معارف شقيقي (علي) بالعمل في (المنظمة العربية للثروة المعدنية) ونظرا لأن ليبيا عضو ممول في المنظمة فقد تم تعييني على أساس أنني (مغربي) حيث كنت أحمل جواز سفر مغربي باسم (كودي) وهكذا كان على أن أعيش ازدواجا في الشخصية خاصة أمام

زملائي المغاربة في المنظمة ... وبالأخص فيما يتعلق باللهجة وعدم إتقان اللغة الفرنسية إتقاناً تاماً .. ولم يكن هناك بد من (كذبة بيضاء) بأن أسرتي هاجرت الى مصر من منطقة (طرفاية) بالصحراء الغربية وعادت مؤخرا الى المغرب .. وأجد دائما في اللهجة المصرية الخلاص السهل ...

مفارقة أخرى لا أنساها ... كان مندوب ليبيا في المنظمة هو الأستاذ (محمد المجريسي) وكان جاري في ليبيا حيث كنت أسكن في عمارة والده بشارع جمال عبد الناصر في طرابلس وأثناء إحدى دورات انعقاد مجلس المندوبين أقيم حفل في فندق هيلتون وذهبت الى هناك وفي صالة الفندق قابلت محمد المجريسي الذي عانقني وأعرب عن سروره لرؤيتي وذكر لي بأنه جاء لحضور اجتماع المنظمة العربية .. سألته عن الأهل فطمأنني وعن البلد فأرسل زفرة حزينة ..غادرني متجها الى مكان حفل العشاء وطبعا لم أرافقه ولم أذكر له شيئا عن سر وجودي .. كان مرتب المنظمة مجزيا مكنني من العيش في يسر وبحبوحة. اشتريت سيارة وانتقلت الى شقة جديدة .. واستمررت في متابعة موضوع دراستي في روما الذي قطعته ظروف قاهرة غادرة ...

وجاءت عايدة .

رزقنا في شهر 8 – 1981 بـ(عايدة) الرائعة فازدان وازداد الفرح في بيتنا وشغلت محبوبة بالصغيرة وفرح بها (غسان وريما) اللذان بدآ الدراسة الابتدائية بالنسبة لريما ، والروضة لغسان وبدأ الطفلان في تكوين علاقات طفولية بريئة وإن كانت ريما تداهمنا ببراءة أسئلتها عن أعمامها وأخوالها وخالاتها وأقاربها حينما تسمع أطفال الجيران يتحدثون عن ذويهم وأقاربهم وكنا نحن ومحبوبة نحاول أن نجيب بالإحالة الى الأمل القريب في ذهابنا إليهم فتصمت الصغيرة دونما اقتناع ... وهنا أذكر بعد مجيء (عايدة) أن الأستاذ (عبد الحميد البكوش) رحمه الله قد بعث لنا برسالة تحوي أبياتا من الشعر فيها عتاب شديد .. عن عدم أخبارنا له بالحدث السعيد .. وحينما كنت بصدد الإعداد النهائي لهذه المذكرات ... تذكرت تلك الأبيات ... وكان البحث عنها كالبحث عن قشة وسط (نادر تبن !!) إلا أنني فوجئت بأن (عايدة) والتي صارت الآن (أماً) تحتفظ بها وسعدت بذلك وهنا أُورد القصيدة ....

يميناً فما أنتمْ بأهلِ محبّـــةٍ
تهلّ عليكم بالرّبـــاط غزالةٌ
و عينان بالبارودِ أتْقِنَ شحْنُها
و فرعٌ سينمو فوقَ زُبد جبينها
و إمّا بلون الشّهْد أصفر رائق
أهلّت عليكمْ، يا عبادُ غزالتي
لماذا ؟ أتبغونَ الفراق لشملنا
أنا عاشقٌ، و الله سوف أحبّها
و بالعِند في العذالِ نحنُ صبابة
و لو باعدتْ عنّي لطرتُ حمامةً
على كلِّ حالٍ، رغمَ بُعد مسافتيّ
بدتْ في عيوني بالخيالِ فتيّــةٌ
كأنيّ ببعض الدّار أجلسُ عندكمْ
فبانتْ علينا كالخميــــلة غادةٌ
تهادتْ فثارَ الثّوب حول فتونِها
و حيّتْ بعينيها اللّتين أحبّــها
و مدّت كعرقِ الماسِ راحةَ كفّها
و مالتْ على خدّي تقبّل وجْنتَي

و لو أن حولي حاكمٌ لشكيــتُ
لها ثغرُ توتٍ و الخدودُ شَتيتُ
إذا أطْلقْتــها تعتدي فتُميــتُ
حريرٌ، فإمّا حالكٌ و غتيـــتُ
على جيدِ عاجٍ يرتمي و يبيتُ
فلمْ تُنْبــأوني عنْها، فبكيــتُ
و هل أنْتمُ الأقدارُ و التوقيــتُ
و تَصُونُ ودّي ما حَيتْ و حَييتُ
كِلانَا حبيبٌ، أخلَصتْ و هويــتُ
الى عُشْها، مهما نأتْ و نأيــتُ
حوى خاطري قسماتِها و حويتُ
و لو لم أراها في الخيال عمِيتُ
و كل شجوني و الهموم نسيــتُ
لها زهوُ كسرى إنْ سقَى و سقيتُ
و لو أنّنـــي ثوبٌ لكنتُ بقيــتُ
فألقيــتُ شوقي فيهما و رميــتُ
لكفّي، فشدّت راحتي و طويــتُ
ولو قبّلت ثغري لكنْتُ رَضيــتُ!!

عبد الحميد البكوش
القاهرة - 1981

إعلان النقابة في الخارج .

كان القرار الجائر بإلغاء مهنة المحاماة وإنشاء مايسمى (بالمحاماة الشعبية) بمثابة طلاق بائن بين النظام ومؤسسة العدالة والدفاع .. صدمني القرار كثيراً وأنا الذي لم أتصور لنفسي حتى اليوم مهنة غير المحاماة .. وأنا الذي مارست العمل النقابي مبكرا حيث كنت عضوا بمجلس نقابة المحامين وعمري لم يتجاوز الرابعة والعشرين .. كان لابد من التفكير في عمل شئ وبدأنا الاتصالات .. والتي أسفرت عن اختيار مجلس نقابة مؤقت في الخارج ،، لشرح قضية المحاماة وإبعاد الاعتداء عليها ومحاولة رد هذا الاعتداء.. تكون المجلس من :

1 - جمعة عتيقة .. نقيبا

2 - عبد الحميد البكوش .. أمينا للنقابة

3 - عمران بو رويس .. عضوا

وقمنا بجملة من الاتصالات مع نقابات المغرب والسودان ومصر والعراق واتحاد المحامين العرب الذي اكتشفنا أن أمينه العام آنذاك (فاروق أبو عيسى) قد اتخذنا مادة لابتزاز النظام والضغط عليه للحصول على مزيد من الأموال !!..

عاودنا إصدار (مجلة المحامي بنفس الترويسة وأذكر أنني كتبت افتتاحية العدد الأول تحت عنوان (نقابتنا والتحدي والرسالة) جاء فيه ... (كان لابد للنقابة أن تعود وكان لابد (للمحامي) أن تعاود الصدور .. مما حدث كان عدوانا علينا ...) وأصدر صديقي (عمران بو رويس) كتاباً عن مهنة المحاماة في ليبيا كان رصدا جيدا لمهنة المحاماة وتوثيقا لتاريخها ..

العودة إلى روما .

عدت الى روما في منتصف سنة 1982 لاستكمال دراستي وقد حضر أخي (علي) الى الرباط خصيصا لحملي على ذلك متحملا مع شقيقي (محمد) نفقات المعيشة حتى إنهاء رسالة الدكتوراه وهذا ما كان .. عدت وانغمست في الدراسة بعد انقطاع وبدأت في كتابة الرسالة .. التي اخترتها في موضوع استرداد المجرمين في (القانون الدولي الجنائي) .. تحت إشراف الأستاذ (جاردينو) .

فرغت من الرسالة وتمت المناقشة في شهر أغسطس سنة 1983 وهنا لا يفوتني أن أذكر واقعة طريفة تصور مايفعله العنف والقهر في علاقات الناس .. علمت عند عودتي للدراسة مجددا أن في الكلية (طالب ليبي) وحيث إنني كنت مطاردا متخفيا لايعلم بوجودي إلا عدد موثوق به من الأصدقاء فإنني استربت وقدمت نفسي إليه باعتبار إنني مغربي وحرصت على أن تكون لقاءاتنا عابرة سريعة .. وفي احد الأيام شعرت برغبة شديدة في أن أقتحم هذا الحاجز الذي صنعته أدوات التفريق والقهر .. ففاجأته بقولي (ياخوي الهادي أنا ليبي واسمي فلان الفلاني) اندهش الرجل فقد كان يسمع عني في ليبيا حيث مارس المحاماة بعد خروجي .. وشعرت بسعادته وعفويته فدعوته في اليوم التالي الى بيتي للغذاء وتحدثت معه بمنتهى الوضوح والصراحة عن قضايا الوطن ومعاناة أهلنا فيه ووجدت منه تجاوباً أزال ما لدي من شكوك وهواجس وهو اليوم فيما اعلم يعيش في فرنسا ولم يعد الى ليبيا.. (انه الصديق الهادي شلوف)..

في بلاد الرافدين :

كان لابد من التفكير في المرحلة القادمة بعد حصولي على شهادة التخصص العليا في العلوم الجنائية .. فأبواب الوطن لازالت موصدة بالإرهاب والعبث والعسف .. راسلت عددا من الجامعات العربية وحصلت على قبول مبدئي من (جامعة العين في الإمارات .. وجامعة وهران في الجزائر) إلا انه مع استكمال إجراءات التعيين اتضح لهم وضعي السياسي فاعتذرا عن القبول ،، لم يعد أمامي سوى اللجوء الى العراق .. ففاتحت بعض الأصدقاء الليبيين الذين يقيمون هناك (أنصار حزب البعث) كما كاتبت الدكتور (سعدون حمادي) رحمه الله والذي كان رئيسا للمجلس الوطني آنذاك وتربطه بشقيقي (علي) علاقة قديمه وثيقة .. وعرفته بدوري سجينا سياسيا في قضية حزب البعث في ليبيا سنة 1962 عندما كنت أزوره صحبه شقيقي كان هناك قبول لطلبي .. جعلني احزم أمتعتي واصحب محبوبه والأطفال وانتقل للإقامة في بغداد ..

كانت حرب الخليج الأولى في أشد مراحلها 1984 وكانت المنطقة تعيش إيقاع المعارك .. وسط تضامن عربي مع العراق خاصة من دول الخليج ، أبدى العراقيون تجاهي كرما ومعامله كريمه ، حيث خصصوا لي بيتا للسكن وسيارة خاصة للتنقل .. وحصلت بمساعدة صديقنا

المرحوم (سعدون حمادي) على وظيفة في مركز البحوث القانونية التابع لوزارة العدل وبعد ترتيب مقابله من قبل الدكتور حمادي مع الدكتور (منذر الشاوي) وزير العدل .. تم التحاقي بالعمل بالمركز كباحث قانوني ومتعاون في إعطاء محاضرات مع المعهد القضائي .. الذي كانت تديره مع مركز البحوث القانونية إدارة واحدة برئاسة (د.رشدي خالد) .. بدأت العمل بحماس شديد وكان الجو العلمي بالمركز مشجعا على ذلك فللباحثين مكاتب مستقلة وسكرتيريه خاصة ويتوافر المعهد على مكتبه قانونية غنية في كافة فروع وتخصصات القانون وكان المعهد والمركز يضمان نخبة من ألمع أساتذة القانون في العراق منهم د: (ضياء الدين شيت خطاب) والذي كان قبل تقاعده رئيسا للمحكمة العليا العراقية وهو شقيق المؤرخ والكاتب الإسلامي المعروف (محمود شيت خطاب) كان الأستاذ ضياء موسوعيا ظريفا لماحا متواضعاً.. صحبته في إحدى المرات بناء على رغبة أبديتها للسلام على شقيقه (محمود شيت خطاب) الذي كان يعقد كل ثلاثاء مجلسا في بيته يلتقي تلاميذه وأصدقائه في حديث يحوي الثقافة والفكر والتاريخ .. وشئ من السياسة في حذر وحيطة (فللحيطان في العراق آنذاك آذان) رحب بي كثيرا حين علم إنني من ليبيا وذكر لي أسماء أصدقاء له في ليبيا منهم على ماأذكر السيد (نوري الصديق) والأستاذ المرحوم (عبد المولى دغمان) ... وقد روى لي أن الأخير كان سببا في القطيعة بينه وبين (القذافي) من بداية السبعينات حيث طلب آنذاك من القذافي إطلاق سراح (الأستاذ دغمان) من السجن .. والذي حكمته محكمة عسكرية خاصة برئاسة (سليمان شعيب) بعشر سنوات في ما عرف بقضية فزان والزبير السنوسي) وذكر بأن القذافي وعده بذلك وبشكل قاطع ولم يف بوعده رغم مراجعات الأستاذ (محمود شيت خطاب) له ... وعندها كما قال حرفيا (لم أعد أثق فيه فلا أخلاق لمن لا وعد له) كما ورد في الحديث الشريف .. كذلك تعرفت بالدكتور (سلطان الشاوي) وهو متخرج من نفس كلية التخصص الجنائي في روما وقد كان رئيسا لجامعة بغداد حتى سنة 1979 ليواجه بعدها حدثا دراميا مرعبا ... في صيف نفس العام استلم (صدام حسين) الحكم خلفا لأحمد حسن البكر وأعلن عن وجود مؤامرة ضده تسندها سوريا أسفرت عن إعدام خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة منهم (عدنان حسين) و(محمد عايش).. اتهم الدكتور (الشاوي) في المؤامرة قبض عليه وأثناء التحقيق ذكر بأنه أخبر (محمد عايش) عن مفاتحة أحد الأشخاص له ورفضه الانضمام للمجموعة التي كانت تعترض على تسلم صدام حسين السلطة (المطلقة)

خلفا للبكر.. لم يصدقه أحد وحكم عليه بالإعدام من محكمة حزبيه وجاء يوم التنفيذ وادخل الدكتور (الشاوي) ساحة التنفيذ ليواجه مجموعة الرمي من أعضاء فرقته الحزبية وتم ربطه على سارية التنفيذ .. وفجأة جاء من يأمر بإيقاف التنفيذ في الدكتور بعد أن عُثر على التقرير الذي أشار إليه في مكتب (محمد عايش) احد القياديين في المجموعة المتهمة .. وهكذا كتب له عمر أخر .. أثار هذا الحادث لازالت تلاحق الدكتور الشاوي يمكن ملاحظتها من رعشة مفاجئة تنتابه بين الحين والأخر .. وهكذا هو الظلم والقهر وغياب العدالة !! تم اختيار الدكتور شكري خالد لعمادة (كلية صدام للحقوق) وهي كلية جديدة يتم الاختيار فيها على أساس التفوق الدراسي والولاء الحزبي .. خلفته في إدارة المركز والمعهد مؤقتا الدكتورة (زكية عبد الفتاح) وهي خريجة من أمريكا من الستينات سيده فاضلة وعالمه جليلة .. زاملني الأستاذ (نشأت الحديثي) وصـــرنا أصدقاء حميمين والدكتور (علي جمعة) الذي كان ديوانا شعريا متنقلا ..أمضيت في وسط ومناخ المعهد زمنا جميلا قمت خلاله بترجمة كتاب عن الايطالية (عن معاملة المسجونين) نشره المركز سنة 1987 والفت كتابا عن (الجرائم ضد السلام في القانون الجنائي الدولي) قمت بطبعه بعد رجوعي الى ليبيا سنة 1988 ... كان إيقاع الحياة في بغداد يبدو طبيعيا الى حد كبير .. رغم المعارك الطاحنة على الحدود .. كان العراق يسجل صمودا أسطوريا في وجه القوات الإيرانية وكانت جبهته الداخلية مؤمنه الى حد كبير .. كانت أعداد اليد العاملة المصرية تسد النقص في مجال الخدمات والإنشاء الذي نجم عن حالة الحرب .. ووجود أكثر من مليون مجند مرابطين يردون العدوان . كان العراق رغم الحرب يعيش نهضة هائلة وكانت الحياة الثقافية والفنية تعيش حالة من الحركة والنشاط .. لم يكن قاطن بغداد يشعر بحالة الحرب سوى ما حدث بعد 1985 عندما بدأ الإيرانيون (حرب الصواريخ) .. يوجهونها الى بغداد عشوائيا لتصيب في معظمها أهدافا مدنية وكم كان مؤلما لنا آنذاك مااعلن من أن (ليبيا) قد زودت الإيرانيين بعدد اثنى عشر صاروخا بطواقمها لغرض إطلاقها على بغداد .. كنا نشعر بالخجل من أطفال العراق وشيوخها .. وضحايا هذا العدوان ومن نظرات العراقيين الذين يعلمون أننا من ليبيا .. اذكر إنني كنت بصحبة (محبوبه) وابنتي الصغيرة (عايدة) في احد المتاجر القريبة من منزلنا للتبضع وكان يعمل بهذا المتجر شاب مصري تعرفنا عليه .. وكان يعمل في مدينة مصراته.. وكان يساعدنا في الحصول على بعض السلع التي كانت تشهد اختناقات في التوزيع ... وجدنا مع هذا الشاب صاحب

المتجر الذي استفسر عن جنسيتنا وفور أن ابلغه الشاب بأننا من ليبيا امتقع وجهه وقطب جبينه وصاح بعصبيه ظاهر (يابا خلصونا من شركم)! اسقط في يدنا ولم أجد ما أواجه به الموقف سوى رد جرى على لساني بصورة عفوية (يأأخي شرنا وشركم واحد) وتركنا حاجياتنا وخرجنا فورا .. لحق بنا الرجل معتذرا بعد أن افهمه الشاب المصري وضعنا على مايبدو .. يومها لعنت الغربة ومفارقة الوطن مهما كانت الظروف ورجعنا الى البيت ملفوفين بسحائب الحزن والاكتئاب .. واذكر إنني بدأت في تلك الليلة قصيدة (وجع الغربة) التي ضمها ديواني الأول ومطلعها :

أرح ركابك من حل وترحال
كفاك عقدان لم تهدأ على بال
مابين دجله والرباط مسيرها
سير طويل مثقل الأحمال
وفيها أيضا :
لله ما أقسى الحياة بغربه
الليل فيها يستحيل ليالي
والمرء فيها نبتة شيطانه
مجهولة الأعمام والأخوال
والذل يغرس في الكرامة نابه
يرمي الفؤاد برمية ونبال)

كتبت في تلك الفترة مجموعة من المقالات المتعلقة بالشأن الليبي في مجلة (الطليعة العربية) التي كانت تصدر في باريس أسبوعيا مموله من القيادة القومية لحزب البعث ويرأس تحريرها الصحفي الفلسطيني (نصيف عواد) كانت مجموعة المقالات تحمل عنوان (أوراق ليبية) أصدرتها بعد ذلك في كتيب بنفس العنوان قامت بطباعته إحدى فصائل المعارضة آنذاك ...(انظر الملحق)

استمرت سنوات الغربة والسياحة في أرض الله اثنى عشر عاما مابين القاهرة وتونس والمغرب والسودان وأوروبا وأمريكا والعراق .. كانت في مجملها تجربة غنية جذرت معنى أن

يكون للإنسان وطن.. ومدى المعاناة التي يعيشها الإنسان حينما يسد الوطن بابه في وجهه لأي سبب كان.

خبر وفاة الوالدة :

آخر مرة رأيت فيها والدتي كانت سنة 1983 في روما عندما احضرها شقيقي (علي) لتراني وهي في طريقها معه الى الكويت حيث كان يقيم ويشغل منصب أمين عام منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (اوبيك) .. فرحت بها كثيرا فلم أكن قد رأيتها منذ خروجي من ليبيا سنة 1977 .. كان اللقاء محتشداً بكل مشاعر الفرح والتأثر .. وكان حضنها مليئاً بدفّ الأمومة ودفقات الحنان .. كنت أبكي في هذا الحضن .. وكانت هي تردد (قوي عزمك .. الرجال خلقوا للشدائد) .. سافرت الوالدة صحبة شقيقي بعد أن قضت معنا بضعة أيام .. كان فرح الأولاد بها لا يوصف .... فهاهم يعانقون (الجدة) التي طالما حدثناهم عنها وكانت (محبوبه) تبكي طوال الوقت من شدة الفرح ... حتى وهي تقوم بواجب الضيافة .. وعندما جاءت ساعة الوداع وحلت لحظات الفراق كان وقعها عليّ كالزلزال المدمدم والإعصار المدمر مما جعلني ألزم الفراش أياما ... أغالب الجرح وأكابد الفقدان ... خاصة وان إحساسا ما قد غمرني بان هذا هو اللقاء الأخير !! ســـافرت وبقينا في غربتنا التي تلهبنا بهجيرها اللافح ... انتقلت بعدها الى بغداد كما سبق وان ذكرت .. وفي النصف الثاني من سنة 1986 وصلني الخبر المفجع .. كان أخي علي قد وصل الى بغداد صحبة ابنته (ليلى) لحضور اجتماع لوزراء النفط العرب يعقد هناك .. وأقام ليلته الأولى بمنزلي .. وفي الصباح أخبرتني (محبوبه) انه خرج عائداً الى الكويت عن طريق البرّ لان زوجته أخبرته بأن (الوالدة مريضة وتريد رؤيته) .. كانت لا تريد إبلاغي النبأ دفعة واحدة ، حاولت تطميني .. إلا أن إحساسي ذهب مذهبا آخر وأيقنت أن (أمر الله قد نفذ) ... بكيت .. واحتسبت ... وصبرت ورضيت بقضاء الله ... ولم اقل إلا ما يرضيه ... غير أن ألماً لازال يصحبني حتى اليوم .. وحرقة لازالت تسكن أعماقي حتى هذه اللحظة .. ليس فيها أي اعتراض على أمر الله وقضائه ولكن مصدرها ..إنني لم أكن هناك في بلدي ... أدرج أمي الى قبرها ، وأتقبل فيها العزاء وأُواسي الأهل والأحباب ويواسونني ... عندها ازداد حنقي ومقتي لأدوات العسف والإرهاب والاستبداد التي حالت بيني وبين ذلك ...

كان صديقي و أخي المرحوم الأستاذ (عبد الكريم بلّو) و زوجته الفاضلة (نبيهة) و ابنتهما (أمل) خير من أعانوني على احتمال هذا المصاب الجلل ... كما جاء الإخوة الليبيون المقيمون في العراق وقاموا بالواجب وحضر بعض الأصدقاء العراقيين والجيران لمواساتي وأقمنا (مجلس عزاء) نصبت أعمدته مشاعر الحزن والفقدان..

الشاعر الذي أكلته السياسة .

لايفوتني وأنا أتحدث عن سنوات الغربة أن أعرض لعلاقتي بالمرحوم (عبد الحميد البكوش) .. عرفت البكوش كشخصية عامة مبكرا ورأيت فيه ذلك السياسي المختلف المتميز والذي يحاول أن يطرح أفكارا سياسيه ورؤى فكرية في بلد لم يعد يعرف ذلك .. منذ الأربعينات قبل الاستقلال .. كانت دعوته (للشخصية الليبية) محاولة للبحث عن (معنى الكيان) وقد صاحب دعوة البكوش حملات إعلامية كان اغلبها للأسف .. صدى لصوت السلطة وعزفا على أوتار وصولية وانتهازية ، ولم تكن ترمي الى التأسيس والتطوير ورسم ملامح الشخصية الوطنية ... كانت كعادة كثير من الكتبة والطبالين تزلفاً وتقربا لصاحب السلطة طمعا في تحقيق مصالح ومآرب شخصية .. وهو ماجعل هذه الأصوات تتوارى وتنسحب فور مغادرة البكوش كرسي الوزارة .. فلم نعد نسمع لها ركزاً ولا همساً ...وهذا ما دفعني الى كتابة موضوع في (جريدة اليوم) التي كان يرأس تحريرها (عبد الرحمن الشاطر).. (1968)بعنوان (دعوة الشخصية الليبية هل أدت أغراضها وبلغت مراميها ؟) .. علاقتي الشخصية مع الرجل بدأت في سنة 1975 حين كان يقيم في منزله بقرقارش في شبة إقامة جبرية كنت أتردد عليه مع عدد قليل جدا من الأصدقاء يكاد يحصيه العدد (عبد الله شرف الدين .. أمين مازن .. ناصر عبد السميع ... احمد الحريري) وكان أن غادرت ليبيا سنة 1977 وغادر هو ولجأ الى القاهرة .. هناك تعرفت عليه عن قرب وجالسته واستمعت إليه وللأمانة والحقيقة لقد كان عقلا نيراً ووجدانا زاخرا .. وعاشقا وفيا لبلاده ... لم أكن على اتفاق معه في خطه السياسي وتحليلاته ورؤاه غير أن ماشدني الى هذا الرجل هو ذكائه اللماح وقدرته على الحوار وثقته في نفسه وغنى مخزونه المعرفي والى جانب ذلك دماثة أخلاقه وتحضره في التعامل مع الآخرين وصبره على المكاره .. وخبرته العميقة في شؤون الناس والحياة كذلك شاعريته

المتدفقة الزاخرة بالمعاني الكبرى والمشاعر المتوهجة حبا وعشقا لليبيا ... وأذكر أنني كتبت في سلسلة مقالاتي (بصوت الطليعة) .. مقالة بعنوان (الشاعر الذي أكلته السياسة) تمنيت فيها لو بقى البكوش شاعرا ولم تقذف به الأقدار في بركة السياسة التي ربما جعلتنا نخسر شاعرا كبيرا .. رحم الله أبا الوليد كان إحدى محطات الغربة المتميزة ..(انتقل الى رحمة الله سنة 2007 في الإمارات)..

الغارة 16 ابريل 1986 :

كنت أتهيأ للذهاب الى العمل حين أقبلت عليّ محبوبه دامعة العينين مضطربة .. راعني ذلك وسألتها بلهفة .. ماذا حصل ؟ .. فأجابت بحشرجة وانفعال .. لقد ضرب الأمريكان (طرابلس وبنغازي) في غاره جوية ... كان اقرب مقعد منقذاً لي من وقع وهول صاعقة الخبر .. جلست مستفسراً فأحضرت لي جهاز الراديو وصرنا نبحث عن الإذاعة الليبية .. وبدأت هي محاولات الاتصال الهاتفي بأسرة أخي في الكويت وأصدقائنا في الخارج ... عثرت على إذاعة (صوت الوطن العربي) كما كانت تسمى آنذاك .. فوصل الى صوت نداءات متشنجة وبيانات موثورة .. بعضها للملايين كي تزحف ... وغير ذلك من الهراء ....

يا إلهي بلادي تضرب بالقنابل ... وأهلي يموتون والناس يروعون .. كل ذلك تسديدٌ لفاتورة جنون حاكم مجنون .. وثمناً لمغامراته ... حاولت تسقط الأخبار من المحطات الإذاعية والوكالات ... وصلتنا أخبار مطمئنة عن أهلنا في (طرابلس وبنغازي) .. وحمدنا الله ...

ظل السؤال عن الهدف السياسي من الغارة وما يهدف إليه الأمريكان ... وجاءت الإجابة بعد ذلك انه مجرد (قرصة ودن) على رأي المثل الليبي ... إذ سرعان مابدأ القذافي رحلته نحو الدخول في بيت الطاعة الأمريكي ..

وجاء علاء :

كانت بغداد تقصف بصواريخ القذافي في تلك الليلة التي حملت فيها محبوبه لتضع مولودها في عيادة الهلال الأحمر (بالمنصور ببغداد) كان الوقت ليلا .. تركتها وعدت الى

البيت للعناية (بريما وغسان وعايدة) ... حيث أعددت لهم طعام الإفطار (على غير عادتي في الاتكال على محبوبه في كل شئ) .. وعند الظهيرة هاتفتني إحدى الممرضات في البيت لتزف بشارة ميلاد ولد (كلش زين) على حدّ تعبيرها..

شرعت في إعداد وجبة الغذاء للأطفال وأنا أحس بفرح غامر فها هو قادم جديد ينضم الى إخوته ويساهم في إدخال البهجة في قلوبنا التي نهشتها عذابات الغربة .. أبلغت بيت أخي في الكويت الذين بدورهم ابلغوا أهلنا في ليبيا وكانوا واسطة الاتصال ... فلم يكن الاتصال بليبيا مباشرة آنذاك ممكنا لأسباب لا تخفى على القارئ ... بعد أن ناولت الأطفال غذاءهم صحبتهم الى العيادة .. فوجدنا محبوبه قد أفاقت من التخدير وفي صحة جيدة والفرح يطفح في عينيها ...

ناولتني كتاب (الجنوبي) الذي كتبته (عبلة الرويني) زوجة الشاعر الكبير (أمل دنقل) وكانت قد أخذته معها حين دخولها للعيادة في اليوم السابق .... وعلى صفحته الأولى قرأت بقلم الرصاص ماكتبته محبوبه فورا إفاقتها من (البنج) (علاء)....... خرج الى هذا العالم جميلاً وعلى وجهه ابتسامة أذهلتني ...خرج ومعه محبّة لم يقو قلبي على حملها...فبكيت وقرأت أية الكرسي أحد عشر مرة!!)..

أقبلت احد الممرضات تحمل (علاء) الذي كان وجهه الملائكي يطفح بشراً ويسطع إشراقا ... ومرت المياه تحت الجسور سريعا ليشب علاء ويتشبب ويصير اليوم (2007) طالباً جامعياً .. مجتهداً في تحصيله العلمي ومجتهدا أيضا في (الخروج من جلباب أبيه وأمه) وتحقيق ذاته ...!!

العودة المحزنة إلى الوطن :

والله ماجئناك ياوطني .... إلا لنشرب نخب حسرتنا

(أحمد الشهاوي)

كان يوم 2 مارس 1988 يوما فارقا في حياتنا .. ايقظتني محبوبه مبكرا ذلك الصباح .. لتقول لي هل تصدق أن (القذافي) أفرج عن جميع المساجـين .. لم يكن الوقت مبكراً يسمح بالمزاح نهضت وبـــدأت تسقط الأنباء وإجراء الاتصالات تأكدنا من أكثر من مصدر

... عندها اتخذت قراري بالعودة الى ليبيا فقد بدأت الغربة تأكل النخاع وتصل الى الأوردة والأولاد بدأوا يكبرون ويتساءلون عن أهلهم .. وعن أقاربهم وعن هويتهم وكانت أسئلتهم موجعه لا املك لها إجابة وكلما تلاقت نظراتي مع محبوبه .. شعرت بذنب خفي وربما شعور بالخيانة في حقهم ..لماذا نزعتهم من تربتهم ليصيروا نباتا بلا جذور تعصف به الريح (عصفا مأكولاً) .. كان قراري نهائيا فرحت به محبوبه حينما أبلغتها به فرحا كبيرا وهي التي صبرت سنوات وسنوات دون أن تبدي تبرما أو ضيقاً .. شعرت أنها كانت تدوس على جراحها وتتحمل ماتنوء به الجبال .. لم اسع الى وساطة في العودة فحالما علمت أن أمر الرجوع ميسرٌ بلا عوائق في تلك الفترة عدت مع أطفالي ومحبوبه الى وطن تركته مكرها وعدت له طوعا..

إجازة ماقبل الحب .

أقمت في بداية رجوعي بمنزل شقيقي (محمد) الذي استقبلنا وزوجته بترحاب شديد واشتريت بعدها شقة في منطقة أبو هريدة من احد المجالس الاستثمارية التي كانت تبيع الشقق بالتقسيط وعدت الى العمل مع صديقي (ضو المنصوري) في مجال الاستشارات القانونية حيث كانت المحاماة الخاصة لا زالت ملغاة ..

دخلت (ريما وغسان) المدارس وعايدة الروضة وبدأنا في إعادة الاندماج في المجتمع الذي غادرناه منذ مايزيد عن أثنى عشر عاما جرت فيه مياه كثيرة تحت الجسور وشهد الوطن سنوات عجاف قاسية .. انعكست على نفسيات الناس وسلوكهم وطرق تعاملهم ... كان علينا أن نتكيف وان نهيئ الأطفال لتقبل هذا الواقع الجديد .. استعدت في فترة قصيرة حلقة أصدقائي ومعارفي فالله قد وهبني قدرة على ذلك احمده كثيرا عليها وبدأت الحياة تأخذ مسارها بشكل طبيعي والبلد يشهد انفتاحاً نسبياً في مجال التجارة والخدمات قياسا بسنوات الحرمان والتقشف التي لم يكن مبررها سوى (قلّة الخير) بدأت أفواج التجار التوانسه تغزو البلد ببضاعة منتهية الصلاحية أو سيئة الصنع والناس يلتهمونها ويقبلون عليها متزاحمين ثأراً لسنوات المنع والحرمان ... كانت أكشاك هذه البضائع تملأ البلد وتصل الى الطرق الخارجية .. وبعضها يفترش الأرضية في شوارع المدن..حتى أضحت تطلق على مناطق تجارية في المدن

الليبية اسم (سوق التوانسة)... كان النظام في ليبيا قد طوى صفحة حرب تشاد وخرج سالما من الغارة الأمريكية وبدأ في تطبيع علاقاته مع جيرانه العرب وداعبت بعض الآمال الناس في بدء مرحلة جديدة من الاستقرار والبناء المؤسس .. خاصة بعد صدور وثيقة حقوق الإنسان وإطلاق سراح السجناء السياسيين ورفع كثير من القيود على حرية السفر والتنقل والسماح بنوع من النشاط التجاري الخاص غير أن هذا الأمل قد ولد موءوداً ...!.

مطلوب من الانتربول ..

قلت بأنني عدت الى ممارسة مهنتي في مجال الاستشارات القانونية والتي بدورها قادتني الى التعرف على رجل أعمال إماراتي من أسرة متنفذه في الإمارات المتحدة (راشد المزروعي) والذي كان يشغل منصب رئيس الغرفة التجارية ... دعاني (راشد) الى زيارة الإمارات لمناقشة بعض الجوانب القانونية التي تتعلق بصفقه كان ينوي إبرامها مع جهة ليبية لشراء كميات من (الخردة) .. قبلت الدعوة وسافرت عن طريق (عمان) حيث وصلت الى (ابوظبي) في ساعة متأخرة .. فوجدت بعض موظفي (راشد) في انتظاري ....

تم كل شئ بيسر وسهولة ... واتجهت الى فندق (هلتون) وبعد أن ودعني مرافقي ... صعدت الى غرفتي استعداداً لنوم طويل بعد رحلة مرهقة .. إلا إنني فوجئت بجرس الهاتف يرن .... عند إجابتي ابلغني شخص يدعى (أكرم حمود) لبناني الجنسية ، ويعمل ضمن فريق موظفي (راشد المزروعي) وابلغني انه في الطريق الى الفندق بعد أن تلقى مكالمة من المطار تفيد بأن هناك (مشكلة) تتعلق بدخولي البلد ... جاء (أكرم) وباشر اتصالاته ... وبعد برهة يسيره ... صعد الى غرفتي ضابط بملابسه الرسمية مصحوباً بثلاثة جنود ... ذُهلت واستفسرت وانفعلت ... ورفعت صوتي بالاستنكار والاحتجاج .. بعد أن قالوا لي إن مشكلة بسيطة تتعلق باشتباه في الاسم ستتم تسويتها .... قلت بصوت اقرب الى الصراخ ... ألا يمكن الانتظار حتى الصباح لتسوية هذه المشكلة البسيطة !! أجابني الضابط بما يفيد عدم إمكانية ذلك .. وعليّ الحضور معهم الى المطار فوراً ودون أي احتجاج ... مهدداً بأن مواصلة الاحتجاج من جانبي قد تلجئهم لاستعمال أساليب أخرى لا يريدونها !!! ..

عرض (أكرم حمود) أن يصحبني في سيارته الى المطار فرفضوا بشدة ... استسلمت لقدري مرة أخرى ورافقتهم في سيارة الشرطة وبحراسه جنود (باكستانيين أو هنود) .. كما يبدو من سحناتهم .. كانت تباشير الصباح قد بدأت تتنفس في (ابوظبي) مندرة بيوم قائض ملتهب كما هي العادة في مثل هذا الوقت من السنة (شهر يونيه) ....

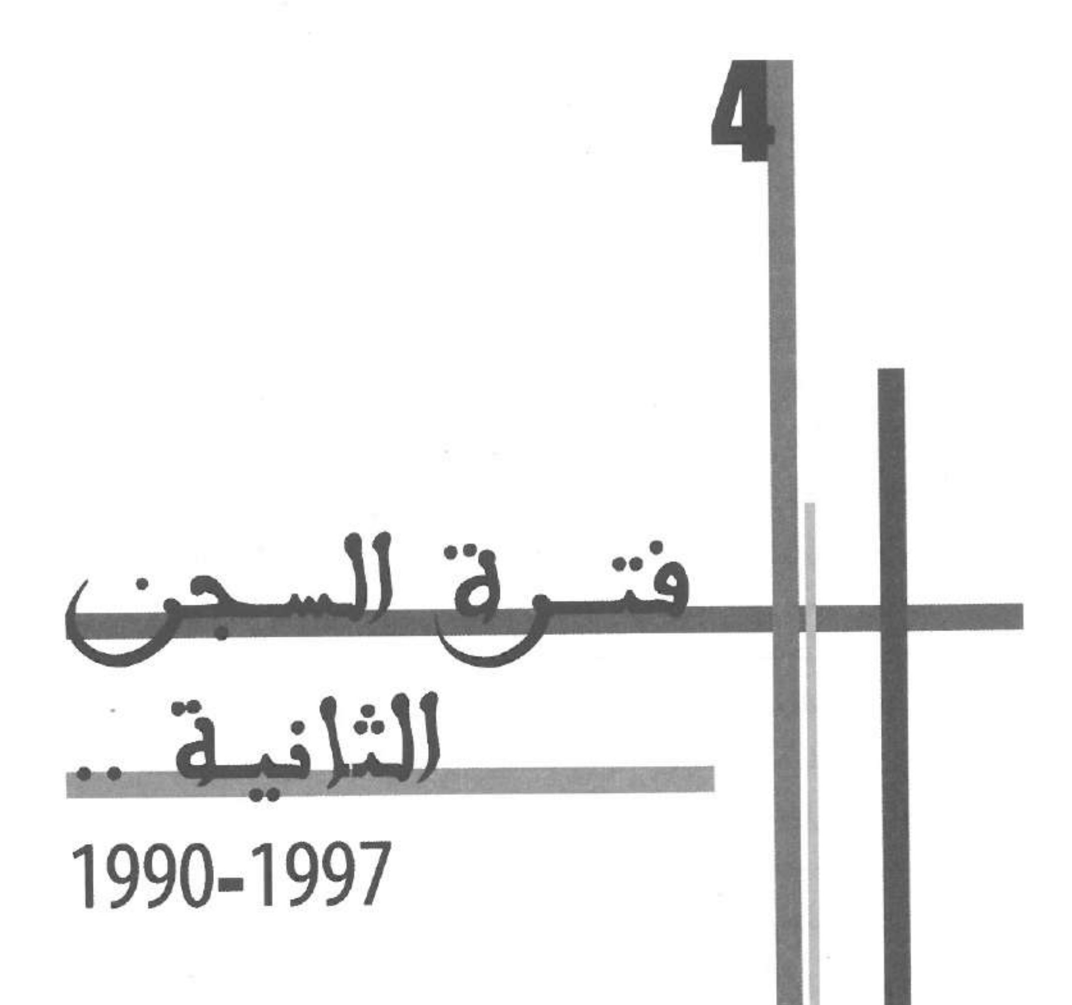
نقلت الى مقر أمني ... أودعت فيه في زنزانة ضمت معي ثلاثة أشخاص ... كل ذلك وأنا لا اعلم شيئاً عن سبب كل هذه الإجراءات الصارمة .. وأقصى ما ذهب إليه تفكيري أنهم لا يرغبون في دخولي للبلد ... لأسباب اجهلها ربما يكون احدها إنني كنت مقيماً في العراق ... مما قد يجعل التصنيف الأمني الساذج لديهم يصنفني (بعثياً) ..... شعرت بجفاف في حلقي والرغبة في شرب الماء .. فالسكري بدأ يفعل فعله .. طرقت الباب بقوة ... فتح (الكوة) حارس باكستاني فيما يبدو ... سمع ماطلبته وانصرف ... ولم يحضر لي الماء .. عاودت الطرق ففتحها هذه المرة شخص يرتدي (اللباس الخليجي) طلبت بإلحاح الماء واستفسرت محتجاً عن سبب وجودي .... وبأنني على استعداد للعودة الى ليبيا إن كانوا لا يرغبون في دخولي .. إنصرف متجهاً الى المكتب المقابل بعد أن ترك (الكوة مفتوحة) اقتربت وأصخت السمع والتقطت سؤاله لمن كان داخل المكتب قائلاً ..(الأخ الليبي شنو قصته!! ..) ... لم اسمع الجواب غير أن المقطع الذي ردده بعد سماعه الجواب قد جعل الأمر ينقلب رأساً على عقب .... حيث قال في اندهاش واستغراب ..(شنو مطلوب للانتربول!!) .. عاد فاقفل (كوة الباب) ولم يحضر الماء ... الآن تبينت السبب وانتابني شئ من الاطمئنان المشوب بالخشية والارتياب ... فلقصة (الانتربول) هذا قصه ....

.. عمدت السلطات الليبية في النصف الثاني من الثمانينيات في محاولة منها للقبض على المعارضين في الخارج واستلامهم .. الى ممارسة أبشع عملية تزوير (قانوني !!) حيث تم تجنيد أحد وكلاء النيابة ويدعى (حسن القنطري) بفتح تحقيقات وهمية مزورة مع قائمة من الأسماء المعروفة بنشاطها المعارض في الخارج كنت من ضمنهم .... مع غيري من الشخصيات المعروفة ...(عبد الحميد البكوش .. غيث عبد المجيد سيف النصر... محمد المقريف... على أبو زعكوك... محمود الناكوع ....) وغيرهم ....

بتغيير أسماء شهور السنة .. الى (التمور ... الكانون .. الفاتح ... ناصر ... الخ) .. أما أنا فلن تجد لدي جوابا شافيا ... ازداد انفعاله وحدته ... (وتوجه بالحديث للسيد راشد الزروعي) .. ياسيد راشد .. هذا مجرم خطير .. بطاقته حمراء .. أنا أحذرك منه .. رد (راشد) بانفعال بالغ ... عبد الله ألزم حدك أنا أعرف الرجل ... وأعرف أهله ... وأنا احرص منك على أمن الإمارات .. انكمش وتضائل المحقق .. وخرج (راشد) ليأتي بعدها من يستدعيني من عنده ويتجه بي إلي مكتب أخر ...

في فم المدفع .

دخلت مكتباً وجدت فيه الأخ (راشد) أيضا وعلى المكتب ضابط برتبة كبيرة(ضخم الجثة والكراديس) على مكتبه لوحه صغيرة تحمل اسم (العقيد عبد الله المدفع) .. استقبلني الرجل بود ... ثم سألني ماهي قصتك مع النظام في ليبيا؟ ... فأجبته بأنها قصة طويلة قد لاتكفي أسابيع لسردها !! ... فقال أقصي حكاية (الانتربول) فأجبته بأنني سأدلل له عملياً عن زيف وتزييف هذه القصة .. فأنا على يقين بأنه الى جانب (بطاقتي الحمراء) توجد لديهم بطاقات أخرى ... فأوماء برأسه موافقاً .. ذكرت له بعض الأسماء وهو يقلب بعض الأوراق وكلما ذكرت اسماً أجاب .. نعم موجود.!! عندها رويت له القصة .. مما جعله يقتنع ويسمح للسيد (راشد بمصاحبتي) على ضمانته انتظاراً للرد من السلطات الليبية التي سيبرق لها مستفسراً ... ذهبت صحبه السيد (راشد) عائداً الى الفندق وقمت بإجراء اتصالات في ليبيا من جانبي للتسريع بحل الأشكال خاصة أنهم يعرفون بأنني سافرت من ليبيا لأعود إليها ... كان ذلك اليوم يصادف يوم الخميس فأمضيت الجمعة في قلق وتوتر ... وفي صباح السبت جاءني السيد (راشد) حاملاً جواز سفري وتذاكري ومتعلقاتي التي تم حجزها معي ... وعلمت منه أن سبب توتر (الضابط عبد الله) وانفعاله انه ظن بان صفقة العمر سوف تتم على يديه .... ذلك لان مجموعة من المتهمين (الفلسطينيين) الفارين من الإمارات بعد قيامهم بمحاولات تفجير في بعض الحدائق العامة في (ابوظبي) موجودون في ليبيا .... وها قد جاءت فرصة لاستلامهم مقابل تسليمي !! لكن مكر الله كان فوق مكرهم .... وسافرت عائداً الى ليبيا وأنا اشعر أن خيوط مؤامرة لا زالت تحاك ضدي وأن رجوعي الى ليبيا سوف لن ينهي مسلسل الاضطهاد والايذاء ... وهكذا كان ....



4

فترة السجن الثانية..

1990-1997



رحلة السجن الثانية

رغم أنني انصرفت الى محاولة بناء مستقبل مهني وحياة مستقره وركزت على عملي وترسيخ جذور الأسرة اجتماعيا في ليبيا بعد انقطاع طويل إلا ان ما كان يجري لم يكن يدعو للاطمئنان .. فبعد مرور اقل من سنة على صدور الوثيقة وإطلاق سراح السجناء فيما عرف (أصبح الصبح) بدأت أوائل سنة 1989 حملة اعتقالات واسعة لمجموعات كبيرة من الشباب في جميع أنحاء ليبيا ممن عرفوا عند الناس (بشباب السنة) وأطلق عليهم النظام صفة (الزنادقة) وخطب القذافي خطبة نارية وصف فيها المعتقلين بأنهم (كالمصابين بالسرطان من الدرجة الرابعة) ودعى أهلهم الى نسيانهم واعتبارهم في عداد الأموات .. كانت نذر ومؤشرات العودة للمربع الأول تلوح في الأفق وتنبئ بجولات جديدة من العسف والقهر وغياب الضمانات القانونية ... ومضت الأيام بين الأمل والتوجس والريبة والتطلع حتى كان يوم 4 رمضان ..13 ابريل 1990 .. عندما أيقظتني زوجتي حوالي الساعة العاشرة صباحا لتخبرني بأن شريكي في المكتب (ضو المنصوري) يطلب مني الحضور فورا الى المكتب استغربت هذا الاستعجال وذهبت الى مكتبي لأجده جالسا الى مكتبه وأمامه اثنان .. (علمت فيما بعد بأنهما منعاه من مغادرة مكانه حتى حضوري) سلمت وتركتهم لأدخل مكتبي لحقا بي وبعد عبارات المجاملة التقليدية ذكر لي أحدهما بان على أن أصحبهم لمدة (خمس دقائق) وفيما لاحت مني ابتسامة أردف (إنها حقا خمس دقائق للاستفسار وليس (خمس الدقائق التي في دهنك)!! وعندما سألتهما عن السبب ذكرا بأنه مجرد استفسار عابر .. ذهبت معهما وأنا لا أعرف ولا استطيع التخمين عن سبب هذا الإجراء .. أودعت مبنى المباحث الجنائية في شارع النصر دون سؤال مما زاد حيرتي وفي المساء أخذت في سيارة (المباحث) الى مجمع

المحاكم ومثلت أمام الأستاذ (احمد مريحيل) رئيس نيابة جنوب طرابلس .. وعندما واجهني بالتهمة الملفقة ضحكت سخرية واستشعرت خطرا مبيتاً ... انتهى التحقيق في ساعة متأخرة ليلا وكان يتركز حول اتهامي (بالتحريض) على اغتيال احد أعضاء السفارة الليبية في روما سنة 1984 أجبت بما يفند هذه التهمة وينفيها خاصة وان المحقق قد واجهني بأقوال متهم أخر ،، ذكر بأنه حضر لي في روما بغرض القيام بعملية الإغتيال وإنني حرضته على ذلك .. مما يؤكد انهيار أركان الاتهام .. فإذا كان المتهم قد حضر الى روما وهو ينوي القيام بفعلته فما اثر التحريض اللاحق إن صح حيث من المعلوم بداهة أن التحريض المعاقب عليه في المساهمة الجنائية هو الذي (يخلق فكرة الجريمة في ذهن الجاني) ... أما ماورد في الأوراق فهو لا اثر قانوني له ... أيقنت أن مؤامرة ما حبكت ونسجت لتوريطي .. علمت بعدها أن (إبراهيم البشاري) كان المخرج الرئيسي للمسرحية حيث اخبرني المتهمان الأخران معي بأنه اجتمع بهما ووعدهما بالخروج فورا وطي الملف لمجرد الاعتراف علي وعلى نفسيهما وقد بلعا الطعم وانطلت عليهما المكيدة !! بعد إنهاء التحقيق أرسلت الى سجن بو سليم الذي ما أن عبرت بوابته الرئيسية حتى تغيرت طريقة المعاملة كليا .. حيث ثم وضع كيس (من الخيش) على راسي يحجب الرؤيا ويكتم الأنفاس وبدأت اسمع عبارات الاهانة والنهر والتقريع بدون سبب وبعد إجراءات التسجيل في ادراة السجن نزعت نظارتي الطبية ولما أوضحت لهم عدم قدرتي الاستغناء عنها ابتسم احد الجلادين واسمه (عبد القادر التاورغي) وقال ماعندك ماتشوف داخل !! (لقد اثر ذلك على قوة بصري وأصابني (بالميه البيضاء) التي أجريت عليها أكثر من عملية بعد خروجي من السجن) .. قادني عبد القادر من يدي بعد أن أعاد وضع الكيس الخيش على راسي عبر ممر طويل كان يطلب مني أثناء السير أن اخفض راسي مما ولد لدي إيحاء باني انزل في سرداب عميق ولم يكن الأمر كذلك ولكنه بداية ممارسات القهر والتنكيل والإيذاء النفسي .. قذف بي في زنزانة مظلمة سعتها متران في ثلاثة بداخلها دورة مياه .. وفي الصباح حالما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود بدأت في استطلاع ملامح وأجواء الزنزانة لأفاجأ بصورة قاتمة .. بقايا دماء على الجدران .. خيوط عنكبوت بالية .. مجموعة من الفئران الصغيرة تتسلق الجدران وتلهو بين السقف وفتحات الممر المعتم ،، وكأنها تشهد على ظلم الإنسان وقسوة الطغاة . كنت بعد مدة من قذفي في الزنزانة التي كان يلفها هدوء قاتل حسبت معه أنني هنا وحدي حتى سمعت صوتا ينادي (السلام عليكم) وبحذر شديد رددت السلام

.. ليسألني الصوت عن اسمي وتهمتي ولم أكن في وضع من الثقة في مصدر الصوت ما يجعلني أقدم إجابة صحيحة فأجبته بما أتفق حينها ... وتكررت الاستفسارات من باقي الزنازين .. وهكذا بدأ التواصل مع من سأقضي معهم قرابة (ثلاثة أشهر) في السجن الانفرادي ..

زنـازين السـردين البشـري .

يتكون قسم الزنازين من قاطعين كل قاطع يحوي على عشرين زنزانة انفرادية صممت لشخص واحد يعيش فيها ضيق السجن المركز .،، غير أنني فوجئت بان زنزانة (19) و(20) تحوي كل منهما على أربعة من السجناء تعرفت على أسمائهم فيما بعد اذكر منهم (خالد الهنقاري) (العريبي) (الزواوي) وغيرهم .. لم يكن الأمر متصورا وأمام استحالته منحهم الجلادون أسرة تُركب فوق بعضها.. كانت معنويات هؤلاء الشباب في أحسن حالاتها يقرأون القرآن ويلقون الدروس يوميا بعد العصر والتي تتناول عبراً من تاريخ الإسلام .. أو مواعظ منبرية مكررة .. ولم يكن لديهم أي احاطه أو أُفق أو تحليل سياسي أو مضامين اجتماعية هادفة ..جلهم تلاميذ نجباء لمدرسة التلقين والتلقي .. ولكنهم يتقدون وطنية وصدقاً .

كانت بداية دخولي السجن في أوائل شهر رمضان 1990 ... رمضان الموائد العامرة وسهراته الطيبة وأجوائه الاجتماعية المميزة ..عندما خرجت من الزنزانة لجلب (وجبة الإفطار) في أول يوم وقفت بعد أن دلق الحارس (ماءً ساخناً ملونا في صحني) انتظر أن يعطيني شيئا أخر خاصة قطعة لحم (رمضانية) إلا أنه نهرني على وقوفي وطلب مني الانصراف فانصرفت وكلمات السباب والاهانة تتناثر حولي .. حتى دخلت زنزانتي .. كان الوقت بعد العصر بقليل وعلى انتظار حوالي ساعتين حتى يحين موعد الإفطار فقمت بفت رغيف الخبز الذي يوزع علينا صباحا في هذا (المرق المائي) وانتظرت موعد الإفطار .. وأنا لا أكاد أصدق أن هذا هو نمط الإعاشة في رمضان .. ولكنني تعودت بعد ذلك وأصبح الأمر عندي مألوفا لايثير أي شعور بالتذمر ... فان لم تواجه محنتك بصبر ووعي وتجلّد فسوف تبتلعك وقد تقضي عليك وهو مايوده ويريده من وضعوك في الجب ... استمرت حياتنا في الزنازين رتيبة ليس فيها مايملأ

فراغها القاتم ... فلا خروج للتهوية .. ولا كتب للقراءة بل ان الكلام والتواصل مع الزنازين الأخرى أمر مجّرم يؤدي الى العقاب الشديد إذا انتبه الحرس الى ذلك واذكر إنني في ليلة عيد الفطر 1990 وبعد أن أيقظني صوت الحرس وهو يعلن أن غدا عيد وان وجبة السحور التي لم تتجاوز مغرفة من (المكرونة المبكبكة أو الرز المطبوخ بدون لحم) قد ألغيت ... وبعد أن توقعنا ابتعاد الحرس بدأنا في تبادل التهاني بالعيد .. وبينما كنت مستغرقا في حديث مع احد قاطني الزنازين .. الذي لم أره حتى ذلك الحين إذا بباب الزنزانة يفتح ... ويدخل حارس (التوكة) واسمه (ضو) ومعه احد الحراس الآخرين ... وأخرجوني أمام باب الزنزانة وبدأ الحارس في ضربي وتسديد لكمات الى وجهي وصدري ثم التقط (الشبشب البلاستيكي) الذي كان ينتعله وبدأ في ضربي على كتفي بما خلف أثرا وزرقة داكنة لم تختفِ لأكثر من عام بعدها .. ثم أدخلاني الزنزانة بعد أن طلبا مني أن ادلهم على الشخص الذي كنت أتحدث معه.. ولما أعلمتهما أني لا اعرف رقم الزنزانة ولا اعرفه شخصياً.. قفلا باب زنزانتي لأسمعهما يفتحان احد الزنازين الأخرى عشوائياً واسمع صراخ استغاثة من قاطنها الذي يبدو انه كان أكثر ذكاءً مني فصراخه واستغاثته جعلتهما لايطيلان مدة ضربه ويبدو أن ذلك احد أهدافهم .. ومن المفارقات الطريفة حسب ماروى لي الإخوة الذين كانوا يتلصصون من ثقوب باب الزنزانة لرؤية المشهد المؤلم أن (الحارس الأسمر) الذي قام بضربي قد استند فور خروجه من زنزانتي على الحائط واخرج (بخاخه) الأكسجين ووضعها في فمه وهو يلهث .. لقد كان مصاباً بضيق التنفس (الازما) وهكذا يربى الطغاة الجلادين على احتراف الإجرام وممارسة التعذيب بسادية مقيتة ...

تلقيت بعد أن هدأ الجو (مكالمات!!) المواساة ورفع المعنويات من قاطني الزنازين الأخرى .. ولا زلت اذكر صوت (أبو ذر) ذلك (التارقي) الأسمر (عرفته فيما بعد في الجماعي) والذي كان عضوا من حركة اللجان الثورية قبل اكتشافه لضلالهم وانحرافهم (حسب تعبيره) إذ رفع (أبو ذر) صوته عالياً مردداً بيتا من الشعر ..

ياظـلام السـجن خيّـم
اننـا نهـوى الظـلامـا
ليـس بعـد الليـل إلاّ
فجـر صبـح يتسـامـا

لم أشعر أن الاعتداء قد لامس أي شعور لدي بالإحباط أو المهانة أو الغبن فانا أعي أن تلك ضريبة غياب القانون وهذا قدر المناضلين الشرفاء بل إنني وحتى هذا اليوم لا اشعر بأي ضغينة وحقد تجاه من عذبوني بل اعتبرهم جزء من ضحايا هذا الواقع المأزوم ...

بداية حفظ كتاب الله :

في احد الليالي فتح باب الزنزانة والقى الحرس بحقيبة (ساكو) على أرضية الغرفة وانصرف .. فرحت كثيرا بذلك فنحن محرومون من كل شئ وإرسال مثل هذه الحاجيات يعتبر حدثا كبيرا كما أن وصولها هو الحدث الأكبر ... فا أهالي السجناء يبعثون لأبنائهم دورياً بما يستطيعونه ومنهم من يقتطع ذلك من قوته وخبزه ولكنها لا تصل .. حيث يتقاسمها الحرس (غنيمة) فيما بينهم .. فرحت بالمفاجاءة خاصة وأنني تلمست في الظلام وجود (كتاب) خمنت انه مصحف حيث لايسمح بدخول غيره للسجن -.. وحينما تنفس الصبح زادت فرحتي حينما تأكدت من ذلك .. وبدأت رحلة الحفظ على الطريقة التقليدية .. حيث لم أكن قد تعلمت (أحكام التلاوة) بعد ، حيث تعلمتها على يد إخوة كرام في (الجماعي) جزاهم الله عني كل خير .. سعدت بصحبة كلام الله وعشت في أجواء معانيه وصوره وعظاته .. الأمر الذي خفف عني وقع ألآم العزلة والقيود ..

لم أكن حتى هذه اللحظة أفكر في محبوبه والأولاد !!.. لقد ألهمني الله صبراً وصرف عني التفكير فيمن تركتهم لا عائل لهم ... صغاراً يخطون خطواتهم الأولى في الحياة ... كنت مطمئنا بأن الله لن يتخلى عنهم كذلك إخوتي وأصدقائي وفوق ذلك ثقتي في محبوبه وقدرتها على مواجهة الصعاب وتجربتها في عراك مصاعب الدنيا وكذلك حكمتها وحسن تدبيرها ... لقد أعفاني ذلك مما قد اعترى بعض الزملاء نتيجة طول التفكير والانشغال بمصير الأسرة وما قد يحل بهم في زمان ومكان لايستطيعون معه فعل أي شئ لهم ....

الخروج من الزنازين :

في ساعة مبكرة من الصباح جاء الحرس يطلبون منا بعد فتح الزنازين حمل الفراش

وحاجياتنا القليلة والخروج أمام الزنازين ليقودونا بعد ذلك عبر الممر نحو قواطع السجن الجماعية .. كان أمامي شاب نمت لحيته حتى غطت معالم وجهه ضئيل الجسم نحيف البنية يتعثر في فراشه وعندما أدخلنا القاطع بدأ طابور السجناء يدخلون بعض الغرف الفارغة وكان نصيبي مع هذا الشاب (الذي تعرفت على اسمه عبر (مكالمات) الزنازين) في غرفة جماعية وضعت فيها أنا وهو فقط .. وهكذا بدأت فترة معايشة ومعاناة مع (رضا الكزة) وهو مهندس ينتمي الى عائلة الكزه الشهيرة من شيوخ (قبيلة العواقير) مهندس تخرج من كندا .. لم الحظ لديه أي خلفية أو ثقافة سياسية لكنه كان يتوهج وطنيةً وغيرةً .. على ما يحدث من عبث في وطنه ، كان وجودنا فرصه لمواصلة حفظ القرآن الكريم الذي دخلت فيها مرحلة جديدة من تعلم أحكام التلاوة ...... ولذلك قصه في الغرفة الملاصقة لنا مجموعة من الشباب اتصلنا بهم عن طريق فتحه في الجار وهي لمن لا يعلم ضمن الفتحات التي يتم رفع الألواح الإسمنتية عن طريقها في مثل هذا النوع من البناء تمكن السجناء قبلنا من فتحها وغضّ الحرس الطرف عنها .. فصارت وسيلة للتواصل بين السجناء عن طريق هذه الفتحة بدأت تعلم الأحكام على يد شاب صغير من بنغازي اسمه على ماأذكر (عبد الكريم الغزالي) الذي أطلق على نفسه اسم (عبد الحق) وهي عادة درج عليها اغلب سجناء الجماعات الإسلامية تعلمت الأحكام وأتقنتها وتذوقت بها حلاوة التلاوة والترتيل لآيات الذكر الحكيم ... فيما عدا ذلك كنت أتبادل أحاديث منوعه مع رضا واستمع الى نكاته وقفشاته حيث كان خفيف الظل مرحا .. وإن كانت لحظات الضيق والحزن والتبرم تأتيه دون سابق إنذار وكان يسميها (التكوبيس) .. كانت صلتنا بالعالم وبما يجري في بلادنا متقطعة نهائيا ولا نعلم شيئا عما يدور حولنا لقد كان يصدق علينا قول الشاعر :

عُزلنا عن الدنيا وعن وصل أهلها
فلسنا من الموتى ولسنا من الأحياء
اذا جاءنا السجان يوماً لغاية
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

تطورت (مكالمات) الزنازين الى (اتصالات) في القاطع الجماعي مع باقي السجناء عبر الفتحات التي أشرت إليها وعبر سبل مواصلات (مبتكره) مع الضفة المقابلة من الحجرات

عن طريق قذف رسائل وإيصال أغراض بعد ربطها بخيط رفيع عادة يستل من الأغطية والفرش وهو آمر محفوف بالمخاطر اذا ما اكتشف من قبل الحرس فإلى جانب عقاب الشخص المتلبس بالفعل يعاقب الجميع جماعيا وفقا للقاعدة العسكرية الشهيرة والحقيرة ..... (الحسنه تخص والسيئة تعمّ) كذلك تواصلت مع بعض السجناء من مصراته كانوا في القاطع الخامس ويتم إخراجهم (في الاريه) التي تطل عليها حجراتنا كنا نتواصل من خلال الفتحات ونسأل ونتعارف .. فللتعارف داخل السجن طعم آخر ... فيكفي أن تعرف عائلة السجين أو احد من أقاربه لتشعر بفرح غامر وتواصل كبير عرفت من هؤلاء (الشيخ ابوالقاسم امليطان) و(رشيد ابوعجيله) و(كمال بن حميده) و(مبروك الهنيد) من درنة وغيرهم (تم قتلهم جميعاً في ألمذبحه التي سنتعرض لها فيما بعد) كان وجودي مع رضا في غرفة جماعية كبيره فرصه لممارسة التمارين الرياضية والمشي في أرجائها لساعات طويلة ولعل ما مارسته من رياضة وما حققته من نتائج مرضية على الصعيد الصحي .. لم أحققه في الخارج قبلا ولا بعداً بل إنني أجدها مناسبة للتذكير بفضل الله على ومنته .. فقد كنت قبل دخولي السجن أعاني من الم الفقرات والذي يقعدني في كل عام لمدة أسابيع طويلة طريح الفراش .. هذا الألم الذي لا يعرفه إلا من ابتلى به ... لم يعاودني منذ دخولي السجن ، برطوبته وعطنه حتى هذه اللحظة ولله الحمد من قبل ومن بعد ...

المحكمة والحكم .

في هذا الأثناء كنت أتردد على المحكمة .. وكان نقلنا إليها يتم بطريقه إرهابية منافية لأبسط قواعد حقوق الإنسان حيث كانت أكياس الخيش تغمر رؤوسنا وأيدينا مكلبشه ونلقى على أرضية السيارة الكبيرة التي تقلنا الى المحكمة وتبقى على هذا الحال حتى لحظة ادخالنا للمحكمة حيث يزيلون هذه المظاهر لنبدو أننا جئنا للمحكمة في وضعية إنسانية مقبولة ... كنا نرتدي ثياب السجن الزرقاء والتي كتب على ظهرها حرف (س . ع) والذي تعني سجن عسكري ... ونحن متهمون .. كما يزعمون في قضية تدخل في اختصاص النيابة العامة والقضاء المدني ... الذي لا يعرف وضع السجناء المدنيين في سجن عسكري ... بدأت المحاكمة وقام الدفاع عني مشكورا أخي وصديقي (إسماعيل الطاهر) وكان يثير أمام الغرفة

وبعدها المحكمة مايظهر ويكشف فصول المسرحية ... وكيف أن الذي من المفترض أن يكون متهماً رئيسياً قد تم تحويله الى مبلّغ عن الواقعة ولم يسمح للدفاع بسماع أقواله أو استدعائه ... وهنا ظهر أن الأمر مدبر ومبيت ...

عندما أعود من الجلسات كنت اروي (لرضا) ما شاهدته ... وجوه الناس كلمات بعض الأصدقاء والأهل وما يراودهم تجاه وضعنا ... اصف له بخيال الشاعر صور النساء اللاتي تصادف وجودهن في القاعة ومنهن محاميات ... فالجوع للأنثى وغياب حضورها من اكبر واشد عذابات السجن ... يتسلى رضا ويضحك ويعلق ويروي لي شيئا من مغامراته وكذلك أحلامه العاشقة فقد كان خاطبا يستعد للزواج ..

عزات وجاب الله .

كان في الغرفة المقابلة لنا (جاب الله مطر) و(عزات المقريف) عرفنا منهم من خلال مراسلات من تحت الباب تفاصيل تسليمهم من قبل السلطات المصرية .. وكيف تم استدعائهم من قبل المخابرات المصرية ونقلهم بطائرة خاصة الى ليبيا وكان (عبد السلام الزادمه) هو المشرف على عملية النقل والتسليم .. كما علمنا منهم بان المخابرات المصرية قد سلمت ما معهم من أوراق ومذكرات وقد كان (عزات المقريف) يسجل في أحداها الوقائع التي يمر بها في يومه بشكل منتظم وكانت مليئة بالأسماء والحوادث وأعلموني بأنهما قد أدليا بكافة المعلومات التي يعرفانها وهنا بطل العجب لدى (رضا الكزه) .. وعرف سبب اعتقاله فهو قد تقابل في القاهرة أثناء زيارته لها سائحا بـ(عزات المقريف) وتبادلا حديثا حول الأوضاع في ليبيا اعتبر من جانب (عزات المقريف) انضماما للكزه الى (جبهة الإنقاذ) ... وهو ماكلف رضا أثنتى عشرة سنة من السجن والمعاناة !!

كانت معاملة جاب الله وعزات متميزة .. كان لديهم موقد كهربائي لعمل القهوة والشاي وراديو قاما من خلاله بتزويدنا بقطوف وببعض من أخبار العالم وببعض أحداث حرب الخليج الأولى وغير ذلك من نتف الأخبار وكان رضا يطلب منهم إعلامه عن أخبار دوري كرة القدم وموقع نادي (الأخضر) الذي كان يشجعه حيث انه من قاطني مدينة البيضاء واستمر هذا

الحال حتى تم نقل جاب الله وعزت الى حيث لا نعلم .. ولازال مصيرهما مجهولا سوى من بعض التكهنات التي ترجح إعدامهما على هامش (مذبحة بوسليم) .. 2007 ....

الحلاقة صفر والحملة الدامية :

طالت الشعور واللحي .. وصرنا نعاني من ذلك ... خاصة في غياب وسائل النظافة والعناية بالشعر .. مما جعلنا على يقين بان ذلك كان عقوبة لنا .. خاصة للشباب الذين كانوا يحرصون على إعفاء اللحي إتباعا للسنة كما يعتقدون .. كان قد مرّ علينا أكثر من عام ونحن على هذه الحالة ، ولم يكن أمامنا سوى الصبر والدعاء بأن يرق قلب سلطات السجن وتمكننا من الحلاقة (عند حلاق السجن!!) .. وذات مساء وقبل آذان المغرب بقليل سمعنا فتحاً للأبواب في غير موعد توزيع الطعام وفي ذلك نذير شؤم لنا ... فتح باب الحجرة ووقف ببابها (السفاح عبد القادر التاورغي) وهو يرتدي جلبابا مغربيا منفوش الشعر متجهم القسمات محمر العينين .. ليعطينا شفرة (حلاقة) واحدة وماكينة قديمة يعلوها الصدأ ... أمرنا بان يحلق كل منا للآخر .. في مدة ساعة على الأكثر وإلا فالعقاب والتنكيل .. وكان يمسك في يده (هراوة غليظة تقارب كتفه طولاً) .. أغلق الباب وبدأت حفلة الدم .. قام رضا أولا بحلاقتي وكانت الغرفة تزداد إظلاما وليس بها مصباح كهربائي ... كانت قوة نظر رضا وصغر سنه وثبات يديه سببا في أن الخسائر في رأسي مجرد جروح غير قطعيه ..ونثرات من الشعر ملطخة بالدم ... ولمجرد أن جاء دوري (في غياب نظاراتي) حتى بدأت ينابيع الدم تنفر من رأس رضا وهو يتألم ويحاول مساعدتي على تلمس المناطق التي تستوجب الحلاقة في رأسه ... فتح باب الغرفة في هذه اللحظة ودخل حارس اسمه ضو ... ورأى المشهد الذي رق له قلبه رغم قسوته وأمرني بالتوقف وقام هو بإكمال المهمة .. بعد أن استحال رأس الكزه الى مايشبه (الدلاعه) التي انقلبت أحشائها على قشرتها ...

في المساء ... رعب وتنكيل :

ذهب الحرس وبقينا نجفف الدم ونحاول كف النزيف بما لدينا من خرق باليه ... ولم يمض

سوى وقت قصير .. حتى بدأ احد السجناء وكان يقبع في غرفه مواجهة منفرداً... بدأ هذا السجين واسمه (الصديق البلعزي) خطبة بصوت جهوري تعرض للنظام ولإدارة السجن (ولخيري خالد شخصيا) كان يطلق سيلاً من النعوت والشتائم ويدعوا الله أن ينتقم من الظالمين ... كنا نسمع ونتوجس فالكلام الصادر لايمكن أن يمر .. خاصة والحرس كانوا يسمعون ويتنصتون بعد أن جلبهم صوته الجهوري المرتفع ... (كان الصديق يعاني من حالة إنفصامية ظاهرة) وكان مصابا بداء العظمة وخياله مشبع بالأوهام .. اتهم في قضية السطو على فرع احد المصارف في (منطقة الفلاح) مع مجموعة صغيرة وحين القبض عليها ذكر بأنه فعل ذلك لتمويل تنظيمه الذي سيقيم الدولة الإسلامية برئاسته .. علمنا ذلك بعد أن دخلنا مرحلة (الخروج الجماعي للساحة) .. المهم هنا ، أن (عبد القادر التاورغي) و(خليفة المقطوف) وهما من اشرس وأحقر الحراس وأكثرهم قسوة وعدوانية دخلا عليه الغرفة وبدأ الضرب بالهراوات والعصي وهو يستغيث ويتأوه وهم في جريمتهم سادرون .. استمر الضرب دون مبالغة لأكثر من ساعة حتى سكت الصوت وتركاه ونحن على يقين من انه فارق الحياة ... لم ننم تلك الليلة رعبا وتحسبا خاصة بعد تهديدهم لنا بأنهم عائدون والدور علينا ... وهنا أود أن أسجل مفارقه سجنيه لا يعرفها إلا من عاشها وهي أن سماعك لاستغاثة إنسان وهو يضرب اشد وقعاً مما لو كنت أنت محلاً للتعذيب ...

قرب الفجر جاءنا خبر من الحجرات الأخرى أن (الصديق) على قيد الحياة وان كانت حالته الى الموت اقرب ، فيا لقسوة القلوب وشراسة النظام .. أمضينا تلك الفترة في انتظار وترقب وقلق ...

الحكم بالبراءة والمكوث في السجن :

صدر حكم ببراءتي من القضية الملفقة وصار الأمل في إطلاق سراحي يتوارى يوما بعد يوم وبعد مرور مايقارب الشهر تم نقلي الى حجرة أخرى رفقة (نوري الشريف و صلاح الكوافي) اللذين حكما بالسجن المؤبد نتيجة اعترافاتهم الناجمة عن جريمة (البشاري) التي أشرت إليها ... وجيء معنا في الغرفة بشخصين فلسطينيين ينتميان الى تنظيم (ابوالعباس) لارتكابهما جريمة قتل احد الأشخاص في معسكر التنظيم بجنزور (سيدي بلال) .. سمح لنا في البداية بالخروج للتهوية لمدة ثلاث ساعات يومياً.. ثم تم منع ذلك؟؟

كان (ابو احمد) احد الفلسطينيين المحكومين شخصاً لئيماً مزايداً ... يقوم بنقل مانتداوله من تعليقات جارحه في محق النظام وهو(أمر طبيعي لسجناء مكبلين) .. الى الحرس الذين كانوا يغضون النظر وينهرونه أحيانا ولم يعطوا للأمر أهمية .. فما كان منه إلا أن ألح في طلب مقابله (الآمر) بحجة أن لديه أمور شخصية يود عرضها عليه وحالما تمكن من ذلك .. ذكر للآمر في حضور أعوانه (إننا نتمنى تدخل الأمريكان لإسقاط النظام وكرر وزاد وبالغ فيما نقول) .. عندها فوجئنا بحضوره مع الآمر الذي أوقفنا والقى فينا (خطبة) مليئة بالتهديد والوعيد والكلمات البذيئة وغادر بعد أن كرر وعده ووعيده ... شعر صاحبنا بالانتصار وبدأ يطلق نفس عبارات التهديد التي تقيأها الآمر .... واستمر على ذلك حتى نفذ صبري فاشتبكت معه وأوقعته أرضا وأوسعته ضرباً مما جعله يستنجد بالحرس .. الذين حضروا إلينا ويبدو أن للحرس له معه تجربة طويلة أطلعتهم على لؤمه وأنانيته وكذبه .... وبعد أن روينا لهم ماحدث قام رئيسهم واسمه (حمزة) على ماذكر بأمر أفراد الدورية بإعطائه فلقه وحذره من مثل هذا السلوك الحقير تجاه (زملائه) الذين يقطنون معه في نفس السجن !! .. ومنذ ذلك اليوم صار سلوكه منضبطاً تجاهنا حتى أفرج عنه وعن زميله ..عندما بدأ ترحيل (المنظمات الارهابيه !!) في محاولة لاحتواء أزمة لوكربي ..

نورالدين الشريف .. وصلاح الصادق .

أرى لزاماً علي الإشارة الى رفقتي التي رسمها القدر لهاذين الشابين اللذين يتقدان وطنية وحماساً راعهما ما يحدث في بلادهما .. فهاجرا بحثا عن مستقبل أفضل .. حاولا إكمال دراستهما في الولايات المتحدة على حسابهما الخاص إلا أن السبل تقطعت بهما ... مارسا أعمالا يدوية لأجل تأمين لقمة العيش .. صادف وجودهما في الخارج مرحلة اتسمت بالاستقطاب والتحشيد من قبل (الفصائل) التي بدأت تتشكل في بداية الثمانينات من القرن الماضي ، في أجواء مشبعه بغياب الوعي وسحائب الوهم ولعبة دولية بأطرافها الإقليمية والدولية ... وهكذا وجد نور الدين وصلاح نفسيهما في وسط استغل حماسهما واندفاعهما وبحثهما عن دور ووسيلة للعمل من اجل الوطن ... ودفعهما التنافس بين (الفصائل) الى الاندماج والاستجابة الطوعية لكل ما كان يعرض عليهما حتى انتهى بهما الأمر الى ما انتهى إليه ...

(نورالـدين) .. يتسم بالعفوية والاندفاع ... مشبع بثقافة مرحلته التي تنظر بإعجاب الى (الفتوه) بمفهوم (عيال البلاد!) .. في بنغازي يفتقر الى الثقافة والوعي وان كان يتسم بالذكاء ولديه الرغبة في تطوير نفسه ... سلوكه يحوي كثير من مشاعر الود تجاه الآخرين وان كان الأمر لا يخلو من انفلاتات عصبيه ... قد تدفعه أحيانا الى العراك والاشتباك العضلي ... كثيرا السؤال عن قضايا الفكر والسياسة .. دون استعداد لفهم واستيعاب مايقال له بالخصوص.

(صلاح الكوافي) .. هادئ الطبع رزين في تصرفاته بطئ في استجاباته ، دخل السجن وهو لا يعي من أمر السياسة والعمل السياسي شيئا ليس له هدف أكثر من القيام بأي عمل مناهض للنظام .. دون قدرة على التمحيص والتقييم والاختيار الواعي ... ولذلك كان تأثره بالمناخ السائد داخل السجن .. وتقبله للاستقطاب من قبل الجماعات الإسلامية سهلا وسلساً .. بل دفعه في فترة من الفترات الى التطرف ومبالغه ورد فعل تجاه ما كان عليه ....

الجماعي ... جحيم الآلفـة ،

مكثنا بعد الإفراج عن الفلسطنيين نحن الثلاثة فترة من الزمن زاد فيها الاحتكاك الذي ولد مزيدا من الألفة والتفاهم وان لم يخلو الأمر من مشاحنات وصدامات سرعان ما تتم السيطرة عليها ...

وذات صباح .. دخل علينا الجرس وأمرنا بتجهيز حاجياتنا ومتعلقاتنا القليلة .. وأدخلنا في الغرفة المقابلة التي كان بها نحو عشرة من الشباب (اذكر منهم محمد محيه ... نبيل بن عثمان ... ابوبكر جمعة .... صلاح ابو شعاله ....صابر الشاعري .... وغيرهم) ... بعد أن أخليت غرفتنا لقادمين جدد ... تم التعارف مع الشباب بيسر وسهولة وكان الوقت شهر رمضان فاندمجنا معهم في أجوائه التعبدية والروحية ... وكم سررنا لوجود جهاز راديو (بالسماعات) لديهم ولم نسألهم عن طريقة حصولهم عليه ... كنا نتابع الأخبار .. وتركيزنا على قضية لوكربي وتداعياتها...ونستمع الى صلاة التراويح بصوت (الشيخ الدوكالي العالم).

هـؤلاء الشباب ... نظـرة تقييميه !!،

يدفعني الحديث عن (السجن الجماعي) وقد مررت بعدة مراحل فيه أن أتعرض الى

الشباب الذين عرفتهم ومحاولة تقييم حالتهم ، وابدأ بالتقرير بأن المرحلة التي اكتب عنها 1990-1997 ، تعتبر من أقسى المراحل التي مرت بها تجربة السجن .. أقول ذلك ولذي شهود وشواهد .. فبعد دخولي السجن بفترة تزيد قليلا عن السنة منذ دخولهم (يناير 1989) وجدت معتقلا بل بوابه جحيم لا يمكن تصوره .. المعاملة القاسية .. التعذيب الممنهج ... انعدام الظروف الصحية .. الحرمان من وسائل الاتصال بالعالم الخارجي .. الاكتظاظ في الغرف المغلقة المعتمة التي تفتقد لكل المرافق الصحية وكل ما يوجد فيها مستهلك .. محطم .. انعدام التهوية .. عدم الخروج للساحة لفترات تصل أحيانا الى أكثر من السنة بصورة متواصلة .. عدم وجود الزيارات العائلية أو أي وسيله للاتصال ... فأنا على سبيل المثال لم أر أطفالي ومحبوبه طيلة سبع سنوات سوى مرتين (وقيل أنها تمت بواسطة كبيرة!!) ... عدم وجود أي مادة للقراءة (سوى المصحف الشريف) وعدا ما كان الشباب يحصلون عليه بطريقتهم الخاصة .... ويشكل في مجمله كتابات ومادة دينية تتفق مع توجهاتهم ... وهو الأمر الذي لا زال دون تفسير منطقي عندي حتى الآن!! .

كنت مؤمنا بأن خطاب القذافي عقب القبض على هؤلاء الشباب والذي أشرت إليه .. قد هيأ أجواء قاتمة ظالمة قاسية كان للزبانية دور في تجسيدها على أرض الواقع ...

كانت الأمراض .. وخاصة مرض (السل) تسرى في القواطع سريان النار في الحطب ... ولم يكن يجد علاجا أو استجابة من سلطات السجن حين طلب نقل المصاب الى المستشفى .. واذكر أن احد الشباب وهو مهندس زراعي من منطقة مرزق اسمه (سالم هارون) وكان معنا في الغرفة (10) من قاطع ثلاثة بعد انتقالي إليها في احد (رحلات) التنقل بين الغرف التي كانت تحكمها ضرورات (الضيافة) وقدوم النزلاء الجدد ... وكذلك مزاج الحرس ... قلت بأن هارون أصيب بالسل .. وبقى معنا ونحن نحاول مساعدته ونغمره بالتعاطف والإشفاق المشوب بحذر وخوف من العدوى .. بقينا أسابيع نستجدي الحرس في نقله الى المستشفى فحالته خطيرة تهدد بالموت ونحن معه في خطر محدق ، لم نلق استجابة واستمر إلحاحنا .. حتى نقل ذات يوم وفرحنا واستبشرنا وودعناه وهو بين الموت والحياة .. فأخيرا تحركت ذرة من المشاعر الإنسانية لديهم ... ولكن ماعلمنه منه بعد خروجه من السجن قد جعلني ازداد يقينا بأن

هؤلاء لا ينتمون الى فصيلة البشر .. فقد القوا به في الزنزانات الانفرادية .. وبقى هناك وهو الذي لايستطيع حراكاً حتى أغمي عليه تماماً ولامس حاجز الموت ... عندها تم نقله للمستشفى ليموت هناك .. وقد كان الله فوق كيدهم وكتب له الشفاء.

هذا نموذج لكثير من الحالات التي مات فيها أصحابها وبقوا داخل الغرف ليوم كامل قبل أن ينقلهم الحرس .. حيث يقوم زملائهم بتغسيلهم ... والصلاة عليهم .. لانعدام الثقة في أن تفعل سلطات السجن ذلك ...

نأتي الآن الى محاولة إلقاء نظرة تقييميه على مايحمله هؤلاء الشباب من أفكار ومعتقدات وتصورات في العموم .. وبشكل يكاد أن يكون مطلقا فإنهم جميعا ينتمون الى تيار (الإسلام السياسي) بمختلف تشعباته .. وفي المقابل فإن حصيلتهم المعرفية والتعليمية ومدى استيعابهم للفكر الذي يعتقدون الانتساب إليه يتسم بالسطحية والتناول العاطفي والوجداني ، دون قدرة على الحوار أو حتى الدعوة الى مايعتقدون ... كانت تصنيفاتهم تنقسم الى أربعة مجموعات وهي :-

تيار الجهاد:

وقد تأثر هؤلاء بفكر الجهاد المعتمد من المدرسة المصرية ... حتى إنني فوجئت بتداول (كتاب) (العمدة في إعداد العدة) لمؤلفه (عمر عبد الرحمن) بينهم ليبقى السؤال كيف وصل الى أيديهم ؟ .. كان هـؤلاء يرددون أقوالا وأفكارا مقتبسه من كتاب (معالم في الطريق لسيد قطب) حول (الحاكميه – والطاغوت – وتكفير المجتمع الجاهلي – والفريضة الغائبة) غير أن ترديدهم لهذه الأفكار لم يكن يحوي عمقا وتحليلا بل كان كبطاقة حكم الكرة الحمراء .. يشهرونها في وجه من يحاول مناقشتهم كما كنت افعل !! .
بعض من هؤلاء ذهبوا الى أفغانستان وتحديدا الى (بيشاور) الباكستانية أيام احتلال السوفييت لأفغانستان وهناك تم استقطابهم عن طريق مكاتب وأوكار الجماعات الجهادية ... وتأثروا بهذه الأفكار دون هضمها أو القدرة على استيعابها بشكل ناضج ..

جماعة التكفير والهجرة.

وهؤلاء أكثر المجموعات تطرفاً وانغلاقا وعدوانية.. لديهم أراء في موضوع (الحاكمية) الذي يعتبرونه جزء من العقيدة وليس مقتضى من مقتضياتها ومن ثم هم يكفرون المجتمع كهيئة، والأفراد كأعيان، والحكومة كسلطة .. ولم يبق على نور وهداية إلا من ينتسب إليهم !!... تم وضعهم في غرفة واحدة ... يقاطعون الجميع ولا يبادلونهم حتى السلام .. يغلب على اغلبهم تدني المستوى التعليمي بل إن كثير منهم اقرب الى الأمية الكاملة ... كانوا يرفضون اخذ بعض قطع اللحم والشحم القليلة التي تحويها وجبات السجن البائسة ... كان الحرس يستغرب من ذلك وان كان يجهل السبب حتى علمّ بان السبب أن الذين قاموا بالذبح ليسوا مسلمين ... فكان رد فعلهم هجمة شرسة بالفلقة والعصي عليهم في غباء تام وانتقام بدائي .. لم يزدهم ذلك إلا إصرارا وعناداً واعتقاداً بأنهم على حق وأن مايتعرضون له من (الكفره) ليس سوى ابتلاء من الله سيجازون عليه بالجنة !!.

جماعة السلفية.

وهذه الجماعة هي إنتاج وصناعة سعودية .. متأثرون كثيراً بأفكار فقهاء السعودية الوهابيين أمثال .. (ابن باز ..العثيمين) اطلع بعضهم على هذه الأفكار أثناء الحرب الأفغانية التي كانت السعودية تقوم بالتعبئة لها وفي نفس الوقت استقطاب الشباب الى المدرسة الوهابية ... فيما يبدو انه ردّ على الأنظمة الثورية وشعوبيتها التي تستهدف النظام (الملكي) السعودي..هؤلاء أقل حدة و أكثر انفتاحا.. ويؤمنون بأن موضوع الحاكمية مؤجله الى حين (توافر المنعه والشوكه) وان الجهاد في هذه المرحلة لا يكون إلا لدفع (الصائل) ..وكانت العلاقة بينهم وبين مجموعة التكفير والهجرة تتسم بعدائية مطلقة ... تشهد أحيانا بعض الاحتكاكات والمشاكسات وحملات التشكيك والطعن في المعتقد من كلا الجانبين ...وقد دفع هذا الوضع الى حدوث (معركة) شرسة بينهم ذات يوم ... فبينما كنا في الساحة (التي كثيرا ما حرمنا منها) ننتهز الدقائق واللحظات للترويح والتشمس .. اذا بمعركة ضارية بالأيدي وبكل ماتناله تقع بين الطرفين .. انسحب الحرس الذي يقبع فوق السور وتركهم (ونحن بينهم) يتقاتلون...

لقد كانت هذه الشراسة والحقد والبغض والرغبة في الإيذاء ، أمرا مخيفا ينبئ بما يحمله هؤلاء الشباب من ضغينة وانعدام التسامح وغياب الحوار وإقصاء الأخر بل استئصاله .... أسفرت المعركة عن عدد من الجرحى بجروح بالغه وإصابات جسيمة .. وعندما فتح باب الساحة ودخل الحراس كانت الدماء تغطي ارض الساحة وجدرانها ... كان مشهداً رهيباً مؤلماً وحزيناً ، مما جعلني أتساءل .. أي مستقبل سنواجه لو قدر لأحد هذه الأطراف أن يسوس ويحكم أمر البلاد والعباد !!.

جماعة التبليغ والدعوة :

وهي جماعة معروفة في العالم الإسلامي ... تعني (بالتربية والتصفية) ويهتمون (بفقه الفضائل دون فقه المسائل) ولاتتدخل في الشأن السياسي ولا يعنيها سوى دعوة الناس الى الاستقامة وأداء الفروض الواجبة دينيا ... ولم يسبق لأي نظام إن اعتقلهم لعدم وجود خطر عليه من جانبهم .. بل إن النظام في ليبيا كان قد عين بعضا من رموزهم في مناصب رئيسية ودبلوماسيين (د. صالح التينار سفيراً في الفلبين) ... ولكن الفلسفة (المخابراتية) التي تقف وراء سبب اعتقالهم حسب ماروي لنا (محمد بوسدرة) بظرفه وخفة دمه المعروف ... بأنه حينما سأله المحقق وأورد له ما أوردناه .. أجابه ((يا فالح انتم توصلونهم الى المسجد ثم تتركونهم لتتسلمهم التيارات الأخرى ولو تركتموهم كما كانوا (حشاشين منحرفين) لما حصلت هذه البلوى)) .. انه منطق وقائي يحاكم النوايا ويعاقب على الفرضيات !! .. كان منهم صديقي (محمد سليمان القيادي) الذي كان يعمل بجمعية الدعوة الإسلامية ... وتأثر بمفكر باكستاني كان يتردد على الجمعية اسمه (الياس محمد) وله مؤلفات في مجال الدعوة تحوي فقهاً واجتهاداً .. ولم تكن تحوي توجها سياسياً ومع ذلك ذهب صديقي ضحية الغضب المحموم (رحمه الله).....

الإخوان المسلمين:

كان عددهم قليلاً جداً وجدتهم وصوتهم لا يكاد يبين ... خاصة أن هناك اتجاهاً ضدهم لدى التيارات الأخرى يعتبرونهم تيارا مهادناً قبل باللعبة الديمقراطية وأقر بشرعية الأنظمة

الحاكمة .. وبالتالي فان هذه الأصوات كانت تسلك مسلكاً اقرب الى (التقيه) مخافة الحصار والهجوم والمواجهة ..

العلمانية .

ذكرت بان الشباب كانوا يفتقرون للحد الأدنى من القدرة على الحوار أو المناقشة أو عرض حتى مايدعون الاعتقاد به ، كانوا يتنافسون في استقطاب الأعضاء خاصة وان الوسط خصب لذلك ... فكثير من هؤلاء الشباب قد جئ بهم في حمله عشوائية شعواء .... طالت في تلك الفترة كل من (قصر سراويله وأطال لحيته) وقذف بهم في السجن .. دونما تصنيف أو وعي باختلاف حالاتهم ... لقد ظن النظام بأنه سوف يستطيع بالمعالجة الأمنية القمعية القضاء على هذه الظاهرة وكانوا واهمين في اعتقادهم ... وهو ما أثبتته التجربة مع قادم الأيام .... (حوادث التفجيرات والاغتيالات وأحداث درنة والجبل الأخضر) ... سارع الشباب الى الانضمام الى احد المجموعات ليس اقتناعا بذلك ولكنه بحث عن الحماية والتواصل والاندماج .. وإلا سيواجهون الإقصاء والحصار (الهجر الجميل) ... (حاولت) الدخول مع (امراء هؤلاء الشباب) الذين نصبوهم عليهم لا لميزة في العلم والثقافة والفكر وإنما في الغالب الأعم (لقدرتهم الكلامية وتطرفهم وعدوانيتهم تجاه الأخرين) فلم أجد لديهم قبولا ... وكلما حاولت أن اقترب من غيرهم من الشباب (المغرر) ومحاولة شرح ضلالاتهم بأسانيد وأدله شرعية ... فحصيلتي في الفقه والشريعة تمكنني دون عناء من تبيان ذلك ... كان الرصد والمراقبة من قبل (الأمراء) تدفعهم الى تحذير الشباب مني ... وأشاعوا لديهم إنني (علماني) وهي تعني في قاموسهم وقاموس الإسلام السياسي (كافر) وبما أنني كنت أؤدي فروضي المكتوبة وأحفظ القرآن بدأب واجتهاد ... فكان عليهم أن يقنعوا هؤلاء بكفري وهنا استخدموا أمرا يدل على سؤ النية وفساد الطوية ..... كانت تصلنا بعض المواد الغذائية كل شهر من الاهل .. ولم تكن هذه المواد تصل لكثيرين ... الذين لاتمكن ظروف الفاقة والفقر اهلهم من ذلك ... فكان ان اقترحت عليهم ان نقوم بإقتسام ما يرد لبعض الاشخاص بالتساوي بين الغرف ووجدت قبولا لذى بعض الشباب للفكره ... صرنا نحمل ما يرد لنا الى الساحة وقمنا بتعيين لجنة للاقتسام والتوزيع ... لم يدم الأمر طويلا ، حتى امتنع من وافقوا على الفكرة ورفضوها جملة وتفصيلا .. ولم يبق الى جانبي سوى نفر قليل ... وأمام استغرابي من هذا

التصرف علمت أن فتوى صدرت من الأمراء بان ما يقوم به (عتيقة) هو نوع من الاشتراكية المحرمة في الإسلام ... (فالله فضل بعضكم على بعض في الرزق) حسب تأويلهم .... وهكذا صرت (علمانيا اشتراكيا) لديهم .. مما يستوجب المقاطعة (والهجر الجميل) حيث لا رد للسلام ولا تعامل يومي .. ولا مشاركة في الطعام ... ولا صلاة مع الجماعة .. إنها وسائل قاسية خاصة بين جدران سجن أنت أحوج ما تكون فيه للتعامل مع البشر ... وكانت الطامة الكبرى عندما قمت بكتابة وريقات (على ورق الصابون التايد) ببقايا قلم متسلل .. أوضحت فيها أن (العلمانية) ليست ضد الإسلام وان اسمها الصحيح (عالمانية) أي ماينتمي الى عالم الشهادة ... وان الإسلام دين علماني لأنه لم يدع الى (الدولة الدينية) وترك أمر الحكم وشؤونه للناس حسب ما يجد لهم من قضايا وما يستحدثونه من اقضيه لمعالجتها .... لم يؤثر ما حاولت طرحه وتبيانه عليهم .. بل انه لم يثر حتى جدلا بينهم ... لافتقادهم لأدواته .. كل ما افرزه هو مزيد من العزلة وصلت في نهاية الأمر الى صدام بيني وبينهم ، كان سببا في أن يقوم الحرس بعزلي عنهم واستجلاب مجموعة أخرى ممن يصنفون (بالمعارضة) .. وهو الأمر الذي جمعني بأناس اعرف بعضهم قبل السجن ومكننا من أن نضفي على حياتنا مرح النكتة البريئة .. والتعليق الخارج أحيانا !! وسرد الذكريات الماضية بما تحويه من شقاوة ونزق ... وصار ذكر الأنثى والتغزل بها أمرا مباحا ولو في الخيال ... كما أننا صنعنا من عجين الخبز رقعة شطرنج ومن علب الحليب ورقا للعب ... فصارت الحياة أكثر يسرا في التعامل .. هكذا كان حال هؤلاء الشباب الذين افرزتهم ثقافة التأزم السياسي ... واحتكار الحقيقة ... ومنع الرأي الأخر وغياب الحوار .. وأحادية التوجه ... التي تطرد من جنة (الثورية)!! كل من لايؤمن (بالدوغمائية) ولا يمجد (الصنم) ولا يعبد (الطوطم) ..

أنا والشعر :

كانت علاقتي بقرض الشعر قبل السجن علاقة واهية .. لاتتعدى بعض المحاولات غير المكتملة ولم انشر أي شئ من ذلك .... رغم إنني كنت قارئا نهما للشعر قديمه وحديثه ... ولدي ذاكره حفظيه مليئة بنصوص قصائد جاهلية وحديثه ومعاصرة ... وكنت في فترة الستينات أحفظ اغلب شعر (البياتي) و (صلاح عبدالصبور) ولم تتعد صلتي بالشعر هذه الحدود ... حتى كان السجن وكان استنفار أدوات المواجهة لهذا الواقع المضني والتغلب على

رتابة (الزمن المقيم) .. وهكذا وجدتني أدندن ببعض المقاطع وأتعامل مع صور شعرية تجسد معاناة الواقع اليومي الكئيب .. وكذلك محاولة الإفلات والانعتاق من جمود الجدران والانطلاق مع الرؤى والأحلام والاطلال على العالم الخارجي عبر خيال الشاعر وعذاباته .... بدأت اكتب نصوصا شعرية أخذت تتطور وتكتسب عمقا وجدانيا وتمكنّا لغويا خاصة وأنني عمدت الى دراسة اللغة العربية نحوا وصرفا على يد بعض الإخوة المتخصصين وتحديدا (الشيخ على الزعلوك .. قتل في المذبحة) و (محمد جويلي .. افلت منها رغم انه كان مندوبا عن قاطعنا في المفاوضات التي سبقت المذبحة على ما سيأتي ذكره) ... أعود الى الشعر وكيف إنني حرصت على تدوين القصائد التي كتبتها بطريقة تمنع عنها حملات التفتيش الدورية التي يهاجمنا بها الحراس بين الحين والأخر .... يصادرون بقايا الأقلام المهرية والأوراق وكل مايجدونه مكتوبا .. عندها تفتق دهني عن طريقه مبتكرة .. حيث قمت بكتابة النصوص على قطعة قماش (شرشاف) وقد دونت عليها عددا كبيرا من قصائدي .. ثم قام احد الإخوة (الحاج سعد الطاجون)... وكان معتقلا بسبب صله غير مباشرة مع (خليفة حفتر) وكان يتقن مهنة الخياطة منذ الصغر حيث قام بخياطة كيس مغلف بقطعة من غطاء الفرش السميك للتمويه وصمم هذا الكيس بطريقة تسمح باستعماله لحفظ الأدوية التي كنت أتعاطاها لعلاج مرض السكري الذي كنت مصابا به قبل دخولي للسجن ... وسمح لأهلي بتزويدي بهذه الأدوية .... المهم أتاح لي هذا الكيس الخروج بقصائدي من عدة معامع ووقائع .. كان أكبرها الليلة التي سبقت المذبحة كما سيرد .... وهكذا خرجت من السجن (شاعراً) ولازالت قطعة القماش التي هربت فيها القصائد تقبع في بروازها على جدران مكتبي الخاص للمحاماة والاستشارات القانونية ...

الطريق إلى المذبحة .

نحن الآن في منتصف السنة الخامسة والأحوال تزداد سوءا والمعاملة تزداد قسوة وشراسة ... في أواخر سنة 1995 فوجئنا بغياب الحرس وعدم حضوره الى القواطع لمدة 24 ساعة ... لم نزود خلالها بأي طعام ولم نسمع للحرس وجودا ... وصرنا نقتات بفتات الطعام ومالدينا من مخزون بائس (كبقايا الزميته .. والتمر) ولم نكن ندري مايدور حولنا .. وان كان توقع الأسوأ هو الذي يملا توقعاتنا وتصوراتنا .... بدأنا نترقب ... نسأل الله السلامة .... وفي

اليوم التالي جاءوا كالوحوش الكاسرة يحملون هراواتهم وخيوط الكهرباء المفتولة (كاو) .. وبدأوا في فتح الأبواب لتوزيع الطعام ... وسط سيل من السباب والوعيد ... خرج الشباب لجلب الطعام فالجوع بدأ ينهش بطوننا ... وما أن يخرج جالب الطعام من باب الحجرة حتى تستقبله ضربة عصا أو لسعة (كاو) وهكذا على طول الممر .... وحين يصل الى الحجرة ويقفل الباب نبدأ في تفقد الإصابات على الظهر والأكتاف والسيقان والمؤخرة واستمر هذا الحال يوميا وفي أثناء توزيع الطعام ثلاث مرات في اليوم .... حرمنا نهائيا من الخروج الى الساحة ... وصار جحيم الضرب والاهانة يغمرنا ويحيط بنا .. كما أنهم بدءوا عملية جديدة وهي العد اليومي للسجناء ... يبدأ بإخراج كل حجرة للممر واصطفافنا على الجدار بعد أن يطلب من كل شخص أن ينطق بصوت عال رقمه في الطابور .. كل ذلك وسط سيل من الاهانات .. وفي مرحلة تاليه صاروا يقومون بالعد داخل الحجرات بعد أن يجلسونا على الأرض في صفوف متتالية وظهورنا الى الباب .. كان واضحا أن ثمة شئ حدث ... علمنا فيما بعد أن بعض السجناء في قاطع (1) ومن داخل احد الحجرات قد تمكنوا من قص حديد النافذة العلوي بواسطة منشار تمكنوا من تهريبه داخل (برسيم تمر) وحيث أنهم كانوا مزودين بأسرة مركبة .. فقد تناوبوا لفترة طويلة على نشر حديد النافذة حتى تمكنوا من الهرب ... وصعد بعضهم الى حرس السطح واستولوا على سلاحه ثم اقتحموا البوابة الرئيسية وخرجوا وذهب كل الى سبيله ... وبعد بدأ عملية مطاردتهم تمكن احدهم (وليد سويسي) من قتل (سالم المقروص) احد كبار ضباط الأمن المشهور بشراسته وعنفه مع المتهمين وذلك أثناء محاصرة (وليد) داخل مستوصف بأحد القرى الصغيرة على الطريق الساحلي الرابط بين طرابلس وبنغازي .. كان هذا الحادث سببا في ازدياد حدة العنف ومسلسل التعذيب اليومي .. خاصة قاطني القاطع (الرابع) المقابل لقاطعنا والذي يحوي المجموعة التي قبض عليها سنة 1994 بعد أحداث درنة والجبل الأخضر وبنغازي .. كان بعضهم يعاني جروحا وإصابات جراء المواجهات المسلحة التي تمت مع قوات الأمن .. لم يتلقوا أي علاج طبي ... بل أننا رأينا احدهم من خلال التلصص من النوافذ المطلة على الساحة .. وقد ألقى به في الساحة وهو يئن من الألم وقد تقيحت جروحه والتهبت .. والحرس يدلق عليه جرادل الماء ويغمره بها .. وهو يئن الى أن خفت أنينه .. لنسمع بعدها احد الحراس يقول (مات .. مات .. الله لا ترده !!) .

في شهر ديسمبر على البلاطه.

أشرت الى أن عملية العد التي استجدت كانت تأخذ طابعا استفزازيا وأثناء عدّ الغرفة المجاورة لغرفتنا .. قام (خليفة المقطوف) رئيس التوكه باستفزاز احد السجناء وكان اسمه على ما اذكر (المهدي الأسود) وامسك بذقنه وصفعه على وجهه فما كان من المهدي إلا أن انقض عليه وطرحه أرضا وأوسعه لكما ورفساً وقد تجمع الحراس بهراواتهم وبدأوا في ضرب المهدي الذي كانت بنيته الرياضية قوية مكنته من إكمال (حفلة الضرب للمقطوف) وبعد أن تم تخليص (المقطوف) .. جاءتهم النجدة والمدد وبدأوا في ضرب المهدي بشكل جماعي حيث كانت خمس هراوات تنزل على رأسه وجسمه في ذات الوقت ... واستمر ذلك حتى غاب عن الوعي عندها ادخلوا البقية ومعهم (المهدي) مغمى عليه الى الحجرة ... عادوا بعد ذلك وفتحوا الغرفة .. وأمروا قاطنيها بأن يخرجوا كل حاجياتهم وأغطيتهم وفرشهم وملابسهم خارج الغرفة ، حتى صارت الغرفة على (بلاطه) وكان تاريخ الواقعة على ما اذكر تحديدا 12-12-1995 .. وبعدها أمرهم الحرس بدلق جرادل الماء في الغرفة حتى غمروا أرضيتها بصورة تامة .. وعندها خرج الحرس واقفل الباب وتركهم في البرد القارص يخوضون في الماء وليس لديهم ما يتقون به البرد والبلل وظلم البشر .. كنا نتابع حالتهم من (فتحة الجدار) ونسأل عن حال المهدي ونحاول أن نمدهم ببعض الأدوية والمراهم التي لدينا .... بقي هذا الحال لمدة عشرة أيام وكل يوم يتجدد غمر الغرفة بالماء وكانوا يتناولون طعامهم في (جردل بلاستيكي واحد) بعد أن منعوا من استعمال صحونهم .. أن ماارويه بأمانه وبصورة قد لا تحيط بالصورة المأساوية في تفاصيلها وقد لا يصدقها من لم يشهد حاله القهر والعسف وهجمات كلاب الحرس المسعورة ... وتفننها في الإذلال والتعذيب بصورة مستمرة .. وهو ما مهد الطريق الى وقوع مذبحة بوسليم الشهيرة .. فقد استوت الحياة والموت وصار السجن جحيما لامفر منه إلا بالانتقال الى رحمة الله مرضا أو تعذيبا ...

المذبحة.

بأنني وقفت لم احرك شفة ولا يدا
وانني في قمة العصر.. شهدت المذبحة ..
(الشاعر محمد الفيتوري)

ما حاولت تصويره في الصفحات السابقة من سوء معاملة ... وعسف وانتقام طال السجناء .. كان بالتأكيد دافعا لما حدث في .. 26-06-1996 .. فبعد توزيع وجبة العشاء علينا وإقفال القاطع وكانت الساعة حوالي الرابعة ظهرا .. اتجه الحرس نحو القاطع الرابع وبعد فترة قصيرة سمعنا صرخات وجلبه لم تسترع اهتمامنا باعتبارها أمرا معتادا في معاقبة السجناء فلربما اصطاد الحرس احد الضحايا لسبب أو لأخر .. وستبدأ حفلة الفلقة والضرب .. إلا أن استمرار وتصاعد الجلبة وسماعنا لنداءات (الله اكبر الله اكبر) وصوت فتح لأبواب الحجرات .. وكذلك "بدء" إطلاق الرصاص من قبل حراس السطح .. جعلنا نتوقع حدثا جللا .. فتح باب قاطعنا واندفعت مجموعة تفتح الغرف التي كان قاطنوها يطرقون على الأبواب ويرددون هتاف (الله اكبر .. حي على الجهاد!!) خرج سجناء القاطع الرابع وقاطعنا الى الممر فيما ذهبت مجموعة أخرى الى القاطع الخامس والسادس لفتح الغرف وهنا لمنع تدافع السجناء نحو هذين القاطعين قام الحرس من فوق السطح بإطلاق الرصاص لمنع الاتصال بين القواطع فسقط عدد من القتلى .. كما قام الحرس بقتل اثنين من السجناء اللذين قاما بتعقب (خليفة المقطوف) الى الساحة للإجهاز عليه بعد أن تلقى ضربه في رأسه .. تمكن (المقطوف) من الهرب عن طريق حبل تعلق به وسحبه حراس السطح .. هرب احد الحراس (الغناي) نحو القاطع الأول ولجأ حرس آخر (عطية) الى احد غرف القاطع الخامس التي تضم مجموعة من جيرانه ومعارفه (من منطقة بوسليم) وحموه ومنعوا الاعتداء عليه .. وفي هذا الأثناء قام بعض السجناء بقتل حارس آخر(عمر الترهوني) والذي ربما لطيبته وسذاجته التي كان معروفا بها لم يتمكن من الهرب أو الدفاع عن نفسه ... استمر إطلاق الرصاص من حرس السطوح متقطعا وعشوائيا ... واذكر أن رصاصه نفذت من نافذة غرفتنا لتخترق الباب الحديدي على بعد سنتمترات قليله من زميلنا (عمر البوري) الذي أصيب بحاله هلع شديد مما جعلنا نحاول الاحتماء بأحد أركان الغرفة لتجنب مزيد من الطلقات المحتملة .. وهنا لابد أن أشير .. الى أنني وبعض الإخوة في الغرفة لم نطلب من المقتحمين فتح غرفتنا بل إننا رجوناهم إلا يفعلوا ذلك لوجود عدد من المرضى وكبار السن بالغرفة .. وقد حاولت (ولذي شهود أحياء على ذلك) أن أُنبه

بعض السجناء الى خطورة مااقدموا عليه وان انتقام النظام سيكون قاتلا ..(ولكن لا استجابة لمن تنادي) .. حضر مدير السجن (عامر المسلاتي) ونائبه (ابوشعاله) وخاطبوا المتمردين من خلال فتحات الباب الذي يفصل القاطع الأول والثاني عن القاطعين الثالث والرابع .. إلا أن بعض هؤلاء أجابوا بأنهم يطلبون التفاوض مع مستوى أعلى من المسئولين ، وحددوا بالاسم (عبدالله السنوسي) .. وبعد فترة استمرت ساعات كان خلالها السجناء يجوبون السجن .. بعد أن توقف أطلاق النار من قبل حراس السجن .. وبعدها طلب منهم اختيار مندوب عن كل قاطع لمفاوضة اللجنة الأمنية المتواجدة في الخارج .. فكان ذلك واختار قاطعنا (الشيخ محمد جويلي) الذي يحظى باحترام وتقدير الشباب ، رغم انه مصنف من (جماعة المعارضة) وهذا مانجاه من الموت حسبما سيرد لاحقا ..

خرج المندوبون .. ومكثوا فترة طويلة ثم عادوا وطلبوا إخراج الإخوة الذين يعانون من أمراض وعلل لكي يتم نقلهم للمستشفى بعد استجابة الإدارة الى مطالبهم .. في الرعاية الصحية ، والزيارة ، والمحاكمة !.. تدافع بعض الإخوة الى الخروج وتسجيل أسمائهم في قائمة (المرضى) وقد حاولت جهدي (الشهود الأحياء شاهدون على ما أقول) أن احذرهم من مغبة هذا الأمر وتحذيرهم من أن هذه الخدعة مكشوفة .. ولايمكن لمن خبر النظام وردود فعله أن يتصوره وقد أذعن (لمتمردين!) في لمسه إنسانية ليست من طبيعته .. وقد كاد بعض الإخوة في غرفتنا أن يسجلوا أسمائهم ويطلبوا فتح الباب (فهذه فرصه لاينبغي تفويتها) .. ولكني كررت التحذير بل وصممت على منعهم من اخراج احد الاخوة معنا (صلاح لياس) وكان يعاني من اصابة في قدمه واضطراب نفسي بسبب السجن ، بحجة انه غير مسؤول عن تصرفاته ، وان صله نسب تربطني به (وهو الان مفرج عنه واستعاد توازنه النفسي) ادعن الاخوة للامر.... وبقى منهم من لازال حتى اليوم اذا التقيته يشكرني لأنني بعد الله انقذت حياته حيث ان الذين غادروا السجن (في طريقهم الى المستشفى) قد تم اركابهم الى حافلات بعد عصب اعينهم وتكبيل ايديهم .. ثم نودي على (جماعة المعارضة .. المعروفة بمجموعة اجدابيا) للنزول من الحافلة ، وقد نزل الاخ (علي الزوي .. وشقيقه صالح .. ومحمد فنوش).. واعيدوا الى القاطع حيث اخبرونا بما حدث .. امتنع بعض الاخوة عن النزول ظناً منهم ان ذلك لمنعهم من التداوي والعلاج فكانوا اول من القى بهم في جحيم المذبحة فيما بعد .. اذكر منهم (الحاج فرج الدرجي .. حسين بن صريتي .. محمد رضوان .. محمود عبدالسميع القذافي..).

عاد المندوبون بعد ان (تمت تلبية مطالبهم !!) .. ليعلنوا بصوت مرتفع ..(ايها الاخوة لتناموا هانئين فقد تمت الاستجابه لمطالبكم وغداً سنشكل لجنة لتعمل مع الادارة لتنفيذ هذه الطلبات) .. كنت استمع الى ذلك وانا مندهش من تصديق هؤلاء وثقتهم بوعود من لا يعرفون سوى ردود الفعل الداميه في مثل هذه الحالات ..

دخل الجميع غرفهم وفي جميع القواطع .. وكان اخرهم المندوبين الذين اقفل عليهم الحرس .. ليسود سكون رهيب ولتفوح رائحة الموت في انفي ... وبقينا نترقب ... دخل بعدها مجموعة من الجنود يضعون اقفالا كبيره على ابواب الحجرات بدل الاقفال المحطمة .. ثم بعدها فتح باب غرفتنا ليطل (خليفة المقطوف وراسه ملفوف بقطعة شاش) .. ويأمرنا بمغادرة الغرفة على ان نحمل (الشبشب والبطانية فقط) .. خرجنا مذعورين متوجسين واثناء الخروج لمح (المقطوف) الكيس الذي استعملته لتهريب اشعاري .. كما سبق ذكره .. فسألني عنه .. فتحت عقدته واريته مايحويه من ادويه فسمح لي بحمله .... وهكذا نجت الاشعار من أتون المذبحة ..

اخرجونا وكان برفقتنا جماعه غرفة (3) والمصنفين ضمن (ملف المعارضة) كذلك تم إخراج اشخاص اخرين من غرف اخرى يشملهم نفس التصنيف (اذكر منهم ... محمد جوبلي .. محمد فرحات .. زايد الكويس) ... امرونا بالهرولة وكان الوقت يقارب الرابعة فجراً .. خرجنا وسط صفين من الحراس المسلحين بأطوالهم الفارهة واجسادهم الفتية .. وهم يطلبون منا الاسراع في الجري والهرولة .. وذهب الداهبون الى المجهول ... تم ادخال افراد الطابور الاماميين الى (السجن العسكري) الموازي للسجن الذي كنا فيه وبنفس التصميم ... ونظراً للاكتظاظ والارتباك تركنا نحن وعددنا يقارب المائة خارج السجن بعد ان امرنا الحراس بالانبطاح ورؤوسنا في التراب .. كان مجموعة من الجنود يحرسوننا باسلحتهم المصوبه الينا .. واقفين على السطح المقابل ومجموعة اخرى شاهرة سلاحها خلفنا متراصين صفا واحداً .... استمر الحال ونحن لا نعرف مصيرنا .. وهل سيتم تنفيذ الاعدام خارج نطاق القضاء فينا .. وهنا اروي مفارقه لذي عليها شاهد (وهو الاخ شميله من مصراته) وهي انني كنت استغرق في نوبة ضحك وسخرية اثارت استغراب (جمال) فقال لي (لماذا تضحك ياعمي جمعة ونحن فيما نحن فيه !!) فاجبته ساخرا ..(ياميلاد اريد ان القى وجه ربي وانا اضحك من ظلم

البشر) لن ابالغ اذا قلت بانني استمتعت ذلك الصباح بشروق الشمس الذي لم أره منذ ما يزيد عن (6 سنوات) .. وهكذا هو الانسان .. يبحث عن لحظات المرح والضحك في احلك الظروف .... وهذه احد اسرار قوته ومقاومته ...

بقينا على هذه الوضعية حتى حوالي الساعة الحادية عشر .. فسمعنا صوت انفجار (تبين انه قنبلة صوتيه) لتغطية كثافة النيران في البداية .. واستمرت بعدها زخات الرصاص المتواصلة مايقارب الساعتين ..وكانت هذه الكثافة من القوة بحيث إنها اخفت أي صوت للاستغاثة او الصراخ او ماشابه ذلك .. ولم نسمع سوى همهمة غامضة متداخله ... استرقنا النظر الى سطح السجن المقابل لنا حيث كان الجنود يصوبون رشاشاتهم نحو الارض ..

رددنا بأصوات خافتة .. (انا لله وإن إليه راجعون) .. دمعت عيناي وانا اغالب الالم ... ما توقعته قد حدث .. وهاهم يرتكبون جريمة الابادة الجماعية في وضح النهار .. سكت الرصاص .. وتم نقلنا سريعا الى غرفة واسعة (مستعملة لتدريب الكلاب البوليسية ،، لغرض التعذيب) وهنا اعود الى ما للانسان من طاقات لا تظهر إلا وقت المحنة ... وعلى الرغم من ان رائحة الموت وجثث القتلى لايفصلها عنا سوى سور وأمتار قليلة .. إلا ان تواجدنا في تلك الليلة في ذلك المكان قد جعلنا نتجاوز الخوف والهلع ونشعر بقوة وعنفوان ... بل اننا امضينا الليلة في الصلاة والدعاء للمغدورين .. وفي تبادل الاحاديث التي لا يخلو بعضها من الطرفه والنكته ... وفي ظهر اليوم التالي حضر الحرس (وكان بعضهم يرتدي كمامات وجوارب بلاستيكية في اليدين) وشاهدنا سيارات تقوم برش مادة مطهرة في ارجاء السجن ....



والقينا السمع واختلسنا النظر الى السجن الذي نفذت فيه المذبحه ... فكان يغرق في صمت كصمت القبور وشاهدنا عدداً من الغربان تحوم حوله ... فتأكد لنا بأن الابادة لم توفر احداً ، وان جميع قاطني القواطع الاربعة .. 3 - 4 - 5 - 6 .. قد تمت تصفيتهم ... وتراقصت الصور والذكريات واطياف المغدورين الذين عشنا معهم اكثر مما مكثنا مع اسرنا بحساب ساعات اللقاء والتواجد معاً.

(علي الزعلوك – علي دغدنه – علي ومصطفى الزواوي – بوليفه – بوعجيله – مصطفى الزائدي – خالد السرار – بوزيد عمر – محمد الترهوني – ومحمد رضوان .... اسماء كثيرة لايسعني الآن استحضارها .جمعتني بهم علاقة المحنة والمودة رغم اختلاف القناعات .

السجن العسكري :

أدخلنا الحرس الى السجن العسكري في اول غرفة .. وكانت تسمى (دار الغوله) لانها تستخدم للتعذيب والعقاب .. لم تكن فيها اضاءة على الاطلاق ونافذتها مغلقة بالاسمنت ... لم يكن لدينا سوى البطاطين فقط .. فكان علينا ان ننام على الارضية الاسمنتيه بعد فرش البطانية ... كان عددنا (14 شخصا) وكان الجو خانقاً فحرارة الصيف خانقة زادها وانعدام التهوية .. مما جعل الحياة جحيماً لا يُطاق ... بل كانت الطامة الكبرى .. ان المياه فيها تكاد تكون منعدمه ، فالصنبور الصغير لايخرج سوى قدراً قليلاً جدا من الماء يكاد لايكفي حتى للشرب ... مما جعل رائحة دورة المياه تفوح وتنشر رائحتها النتنه لتضيف للمشهد المأساوي مأساة اخرى .. استمر الحال طويلا ... حتى بدأت بعض التقرحات والطفح الجلدي والامراض المعدية تأخذ طريقها الينا .. وبعد إلحاح وتوسلات ، قام احد الحراس بضرب فتحة الانبوب بواسطة قطعة حديدية احضرها معه فتدفقت المياه وكانت فرحتنا بها لاتوصف .. فاتني ان اذكر اننا عندما دخلنا الحجرة وجدنا عدد(9 شباشب بلاستيكية) ملقاة على ارضيتها علمنا فيما بعد انها لتسعة من الشباب الذين هربوا سنة 1995 كما اشرت وانهم قد قتلوا مع ضحايا المذبحة (بالمناسبة!!) .. كما قتل ايضا بنفس (المناسبة!!) (احمد الثلثي) وهو من الجماعة التي ضبطت سنة 1986 بتهمة الانتماء للمعارضة .. حيث نودي عليه صبيحة المذبحة وقبل بدء اطلاق النار بقليل .. ولم يعد له بعد ذلك أثراً..

بعد حوالي شهرين احضروا لنا الفرش بعد ان انسلخت ظهورنا من الاسمنت .. ففرحنا فرحاً كبيراً .. وهكذا يفرح السجين على يد جلاديه كثيراً!! .

تنفيذ الإعدام في جماعة بني وليد :

في أحد الأيام وحوالي الساعة الثانية ظهراً وبينما كنت اقوم بتنظيف دورة المياه (كواجب دوري للجميع) سمعت جلبة وهروله .. نبهت زملائي فصعد (نورالدين الشريف) على الجدار الفاصل بين دورة المياه والحمام .. وروى لنا المشهد .. بعد أن سمعنا إطلاق للرصاص متصل .. ثم توقف لنسمع بعدها طلقات متفرقة .. وهي ماتعرف (برصاصة الرحمه) يتم بها قتل من لم يمت من المنفذ فيهم ... غمرنا حزن والم وحسرة على شباب بلادنا ومستقبل وطننا .. وقد

علمنا في نفس الليلة ان المعدومين هم من جماعة بني وليد الذين قاموا سنة 1993 بمحاولة لقلب نظام الحكم ..

استمرت حياتنا في القاطع وقد شهدت بعد شهور شئ من الانفراج .. وسمح لاهلنا مجددا إرسال الطعام ومواد التنظيف .. إلا ان ما كان ممنوعاً هو الملابس (حيث الزمنا من سنة 1994 بارتداء ملابس السجن الزرقاء .. ثم وزعوا علينا بدل اخرى مخططه (ازرق ..بني) ولا شئ غير ذلك ...

جماعة المعارضة :

أشرت في اكثر من موقع الى جماعة المعارضة .. ولهذا قصة تستحق الروايه ... بعد تسليم (عزات المقريف) و (جاب الله مطر) كما اشرت اليه من انهما ذكرا (لي وللكزه) انهما (نكتا الشكاره) بمعنى انهما اعترفا بكل شئ .. وتم القبض على مجموعة من اجدابيا وبنغازي بينهم شقيق (جاب الله) وابناء اخته ... واثنان من اولاد عمه ... وكذلك مجموعة اخرى .. وجدت بحوزتهم اسلحة قيل بأن (جاب) قام بإرسالها اليهم من مصر !! .. وتعرضت هذه المجموعة لتعذيب شديد في مركز احتجازهم بإجدابيا ... معظم هؤلاء لا يتوافرون على أي رؤية او قناعة سياسية او فكرية ... ومن تم فقد كانوا لقمة سائغة لدى جماعات الاستقطاب حتى ان بعضهم كان (ملكيا اكثر من الملك) .. قلة لا تذكر كان انتمائها مدفوعاً بقناعات وطنية خالصه .. ولم يكن لهذا التصنيف (المعارضة) اثر من الواقع وان كان قد انقذ اصحابه من موت محقق يوم المذبحة ... كما أنه يؤكد ما توصلت اليه من قناعه من خلال تجربة العمل السياسي في الخارج بأن بعض هذه المجموعات والافراد الذين يسمون (بالمعارضة) لايحسبون حساباً لما قد يتعرض له الناس في الداخـــل من إيذاء على يد زبانية النظام ، وانهم يعمـــدون الى التوريط والدفع بمن يلقيه عاثر حظه في ايديهم الى المغامرة غير المحسوبة .. ليتم استغلاله بعد ذلك اعلاميا من قبلهم ... وهو امر يدعو للاسف والاسى!! ..

يوميات الحزن المعتاد :

بدأنا محاولة التأقلم والتعايش مع الظروف الجديده .. ومعاودة بعض المناشط الثقافية

المحدودة .. كدورات تعلم اللغة (حيث قمت بتدريس بعض الاخوة دروساً في اللغة الايطالية) وكذلك حفظ القرآن ومايتسلل من الكتب التي كانت تصلنا بطريقة مهربة ... القاطع الذي وضعنا فيه كان يضم بعض السجناء الذين سبقونا منهم من كنا نعرفهم من قبل ... كـ(سالم هارون) الذي سبقت الاشارة اليه ..و(محمد مخلوف) الذي نقل الى حيث لانعلم بعد وصولنا بفترة قصيرة ... ولـ(محمد) هذا قصة تستحق ان تروى ... التقى (محمد مخلوف) (محمد المقريف) ذات مرة في روما ونظرا لوجود صلة نسب معه فقد فاتحه المقريف بما ينوون عمله في ليبيا .. وكان معه في المقابلة القاضي (ونيس الشارف) اسفر اللقاء الى اتفاق مابينهم ظل سراً حتى تسليم (عزات المقريف) من قبل السلطات المصرية .. الذي ذكر لهم الواقعة .. فقبض على (محمد) وتعرض لتعذيب وتنكيل ب(اشرف الزادمه .. والبشاري) ... أما مايستحق الروايه فإن (محمد) بعد بداية ازمة لوكربي تعرض لابتزاز وتوظيف من قبل السلطة في محاولة لالصاق تهمة تفجير الطائرة الفرنسية(بجماعة المقريف) وللاسف أن الذي عرض عليه الدخول في هذه المسرحية هو مستشار بالمحكمة العليا اسمه (محمود موسى) وقد ارسل لي (محمد) رساله من تحت الباب عندما كان في قاطع (3) ذكر لي فيها ماطلب منه وقمت بالرد عليه محذراً من مغبة هذه اللعبة المزيفة ...ولكنه قبل الدور وتم نقله من قاطعنا وكما علمنا فيما بعد انه عرض على القاضي الفرنسي الذي جاء للتحقيق في القضية .. ولكنه سرعان ماكتشف الفبركة والتزييف فصرفه وقام بأستدعاء (ونيس الشارف) الذي عاد الى قاطعنا (3) وأخبرنا بالمسرحية المكشوفة .. ومادار بينه وبين (عبدالرحمن العبار) رئيس محكمة الشعب آنذاك .. وقد تصادف ذلك مع نفس اليوم الذي بدأت فيه احداث المذبحة .. وتم عزل (ونيس الشارف) و(عبدالله عبدالسميع) ولم التقيهما بعد ذلك نتيجة لاطلاق سراحي سنة 1997 وقد خرجوا جميعا الان وهم شهود على ماقول ....

أعود الى حياتنا في القاطع .. حيث لاحظنا بعض التحسن في معاملة الحرس .. بل وصل الامر الى اعداد وجبات (الرز المبوخ) وزيادة كمية اللحم الموزعه .. فرحنا وحمدنا الله وتوقعنا خيرا .. كنت قد بدأت العام السابع في السجن .. ولم يعد ثمة بصيص من الامل في الافراج عني تنفيذاً لحكم المحكمة ... وصرت متيقناً بان الامر لا يتعلق باتهام وحكم .. وانما هو عقاب وتصفية حساب لملف شائك بيني وبين النظام ...

البومة .

علمنا أن محمد الرفاعي (البومه) موجود في قاطعنا في احد الحجرات .... و(البومه) هذا اسم شهير في الاوساط العسكرية ... برز اسمه في حرب تشاد وعرف بالاقدام والشجاعة الى حد التهور والرعونة .. شارك في معارك تشاد وحاز فيها مكاناً رفيعاً من الناحية العسكرية ... ثم غادر ليبيا للعلاج ويبدوا ان من (يتربصون) في الخارج قد اتصلوا به ... وعلم هو ان النظام قد علم بذلك فحاول اللجوء الى امريكا التي رفضت منحه ذلك ... فعاد الى ليبيا واخبر القذافي بكل التفاصيل ... الذي طمأنه وصرفه بعد ان صرف له سيارة جديدة ... ثم بعد اكتشاف محاولة جماعة بني وليد تم القبض عليه وايداعه بقاطعنا ومعاملته معاملة قاسية ... وعلمت بعد خروجي من السجن انه قد قدم للمحاكمة سنة 2002 .. وحكم بعشر سنوات ، كان قد قضاها وافرج عنه ، وهو الان يعيش شبه معدم غارقا في ازماته الذاتية ، كما كان معنا (جلال الدغيلي) الذي كان يحظى بمعاملة افضل ولديه جهاز راديو وبعض (الكماليات السجنية) وسبب اعتقاله لا علاقة له بالامور السياسية ..فقد كان بسبب قيامه ومجموعة اخرى بإختطاف مدير شركة يونانية بسبب عملية نصب قام بها هذا المدير على المجموعة.

المطر .. معاناة وغرق .

في شتاء سنة 1996 هطلت امطار غزيره غير معتادة وكأن السماء تريد ان تغسل دماء المغدورين ... وتبل ثراهم ، رغم ان لا احد يعلم على وجه الدقة اين مصير (جثامينهم) سوى بعض التخمينات التي تقول بانه قد تم جمعهم في حاويات نقلتها سيارات التسويق الزراعي .... لالقائها بواسطة احد البواخر العسكرية في عرض البحر ... بينما تقول تخمينات اخرى انه تم حفر خندق عميق خلف المعسكر والقى فيه بجثث المغدورين ... ثم قامت السلطات بردم الخندق بواسطة الخرسانة المسلحة ... ولكن عدالة السماء سوف تظهر دون شك الحقيقة آجلا او عاجلاً ...

(تم اكتشاف المقبرة الجماعية يوم 24 - 09 - 2011 خلف السجن قبل نشر هذه المذكرات)...

كان هطول الامطار سببا في معاناتنا وغرق فرشنا واغطيتنا بسبب وجود فتحه في اعلى سقف الغرفه وسيلان المياه على الجدران ... حاولنا تنشيف المياه ، وشفطها .. ولم تكن لدينا الادوات المناسبة .. فتضافر برد الشتاء القارس مع برودة المياه في زيادة مانعانيه ونقاسيه ... حاولنا التخفيف من تلوجة الغرفة (بتسخين بعض المياه) وللتسخين هذا وسيله بدائية ابتكرها السجناء وتتمثل في غمس خيطين معدنيين في اناء مملوء بالماء ... وتركه حتى يسخن ثم يتم فصله عن الكهرباء ، وهو مايستلزم اخذ الحيطة والحذر ... فلو اندلق الاناء فسوف يصعق بطريقة قاتلة ... ولكنها الضرورة وظروف المعاناة القاسية .. استمر حالنا حتى مساء اليوم التالي الى ان كفت السماء ... دون ان نستطيع الجلوس ناهيك عن النوم ... ربما رأفة بنا بعد ان انعدمت هذه الرآفة في قلوب الحراس .. ثم قاموا بعد ذلك بسد فتحة التسرب بواسطة الاسمنت ....

الإفراج :

كان عيد الاضحى يقف على الاعتاب .. فنحن الان في (يوم عرفه) نستعد لاستقبال العيد بإعداد بعض العاب التسالي ... والالغاز .. والاحاجي .. وكذلك بتوفير بعض الطعام من المخزون لدينا ..حيث كان صديقنا (حبيب الهوني) يقوم باعداد (تورته الزميته) وذلك بأن يضيف بعض المربي الذي يوزع علينا بالافطار وبعض السكر الى الزميته لنأكل هذه الوجبة صباح العيد ... كنا نحاول ان نخرج من اجواء الكآبه وظلال الذكريات ... ونعوض عن غيبة الاهل والاحباب في هذا اليوم .. كان قد مر على سجني سبع سنوات وايام ولم يكن هناك في الافق مايشير الى امل في الخروج .... رغم مايحاول الزملاء بثه من روح الامل والتفاؤل ... (ويا بختك انت محكوم (بالبراءة) وعندك امل على الاقل) .. هذا ما كانوا يرددونه .. ولم يكن يحرك عندي شيئا فانا خبرت هذا النظام ... وكيف يفكر زبانيته ، الذين يمسكون بمفاصله الان .. وانا الذي بيني وبينهم ماصنع الحداد .. منذ فترة الدراسة الجامعية ... قلت ان يوم (عرفة) قد حل وهو يوم عطلة رسمية ولا احد يتوقع اطلاقاً ان يحدث فيه ماحدث .. فحوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً دخل احد الحراس القاطع وكان ينادي على اسمي ... طرق الزملاء الباب فتح الحارس (الكوة) وعندما اعلمته باني انا المنادى عليه قال هل عندك

(ملابس مدنيه) فأجبته من اين لي ذلك وقد صادرتموه ... فقال لي عليك الامان (ان كنت تخفي بدله مدنية فاخرجها) .. وعندما اجبته بالنفي القاطع .. غاب لبرهه ثم عاد ومعه (بدله عربيه) جديده في غلافها ... قمت بإرتدائها وسط فرح المجموعه وتوقعهم الافراج عني ... غير ان شكاً كان يراودني .. ثم جاءت لحظة الوداع للمجموعة .. واشهد الله انها من اقسى اللحظات التي مررت بها في حياتي ... فما اقسى ان تغادر السجن تاركاً من عايشت معهم عذاباته .. لم استطع ان امنع دموعي فاجهشت بالبكاء ... وكان الفرح مختلطاً بالاسى والحزن يطل من عيونهم ... خرجت صحبه الحارس واستبشرت من انه لم يقم بتقييدي او عصب عيني ... بل تركني في الشمس وحيداً .. ودخل لقضاء امر من اموره ... عاد ليصحبني الى مبنى ادارة الشرطة العسكرية وهو يحمل في يده ورق ، سلمها لأحد الحراس بالمبنى بعد اخذ توقيعه ثم اصطحبني الى مكتب (العميد محمد عبدو) نائب (خيري خالد) ... استقبلني الرجل بود وترحاب واخبرني ان (القائد) معمر القذافي قد امر بالافراج عني)!! وبعد ان قدم لي ماكينة حلاقة لحلق دقني الذي طال واستطال وقدم لي وجبة افطار دفعتني الى ان اطلب منه سيجاره اشعلتها لأول مرة منذ اربعة عشر عاماً ... عندما اقلعت عن التدخين وكانت هذه السيجارة سببا في عودتي القوية للتدخين حتى ساعة كتابة هذه المذكرات ... ودعني (محمد عبدو) الى باب مكتبه وكلف احدهم بمصاحبتي الى مكتب العميد (محمد المصراتي)!! الذي كان رئيساً لجهاز الامن الداخلي .. توجست وعاودتني الشكوك عند سماع هذا الاسم الذي لم يعرف يوماً باي عمل خيري او انساني .... ولكن ماذكره لي العميد (محمد عبدو) من ان العقيد القذافي قد امر باطلاق سراحي .. قد سكن هذه الهواجس بداخلي .. ذهبت الى هناك وفوجئت بتواجد مجموعة من مصراته بمكتب المصراتي اذكر منهم ..(عبدالله الدناع ... خليفة البكباك... على الشقماني ... مصباح القذافي) حيوني بحرارة وهنئوني ... (وعانقني)!! المصراتي ... وبعد ان اخذت مكاني جالساً بادرني بسؤال ... هل سمعت خطاب القائد في مصراته في مارس الماضي ؟... فاجبته بعدم وجود جهاز تلفزيون او راديو ... او أي وسيله اتصال بالعالم الخارجي لدينا .... ابتسم بخبث ثم قال .. (لقد قام القائد بالافراج عنك .. بعد أن شفع لك تدخل أعيان مصراتة)!! ... تبادلنا حديثا مفتعلا مصطنعاً ... ثم اعلمني المصراتي انه بامكاني الاتصال باسرتي تلفونيا .. ولشد عجبي انني وانا الذي بيني وبين حفظ الارقام عداء مستحكم .. وجدت الرقم جاهزا في ذاكرتي ... اجابتني اخت

زوجتي (هويدا) التي صرخت في السماعه ... لأسمع زغاريد وهرج ومرح وفرحه عارمه ... فهم ينتظرون من مدة اسبوع حيث اعلمهم (سليمان الشحومي) بأمر القذافي بالافراج عني وبقوا في الانتظار حتى اقبل يوم وقفة عرفه ... فانتابهم اليأس وحفهم الاحباط ... ولا اجد حتى هذه اللحظة تفسيراً لتعطيل امر القذافي في الافراج عني !!..

اصطحبتني جماعة مصراته الى البيت ... (شقتي بمنطقة ابو هريده) .. اذكر انني عندما دخلت البيت افتقدت وجود (غسان) وتلبستني هواجس عديدة ولم أرد السؤال مخافة ان تكون الاجابة بمالا اتمناه ولا اريده ... ولكن بعد برهة قصيرة دخل غسان والفرحة تملا عينيه فحمدت الله وراقت نفسي ... ليبدأ مشهدا مثيرا مؤثر .. اختلطت فيه الدموع بالزغاريد وكانت فرحتي بالاولاد ومحبوبه وفرحتهم بي اكبر من ان تحيط الكلمات بوصفها او الاحاطة بابعادها ...

كانت الاسرة قد قررت الانتقال الى مصراته لاقامة مراسم الاستقبال وهناك امضيت اياما عده في استقبال الناس المهنئين .. وكانوا اعداداً غفيره.. وكم كنت سعيداً بهم رغم الارهاق وقلة النوم ....

خلفيات الإفـراج :

علمت فور خروجي بتفاصيل خلفيات الافراج عني فبعد سبع سنوات من سجني رغم حكم البراءة ... يبدو ان النظام لاعتبارات بعضها ظاهرة وبعضها خفي .. قرر الافراج عني ... كما ان مجموعة من الاصدقاء المخلصين قد بذلوا مساعيهم .. حسب استطاعتهم ... للدفع بموضوع الافراج .. وبعد زيارة القذافي لمصراته في مارس 1997 .. وخطابه هناك واشادته بمصراته وجهادها (كان ذلك تعريضاً ببني وليد) بعد محاولة قلب نظام الحكم .. ومحاولة لنبش جراح الماضي البغيض) .. والاجواء التى خلفتها هذه الزيارة ... حيث قام هؤلاء الاصدقاء بتحرير مذكرة يطالبون العقيد القذافي بالإفراج عني ... وقع المذكره عدد من اعيان ووجوه مصراته المعروفه ... اذكر (الاستاذ علي مصطفى المصراتي .. علي خشيم .. د. عمر التومي الشيباني .. الشيخ محمد قريو .. ابراهيم السكير... خليفة البكباك .. الشيخ محمد بادي .... وغيرهم) ....

حمل الوفد الذي ذهب الى سرت لشكر القذافي على زيارته لمصراته المذكره معه ... وقام (سليمان الشحومي) بتقديمها لمعمر وتلخيص محتواها ... لم يجب كعادته وسلم المذكره لاحد معاونيه وبعدها اصدر امره بالافراج عني (الذي تأخر تنفيذه اسبوعاً كما سبقت الاشارة) ...

وهكذا انطوت صفحة مؤلمة قاسية من سفر حياتي ... لاواجه الحياه مجددا ... خال الوفاض بــــلا امكانيات مادية ... سوى اصراراً على مواصلة الحياة بعزم واقتدار ... ولا أنسى هنا فضل ومساعدة الاهل والاصدقاء وخاصة أشقائي الذين تحملوا عبء الانفاق على اسرتي اثناء فترة سجني ....

وتتواصل الرحلة .

قيدت اسمي في سجل المحامين ... حيث ان المحاماة الخاصة قد عادت اثناء فترة غياب .... فرجعت الى مكتبي الاول مع الاستاذ (ضو المنصوري)... ولقد فوتت علي فترة السجن فرصه القيد في المحكمة العليا .. ذلك ان قانون إعادة المحاماة الخاصة قد اعطى مدة محددة لاعادة القيد ... قيّد بموجبها زملائي بنفس الاقدميه والاحدث منهم تلقائيا كمحامين مقبولين للترافع امام المحكمة العليا ... وعندما قدمت اوراقي للقيد فوجئت بأن القانون الجديد لايعترف بأن حاملي الشهادات العليا (الدكتوراه) يقيدون امام المحكمة العليا ... كما كان النص في القانون السابق .. كما انه لا يعترف بسنوات الخدمة إلا اذا كانت داخل مؤسسات الدولة داخل ليبيا ... وهكذا جرى قيدي بسجل المحامين المقبولين اما محكمة الاستئناف ... علما بانني مقبول امام الاستئناف منذ سنة 1975 ... وعضوا بمجلس النقابة في ذات التاريخ ... وهكذا قبلت الامر الواقع وبدأت استئناف مسيرتي .... وقد انتقلت الى مكتب مستقل بعد ان ابدى شريكي (ضو المنصوري) رغبة (مبطنه) في الاستئثار والاستحواذ على المكتب .. فغادرت دون اعتراض او تعويض .. واستمرت رحلتي مع المحاماة مجدداً ..

موسى كوسا يمنعني من السفر !! .

قلت بأن رحلتي مع المحاماه قد استؤنفت ... واثناء سفرة عمل سنة 2001 (كنت قد

بدأت العمل في جمعية حقوق الانسان) الى سويسرا .. وبعد اتمام كافة الاجراءات وصعودي الى صالة المسافرين حاملاً بطاقة السفر ... سمعت نداء عبر مكبر الصوت في المطار يطلب مني الحضور الى غرفة (الكنترول) ذهبت الى هناك حيث وجدت في انتظاري شخصين ... طلبا مني اصطحابهما الى مكتب الامن الخارجي بالمطار... ذهبت الى هناك ولم يُطل من وجدته الحديث معي ... حيث تناول جواز سفري وابلغني بأن علي ان (اسوي وضعي) ولا يمكنني السفر لان هناك امر من رئيس جهاز الامن الخارجي (موسى كوسا) بمنعي ... وسط دهشة واستغراب ابلغته بأن حقيبتي قد شحنت في الطائرة وانني مصر على استرجاعها ... ذهبت رفقة ثلاثة اشخاص فوجدنا قائد الطائرة السويسري عند مدخلها والذي ابدى رفضه واحتجاجه لان الطائرة مستعدة للاقلاع ... رجوته ان يلبي الطلب وشرحت له (بالانجليزية) والتي يبدو لحسن الحظ ان مرافقي لا يجيدونها .. شرحت له كل شئ فظهر عليه التعاطف ... وبدؤا في انزال الحقيبة .... شكرت (الكابتن) بعد ان تسببت في تأخير الرحلة لمدة تزيد عن اربعين دقيقة ... ولم يفوتني ان اعتذر عن ذنب لا دخل لإرادتي فيه !! .. رجعت وفي اعتقادي ان (السيد رئيس الجهاز) سوف يستدعيني .. ولم يكن بإمكاني الوصول اليه في (عليائه السفلى!!) استمر الحال لمدة تسعة شهور ... طلبت بعدها من صديقي (عبدالرحمن شلقم) التدخل ... فاتصل بـ(كوسا) وحدد لي موعداً لمقابلته... كان ذلك في شهر رمضان (2001) لم يطل انتظاري حتى أُذن لي بالدخول ... وجدت (كوسا) الذي لم اقابله قبل ذلك قط جالساً على مكتبه يحمل في يده (سبحه مكعبات كبيره) تبادل معي حديثاً ذو صلة بنشاطي المعارض في الخارج ... شممت رائحة كريهة ... ما جعلني اقول له .... إذا كان الأمر تحقيقاً فعليه اعلامي حتى أُجيب من موقع المتهم .... واذا كان مجرد (دردشة) فانا وضعت هذه الامور خلف ظهري ومن عادتي الا انظر الى الوراء ... اجاب (إنها مجرد دردشة وأريد ان اتعرف عليك !!) ... استمر (كوسا) في دردشته التي ابانت لي بشكل مفجع ضحاله تفكيره وتدني مستواه الثقافي ... كما ابانت لي قدراً كبيراً من (الخبث) واللؤم الذي يكتسي شخصيته ... واثناء حديث كوسا وبعد مضي حوالي نصف ساعة على بداية اللقاء .. رن جرس الهاتف ... وسمعته يقول (خليه يتفضل) وقبل ان يدخل المتفضل اتجه بالحديث نحوي قائلاً في امتعاض وتبرم (هذا جاد الله عزوز الطلحي جاي من غير موعد !!..) لم أعلق وان كان استغرابي شديداً لسبب ابداء امتعاضه امامي وانا الذي اجلس في مجلس (شبه المتهم) دخل الأستاذ (جادالله) ... وبعد ان صافحته وجدتها فرصة للانصراف ولم يستبقيني

(كوسا) وقبل خروجي ذكرته بالموضوع الرئيسي (جواز السفر المحجوز) قال (حاضر سأرسله لك) وهذا ما كان بعد ان كلفتني (رغبة !!) السيد (كوسا) في التعرف على تسعة اشهر ممنوعا من السفر .... وسأترك للقارئ مهمة قراءة النوايا وسوء الطوية الذي يحمله (كوسا) ومن ورائه تجاهي وهو ما كشفته الايام والحوادث فيما بعد ....

كيف عرفت سيف الإسلام القذافي .

كان الوقت ظهيرة أحد أيام شهر رمضان المبارك اوخر سنة 1999 .. حين اتصل بي شخص تعرفت عليه بعد خروجي من السجن وهو (عبدالسلام حموده) احد ضباط المخابرات وابن خال (عبدالله السنوسي) .. وكان (عبدالسلام) قد صحبني فور خروجي من السجن لمقابلة عبدالله السنوسي داخل معسكر باب العزيزية .... بناء على طلبه ... كنت في مقابلتي (لعبدالله السنوسي) صريحاً واضحاً منتقداً للاوضاع السيئة التي يقبع فيها السجناء .. قلنا بأن (عبدالسلام حموده) قد اتصل بي واشعرني بأن على الإستعداد لمقابلة شخصية مهمة ... واتفقنا على مكان وموعد اللقاء ..صحبني في سيارته وفي الطريق رن تليفونه المحمول وتبادل كلمات مقتضبه مع محدثه وبعدها سلمني الهاتف لاجد (عبدالله السنوسي) على الخط .. وبعد سؤال عن الحال والاحوال قال لي (ان المهندس سيف يريد مقابلتك .. وكن صريحا معه كما كنت معي ...) بعد ذلك .. صحبني (عبدالسلام) الى منزل سيف بمنطقة غرغور... وهو عبارة عن فيلا صغيره لا توجد امامها أي مظاهر للحراسه القوية .... دخلت هناك ومايشغل ذهني هو كيفية استقباله لي ...وهل سيتم احترامي ام انني ربما اتعرض للاهانة ... بسبب ما سأقول ، وللحقيقة والتاريخ انني فوجئت باستقبال مهذب .. ومعاملة حسنة شجعتني على ان اكون معه اكثر صراحه .... طرح (سيف) فكره انشاء مؤسسه خيرية على غرار مؤسسة (زايد الخيرية) ... حسب تعبيره ، تكون من مهامها الاهتمام بالليبيين واقامة نواة لحركة اجتماعية وتطوعية في المجتمع ... واسهب في طرح فكرته وانه يقترح تسميتها مؤسسة القذافي للاعمال الخيرية ... وبعد ان انهى حديثه ... اجبته بمباركة مثل هذا العمل الذي سيكون بعون الله وإذا خلصت النوايا نواة لإقامة (مجتمع مدني) ولكنني ذكرت له بان (اهتمام جمعية حقوق الانسان) التي قال بانها ستكون من ضمن جمعيات المؤسسة .. وعرض على العمل بها من واقع خبرتي ومعاناتي في السجن .... قلت

بان اولويات العمل في هذا المجال يجب ان تتركز على معالجة الملفات الداخلية المتعلقة بخروقات وتجاوزات وممارسات مصادمه لحقوق الانسان وكافة المواثيق الدوليه ... وان تكون البداية بمعالجة ملف السجون وما يعانية السجناء في بوسليم من ظروف لا انسانية .. آن الاوان لمعالجتها ووضع حد لهذا الوضع المأساوي... وفي نهاية حديثي معه ذكرت له بأنني سوف اتقدم بمذكرة مكتوبة بالخصوص ... ودعني بعد ان طلب من (عبدالسلام حموده) ربطي (بجماعته العاملين وقتها في جمعية مكافحة المخدرات) ... حيث اتصل بي (صالح عبدالسلام) بعدها مباشرة والذي صار صديقا شخصيا لما يتوافر عليه من خصال يفتقد اليها بقية المجموعة !! ... وبدأت رحلتي في العمل في مجال حقوق الانسان ... بالقيام بمكاتبات لامين العدل والامن العام وطلب تحسين الوضع الصحي والمعيشي لنزلاء سجن بوسليم ... وفي سنة 2000 تم ارسال (مذكره معلومات) من قبل المؤسسة الى (معمر القذافي) .. وفيها مطالب بالافراج عن السجناء ومعالجة هذا الملف ...وقد تمت الاستجابه لها وبدأت ماأطلق عليه (امواج الحرية) التي افرج بموجبها عن دفعات كبيره من السجناء بلغت المئات ... واذكر انني شعرت بسعادة ادمعت عيني ... يوم ان صافحت (احمد الزبير السنوسي) اثناء الحفل الذي اقمناه بمسرح ذات العماد للاحتفال باطلاق سراحهم ... وهكذا استمر عملي في جمعية حقوق الانسان متطوعا لم اتقاض أي مرتب او مكافأة .. بل كنت .. ولدي على ذلك (شهود) انفق احيانا من جيبي الخاص امام ضعف بل انعدام الامكانيات المتاحة امام جمعية حقوق الانسان بالذات .. رغم الإمكانيات المادية للمؤسسة وهو ما يثير علامات استفهام ؟؟... لسنا في مجال الاجابه عليها وان كانت لا تخفى عن فطنة القارئ ...

ولقد استمر عملي في هذا المجال حتى يوم 20 - 3 - 2007 ... حينما قررت ترك الجمعية .. وانا اشعر بالرضا عن نفسي وعدم الرضا عن الظروف العامة التي تحيط بهذا العمل ... ومهما اختلفت الاراء والاجتهادات في تقييم هذا العمل فان مايظل لي منه هو شرف المحاولة في وقت كانت كلمة (حقوق الانسان) محرمة من قبل اساطين الفكر الثوري ... ولعل الوقت وتوفيق الله يمكنني من الكتابة عن هذه المرحله بما يجلي خباياها ويوضح ماخفي من جوانبها ... وينصف من ساهم فيها من ابناء هذا الوطن الشرفاء والمخلصين الذين يحاولون ايقاد شمعة التنوير والوعي بدلا من لعن ظلام الجهل والتجهيل ....

كيف عرفت العقيد القذافي .. قبل 1969م

عُدنا من عطلة نصف السنة الدراسية سنة 1968 من طرابلس الى بنغازي لاستئناف الدراسة بكلية الحقوق .. لنجد القسم الداخلي (بالبركه) الذي كنا نقيم فيه مغموراً بالمياه جراء السيول التي اجتاحت بنغازي ذلك الشتاء ... لتستقر اغلبها في منطقة (البركة) و(الحميضه) نظراً لانخفاضهما عن باقي المناطق المحيطة ... المهم ان ادارة الجامعة رتبت اقامات مؤقتة بمبنى الادارة القديم .. بشارع جمال عبدالناصر .. وبشكل سريع يفتقر الى كل مقومات الراحة والاستقرار والمرافق الصحية ... عندها بدأت افكر في الانتقال للقسم الخارجي .. وبدأت بجماعة مصراته وتصادف ان (مفتاح كعيبه) كان بدوره ينوي الانتقال من البيت الذي يستأجره في منطقة (البركه) الى وسط المدينة .. اتفقت معه على البحث عن سكن مناسب .. وقد وجدناه في البداية نزلا شعبياً قديما في شارع (عثمان بحيح) وقد انضم الينا الاخ (احمد البكباك) الذي كان في السنة النهائية بقسيم اللغة الانجليزية بكلية الاداب ... وكان يقيم بعد غرق القسم الداخلي ببيت عمه بمنطقة رأس عبيده ... بعد فترة قصيرة انتقلنا الى شقة بميدان البلدية .. كان يقطنها الدكتور (الطاهر الجهمي) قبل سفره في بعثة تحضير الدكتوراه في الولايات المتحدة الامريكية ... وهنا كانت بداية معرفتي بمعمر القذافي .... كان كعيبة والقذافي صديقين منذ ايام الدراسة الثانوية في مصراته وكان (مفتاح كعيبة) في فترة تعرفي على القذافي ، يشتغل بقسم الشؤون الإدارية بكلية الآداب التي كان القذافي منتسباً لها بقسم التاريخ .. كان معمر يتردد على (مفتاح) في الشقة التي نقطنها ...

إنطباع .. وتقييم

كانت ملامح معمر جادة تميل الى التجهم والحزم .. وكان يتمتع بتأثير كبير على أقرانه .. فهم يلتزمون امامه بأدب الحديث .. ولا يقتحمون بحضوره دائرة عبث الشباب ونزقهم ولا استعمال للالفاظ الجارحة ... كان يتعمد أن يبدي جدية مفرطة واهتماما متزايداً بالشؤون السياسية .. وابداء نقمته ومعارضته للنظام الملكي ... لم تكن ثقافته تتعدى بعض المتابعات الاخبارية لمجريات الاحداث في الوطن العربي ... متأثراً بـ(عبد الناصر) الى مدى لاحدود له

يردد مقاطع من خطبه .. كان يتحدث عن تغيير النظام علناً .. أحضر لنا أكثر من مرة منشورات موقعة باسم (الضباط الوحدويين الاحرار) واحدة بمناسبة زفاف (عمر الشلحي) ومأثير حوله من أحاديث حول مظاهر الترف والإسراف والبذخ ... ومنشوراً آخر عن (حرق المسجد الاقصى) ... في شهر اغسطس سنة 1969 .. كانت لديه اتصالات بجماعة مصراتة وخاصة العسكريين ... ولم يكن للجماعة التي عرفت فيما بعد (بالخلية المدنية) أي نشاط يذكر سوى بعض الاتصالات بأوساط الطلبة في اتحاد عام طلبة ليبيا ... وبعض العناصر الحزبية (القوميين العرب) الذين تعرضوا لضربة سنة 1968 .. بصدور احكام على قياداتهم إلا أن تواجدهم في الجامعة وأوساط الطلبة لازال مؤثراً .. كذلك كان حال جماعة (البعثيين .. والشيوعيين) وإن بدا ان قوة واثر هؤلاء لا يرقى الى مستوى القدرة على التغيير ...

كنت من واقع تكويني وحصيلتي الثقافية المبكره قـــد دخلت في مناقشات مع (القذافي) اقـــتربت من (المصادمات) خاصة مايتعلق منها بـ(عبدالناصر) وحرب اليمن ..وسجن الإخوان .. وإعدام سيد قطب .. مما خلق بيننا جفوه فصرت أتجنبه ويتجنبني ... وإن ظل الاحترام والمجامله سائداً بيننا ..

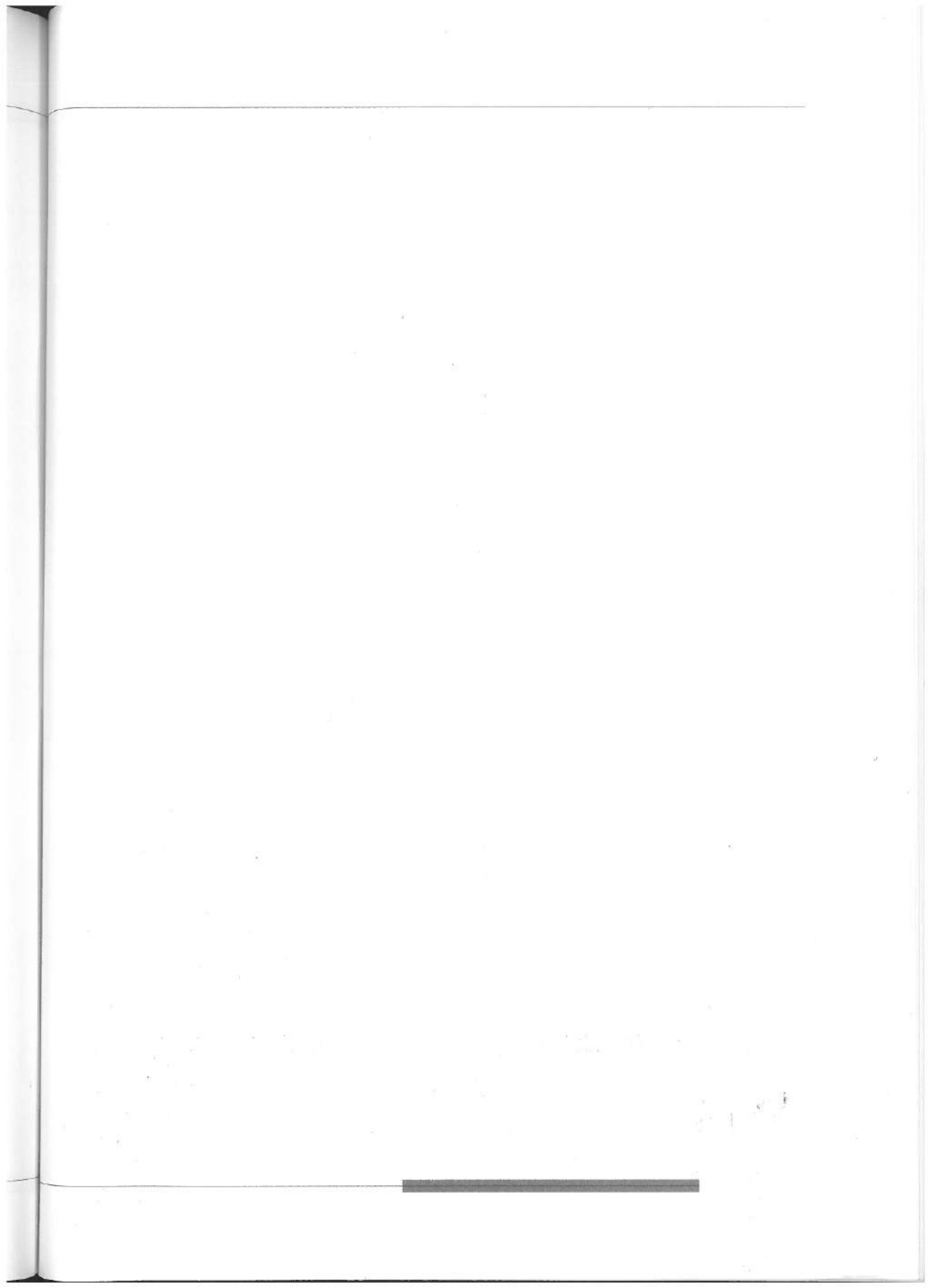
كما كان القذافي يزور طلبة الكلية العسكرية الذين يخرجون يوم الخميس من كل اسبوع في اجازة خارج الكلية وكانوا ينزلون بفندق صغير بسوق الجريد اسمه على ما أذكر (هوتيل النهضه) وكان واضحاً انه يرتب ويعد لشئ ما .. وفي صباح سبتمبر سنة 1969 دخل حجرتي (مفتاح كعيب) يحمل مذياعاً يبث البيان الاول بصوت (القذافي) فعرفناه .. وكان (مفتاح) يتوجس خيفه من ان روح المغامرة عند (معمر) ربما دفعته الى ان يحتل بجنوده الإذاعة ..

وربما سبب ذلك .. بعد قمعه .. في إيذائنا باعتبارنا اصدقاءه .. ولم يطمئن (مفتاح) الا بعد ان سمعنا (تنازل ولي العهد) ظهر ذلك اليوم من اذاعة طرابلس التي تم ربطها بإذاعة بنغازي .. وكان ان ارسل لنا مع المرحوم (ابوالقاسم بن دادو) احد المذيعين بالاذاعة وكان يقطن معنا في نفس العماره .. تصريحا بالمرور حيث كانت حالة منع التجول مفروضه في الأيام الاولى ... وطلب منا الحضور إلى الإذاعة فذهبنا .. ولا زلت أذكر أننا وجدنا عددا من أعضاء

(حركة القوميين العرب) يملئون المكان ويقومون بطبع مناشير التأييد .. (واذكر منهم المرحوم (عمر دبوب) الذي اعدم سنة 1977 .. وترك معلقاً في مشنقته ساعات عدة في احد ميادين بنغازي.. حيث كان المسئول عن الدخول والخروج من بوابة الإذاعة).. سلمنا على القذافي وعانقناه . وكان سلامه علي ببرود لافت للنظر ...وفي اليوم الثامن أعلن مجلس قيادة الثورة الذي كان مجهولا حتى تلك اللحظة .. عن ترقية (معمر القذافي) الى رتبة (عقيد) وتعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة.. ولم ألتق العقيد القذافي بعد ذلك شخصياً حتى الان ....

(كتبت هذا الفصل سنة 2010)





فترة الاعتقال الثالثة 2009

الجمعية

أشرت في السابق الى ظروف معرفتي بـ(سيف الإسلام القذافي) وهنا أضيف ما يقتضيه المقام وإن حوى شيئاً من التكرار ...

خرجت من السجن سنة 1997 .. بعد عريضة تقدم بها مجموعة من الشخصيات في مصراته .. تحينوا فرصة زيارة القذافي لمدينتهم وتمنوا عليه اطلاق سراحي بعد مضي سبع سنوات على صدور حكم البراءة في حقي من التهمة التي لفقت ليّ ... والتي تم نسج خيوطها بطريقة استخباراتية لاتقوم على أساس من الواقع والقانون .. مستغلة فترة نشاطي المعارض في الخارج ووجهت اليّ اتهاماً لا تحكمه قواعد العدالة ، ولا دليل عليه من الواقع .. وحكمت محكمة الجنايات ببراءتي لانعدام الدليل وأيدت ذلك المحكمة العليا ... إلا أن (القذافي) رفض الافراج عني للمدة التي اشرت إليها ... وبعد خروجي انصرفت الى العمل في مكتبي والاهتمام بشؤون أسرتي ومحاولة تعويض اطفالي عن سنوات الحرمان والعذاب ...وكذلك معاودة الاندماج الاجتماعي بعد هذا الانقطاع الطويل ...

بعد خروجي لاحظت أن دور (ابناء القذافي) قد بدأ في البروز بشكل لافت وأن بعض الاشارات قد بدأت بالتلويح بمحاولات الاصلاح وانقاذ ما يمكن انقاذه في بلد خيم على الافق السياسي فيه مناخ الركود ،والإقصاء والاستعصاء ... كنت أراقب ما يجري بشعور لا يمت الى التفاؤل بصلة .. حيث كنت محملا بركام تجربة سلبية مع النظام عمرها يزيد عن ثلاثين عاماً .. وفي شهر ديسمبر 1999 ... فوجئت دون سابق علّم بمن يتصل بي ويبلغني أن (سيف

الاسلام القذافي) يريد مقابلتي فوراً ... وهكذا جاء من ينقلني الى بيته في منطقة (غرغور) .. وكان الوقت عصراً في يوم من ايام شهر رمضان الكريم ... ذهبت مع مرافقي وفي الطريق الى اللقاء لم يكن يسيطر على تفكيري شئ سوى كيف سيستقبلني هذا الشاب ... فالصورة التي وجدتها عن ابناء القذافي وتصرفاتهم الرعناء لم تكن مطمئنة ... إلا أنه وللحقيقة والانصاف قد استقبلني باهتمام وترحييب أزال عني توقعاتي المتوجسة .. وعندما جلسنا بدأ الحديث عن نيته انشاء مؤسسة خيرية تعني بعدة مواضيع من بينها مسألة (حقوق الانسان) غير أن طرحه للموضوع قد ابان لِيّ سوء فهم وإدراك لهذه المهمة حيث أشار في تعداده للاهتمامات المتعلقة بحقوق الانسان الى قضية (عبدالله اوجلان) التي كانت ساخنة آنذاك ، والى وجود بعض الليبيين المحتجزين في اسرائيل ... وتطرق في تعريض واضح الى (اللجنة العربية الليبية لحقوق الانسان في عصر الجماهيرية) التي تشكلت بعد صدور (الوثيقة الخضراء) والتي ضمت مجموعة من المؤسسين اغلبهم يشغلون مواقع في الدولة واللجان الثورية .. بل انه وصف بعضهم (بالشناقة) واسترسل في حديث يفتقر الى العمق والادراك والتحليل .. عارضاً عليّ التعاون معهم في موضوع (حقوق الانسان) بحكم تجربتي في السجن ومعاناتي حسب تعبيره ... قبل أن أبدي موافقتي أشرت الى ان أي اهتمام بموضوع حقوق الانسان يجب ان يبدأ بالملف الليبي ومافيه من انتهاكات صارخة .. بل قلت بالحرف الواحد (عبدالله اوجلان في جزيره مرمرهة) والعالم على اطلاع بقضيته .. غير ان ما يجري في سجوننا يفوق ما كان يجري في (سجون البابوات) في العصور الوسطى ... بدى عليه الاهتمام مما شجعني على الاسترسال في ذكر الوقائع وشرح الظروف التي تركت السجناء يعانونها وأردفت بأن العالم ومنظماته لن يبدي اهتماماً ولن يكون لاي عمل في هذا المجال اثراً إذا لم نبدأ بالملف الليبي بتحقيق مكاسب وخطوات تبدأ بتحسين اوضاع السجناء ... والسعي للافراج عنهم خاصة وأن منهم من قاربت اقامته الثلاثين عاماً ... كانت إيماءات رأسه توحي بالمتابعة والموافقة .. وبعد أن كاد وقت المغرب يدركنا .. استأذنت في الانصراف بعد ان وعدته بكتابة مذكرة تبين وجهة نظري تفصيلاً .. فيما تم تناوله ...

وفعلاً أعددت المذكرة بعد التشاور مع اصدقاء اقدرهم وأثق في نقاء توجههم الوطني وعلى رأسهم صديقي (يوسف الشريف) الذي ابدى ملاحظات دقيقة بما عرف عنه من دقه وحرص ... ولا زلت احتفظ بالمذكرة وعليها ملاحظات (يوسف) وغيره من الأصدقاء ...اعدت صياغتها وارسلتها له ....

مر اكثر من ثلاثة اشهر دون أي اتصال منه .. فاعتقدت بأن ماورد فيها لم يعجبه او لم يرق (للوالد) وصرفت النظر وانصرفت لشؤوني الخاصة ... بعدها عاود الاتصال بي عن طريق أحد معاونيه (صالح عبدالسلام) .. الذي لمست من خلال تعاملي معه انه ينطوي على صفات جيدة ... وعاملني باحترام طوال فترة علاقتي بالموضوع ... من البداية تعاملت مع (سيف الاسلام) بحرص شديد على حفظ مسافة بيننا ، لم اكن حريصاً على التقرب او التقارب الشخصي معه ... كما كان يتهافت على ذلك الكثيرون وظلت علاقتي به في إطار الموضوع وبعيداً عن الذات .... قابلته في هذا السياق مرات معدودة وبناء على طلبه ... بل إنني لا اذكر أنني اتصلت به من طرفي سوى مرتين لأمر ملحّ ... يتعلق بحقوق الانسان .. وبدأت العمل صحبة رفقائي من الشباب والمثقفين ضمن مبادرات من جانبنا .. وتواصل معه عن طريق (صالح عبدالسلام) .. وبدأت هذه المسيرة وانا اضع امامي مبدأ (إشعال شمعة خير من الظلام) .. واليوم أعترف بأنني راض عن كثير مما تحقق والذي يتعلق حصراً بتحسين أوضاع السجناء والبدء في اطلاق سراح مجموعات متوالية منهم .. ومحاولة مساعدتهم من خلال مبادرات وأليات اعتمدتها (ولم تلق منه رفضاً) ... كإعادة السجناء الى اعمالهم وصرف مرتباتهم وتشجيعهم برسائل للمحاماة الشعبية على رفع قضايا تعويض عن الضرر الذي لحق بهم اثناء فترة السجن .. وهذا ما تم حيث صدرت به احكام من المحاكم تم تنفيذ كثير منها ... كذلك حملة (لمناهضة التعذيب) وغير ذلك من المكاسب التي كانت تعد في حينها ايجابية ..... وهنا عليّ أن اعترف بأنني قبلت هذا التعامل مع مبادرة (سيف الاسلام) بروح تطوعية خالصة ... وكذلك رفقائي من الشباب ... فلم نكن نتقاضى مرتباً او مكافأة ....

ولم تكن للجمعية ميزانية وكنا ننفق على مصروفاتها البسيطة من جيوبنا .. واشتراكات الاعضاء .. لست هنا في مجال المباهاة بما قمت به مع زملائي .... غير أن ذلك رغم اقتناعي بإيجابيته .. كان على حساب عواطفي ووجداني وتمزقي الداخلي ..... بين جدوى ما افعل ومخزون الالم الذي اشعر به خلال مسيرة عملي السياسي في مواجهة النظام ...

المفاصلة والاستقالة .

جاءت بداية سنة 2007 والتي وصلت بها الى قناعة بأن الامر قد بدأ يأخذ وجهة اخرى فمشروع (ليبيا الغد) الذي بدأ (سيف) في الترويج له والذي انخدع به الكثيرون .. قد

أُستُهل بمهرجان دعائي كانت ملامحه الواضحه تبين أن التوريث والترقيع والتجميل لوجه نظام صار مليئا بالتغضن والترهل ... صار هو الهدف الأول والأخير ولا نية او إرادة حقيقية للإصلاح !!....

تركت الجمعية بداية 2007 كما ذكرت ... ولم اشارك في كثير من المظاهر والمكونات والتجمعات التي أفرزها (مشروع ليبيا الغد !!!) والتي رأيت حسب تجربتي مع النظام أنها مكونات (كرنفالية) .. مع احترامي الشديد لنوايا من اقبلوا عليها وشاركوا فيها ...

بدأ صوت الحناجر والهتافات وتحشيد الشباب واطلاق الوعود الجوفاء يتسيد المشهد .. وهو ما دفعني كما ذكرت الى أن أنتبذ مكانا قصياً وانصرفت الى اعمالي واهتماماتي ونشاطاتي ضمن نقابة المحامين ورابطة الادباء وغيرها .... من منابر الرأي .. رفضت الاشتراك فيما سمي (بالمنابر) و(مركز الديمقراطية) وقبلت المشاركة في محاوله رأيتها خطوة للامام وان تمت تحت عباءة (سيف الاسلام) .. وهي انشاء (جمعية العداله لحقوق الانسان) كجمعية اهلية (شبه مستقلة) إلا انني تعرضت في محاولتي هذه للاقصاء الذي جاء في البداية من احد (الزملاء المحامين) الذي قفز لتصدر المشهد (هذا المحامي الذي بذل في فترة حرب القذافي على الشعب الليبي في ثورته المجيده جهداً مضنياً في تقديم المبادرات التي تحفظ (للقائد رمزيته) وتطيل في عمر نظامه !!) .... ثم جاء من الامن الداخلي الذي تحفظ على اسماء اثنى عشر مؤسساً كنت من بينهم ...

ألقيت في هذه الفترة محاضرة في نقابة المحامين خلال موسمها الثقافي (رمضان 2008) محاضرة بعنوان (ظاهرة العنف الرمزي في المجتمع الليبي) التي أثارت عاصفة من الحنق لدى رموز النظام خاصة (معتصم القذافي) .. الذي كان مسؤولا عن جهاز قمعي يسمى (الامن الوطني) ... وتم استدعائي من قبل (مفتاح كعيبه) الذي تربطني به علاقة شخصية .. والذي بدأ مسيرته مع القذافي طيلة سنوات حكمه ليختتمها بالولوغ في دم ابناء مدينته (مصراته) .. وكان كلامه مليئاً بالوعيد والترهيب الذي كان فيه صوت سيده (المعتصم) ...

المؤامـرة .

يبدو أن انياب (محمد المصراتي) المسعورة الذي اشرت اليه في بداية هـــذه المذكرات لا زالت تلاحقني حيث كان يشغل منصب (النائب العام) وهو عميد الشرطة ورجل الامن المريب !! ... نتيجة لجو الحقد والرغبة في الانتقام الذي بدأ يبرز تجاهي .. جاء دور ابطال المؤامرة وهم تحديداً: (محمد المصراتي) و (موسى كوسا) الذي كان رئيساً لجهاز الامن الخارجي وبمباركة من كبيرهم الذي علمهم السحر (القذافي) .... بدءوا في حياكة مؤامرة متداعية الاركان واهية البنيان ... فقد لفقوا لي تهمة عن طريق هذا (النائب العام) تتعلق ايضاً بنشاطي المعارض في الخارج وبوقائع مختلفة لاينسجها إلاّ خيال مريض .... تم استدعائي للتحقيق امام نيابة شمال طرابلس 31 يناير 2009 .. ومثلت امام النيابة العامة وبصحبتي الزميل (عبدالسلام دقيمش) المحامي .. فاتني أن اشير الى أن (صالح عبدالسلام) قد هاتفني بضرورة الحضور فوراً الى مكتبه لامر مهم يوم الاربعاء .. وابلغني انني (متهم بجريمة قتل والانضمام الى تنظيم محظور) !!... ليس بمقدوري أن اصور وقع ذلك على نفسي ... ضحكت .. وارتعبت ... وحاولت التماسك وشممت رائحة كريهة !! .. تلقى (صالح عبدالسلام) اتصالا هاتفياً من (سيف) الذي كان على ما أذكر يحضر (مؤتمر دافوس) وابلغه بأن ما قام به (المصراتي وكوسا) هو (مؤامرة ضد عتيقة) .. وانهم ضحكوا (على باتي) يقصد والده!! ... وطلب منه ابلاغي بضرورة كتابة رسالة لابيه تشير الى تدخل اهالي مصراته لإطلاق سراحي ، وأن اطلب فيها تدخله في وجه المؤامرة الدنيئة حسب تعبيره ... واعداً بالتدخل لصالحي وان هذه الرسالة ستساعده .. في ذلك .. لم يكن للرفض مجالا في هذا الجو القاتم ولا لقراءة النوايا .. فكتبتها على عجل وقد قاموا بنشرها اثناء فترة اعتقالي ... قلت إنني مثلت اما النيابة العامة وحقق معي عضوان بدرجة محام عام أذكر اسم احدهما (ابراهيم عاشور) والذي بدا مهذباً ...ليناً في معاملته ... يبدو عليه الخجل من المهمة التي كلف بها .. وقد لاحظت أن توجيه الاسئلة لي كان يتم بعد اطلاعه على ورقة بجانبه تحوي مجموعة من الاسئلة اعدت سلفا ..وهو ما يخالف قواعد واصول التحقيق الجنائي ... وان كان يتفق من قواعد واصول (المؤامرة) .. بعد نهاية الاسئلة التي كانت تدور حول نشاطي المعارض قبل سنة 1988 .. تاريخ عودتي من الخارج تم واجهني بثالثة الاثافي وهي رسالة من (موسى كوسا)

بصفته رئيس جهاز الامن الخارجي الى (محمد المصراتي) النائب العام ... مفادها والذي حفظته حرفيا من الذاكرة ... (بناء على طلبكم بخصوص عضوية المدعو (جمعة عتيقة) في تنظيم (جبهة الانقاذ!!) (والتي لم أنتمي اليها يوماً) ... نفيدكم بانه ليس لدينا مايفيد انسحاب المذكورمن هذا التنظيم) .. ذهلت واندهش زميلايَّ ... والتقت اعيننا جميعاً بما في ذلك وكيل النيابة وقلت هذه مؤامرة مكشوفة ... أليست البيّنة على من ادعى !!.. وهل لدى هذه الجهة الامنية من الادلة ما يفيد بقائي في التنظيم الذي لم ادخله يوماً .... رآن الصمت وجفت الاقلام ... خرجت منتظراً ما يأمر بها وكيلا النيابة .. وجلست مع محامي ومرت لحظات قلق عاصفة طافت اثناءها اطياف زوجتي وهى تودعني صباحاً تغالب دموعها وتقول لي (لا إله إلا الله) ... لأرد عليها (محمد رسول الله) ...وابني (علاء) الذي صحبني الى مكتبي حيث وجدت صديقي (عبدالسلام دقيمش) في انتظاري لينقلني إلى مقر النيابة ... ووجدتني اردد (اللهم إنا لانسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللطف فيه) ... مرت تلك اللحظات ليقبل عليّ كاتب المحضر رفقة مجموعة من الحراس ويبلغني بأنه قد تقرر (حبسي) خمسة واربعين يوماً على ذمة التحقيق ... فاضت مشاعر الغضب عند زميلي (عبدالسلام دقيمش) وقال (الان استطيع أن ارفع صوتي بأن ظلماً صارخاً قد حاق بك .. وان مؤامرة دنيئة قد حُيكت ضدك) .. احتجزني الحراس في انتظار وسيلة نقل تقلني الى السجن .. واسرع زميلي (عبدالسلام) الى احضار بعض الشطائر وزجاجات الماء لاتناول مايحول بيني وبين هبوط السكر المفاجئ نتيجة الجوع وجفاف الحلق ...

نقلني الحراس الى (السجن الخاص) خلف مبني البحث الجنائي في طريق صلاح الدين واودعت زنزانه صغيره لاتزيد مساحتها عن مترين في متر.. لم اجد فيها فراشاً ولا اغطية وكان برد يناير ينهش عظامي ... وبعد ساعات زودت بفراش ملته القذارة وبلحاف اذابته الرطوبة ... جلست على الكرسي ... وانا أردد بيت شعر (لمحمد الشلطامي) :

يارفيقي كلما كانت ليالي السجن اقتم
كلما كان الحنين لضياء الشمس
والحرية الحمراء اعظم
كل قلب شمسه فيه وحتى إن يكن
عصبوا عينّي من يعصب قلبي !! ..

غفوت اغفاءة طويلة جراء التعب والارهاق ومداعبات (مرض السكري) وبالرغم من برودة الطقس الذي صادف مايعرف في تقويمنا الشعبي بـ(قرة العنز) .. فقد قررت ان اتمسك بتماسكي وان ألوذ بقوة العزيمه والثبات ... طلبت من الحراس اعطائي (شبشباً) لدخول الحمام .. فلم يستجب أحد إلا بعد ثلاثة ايام حيث احضروا لي نوعا بلاستيكياً رديئاً .. سبب في جرح اصبع قدمي .. وسرعان ماالتهب الجرح واكتست قدمي باللون الازرق ... طلبت نقلي للمستشفى او احضار طبيب ولا مجيب ... كررت الطلب مراراً حتى تمت الاستجابة فنقلت لمستشفى (شارع السيدي) وتمت معالجة الجرح بمطهرات ومراهم ... وهنا اذكر ان احد الاصدقاء واسمه (على المحجوب) قد اقبل على باندفاع محيياً ظاناً انني ازور المستشفى في ظروف عادية .. فما كان من الحرس إلا ان حال بيني وبينه ودفعه دفعة قوية لازلت مدينا بإعتذار له عنها حتى اليوم ... عدت من المستشفى .. وفي اليوم التالي حضر الأستاذ الزميل (محمد العلاقي) مع الأستاذ (عبدالسلام دقيمش) التحقيق معي وبنفس الوتيرة الباهتة استمر التحقيق وتم الامر باستمرار الحبس ....

17 فبراير الافـراج .

بعدها بأسبوع أبلغت بأنه على إعداد حاجياتي ليتم نقلي الى سجن الجديدة واستعددت وسط قلق وتوجس من القادم .. في ذلك السجن سيئ السمعة ... وتمنيت لو ابقوني في مكاني رغم بؤسه ووحشيته... وقرب العصر حضر ضابط اسمه (سالم السويحلي) واخرجني من زنزانتي وطلب مني التوقيع على اوراق كانت في يده ... عند التوقيع الذي كنت اظنه على امر النقل للجديدة قرأت في الورقة (يفرج عن المتهم بضمان محل اقامته) وتصادف أن تاريخ ذلك اليوم كان 17 فبراير ... فهل كان يخبئ القدر لي موعداً مع هذا التاريخ !!..(أضيف هذا التعليق بعد قيام ثورة 17 فبراير).

غمرتني بهجة وفرحة ... تم نقلي بسيارة تابعة للبحث رفقة سائق طلبت منه اثناء الطريق هاتفه واتصلت بزوجتي التي كادت تفقد صوابها وسمعت زغاريداً وبكاء في منزلي ... وصلت المنزل فوجدت شقيقي (علي) في انتظاري في عرض الشارع فكان عناقاً وفرحاً ... وتوافد الاصدقاء والمعارف واناس لا اعرف جلهم للتعبير عن فرحتهم بخروجي .. حتى تلك اللحظة

لم اكن اعلم شيئاً عن تدخلات (سيف الاسلام) لصالحي .. وتصريحاته واجاباته عن اسئلة الصحافة والتي ذكر فيها... (بأن اعتقال جمعة عتيقة كان من اجل إسكاته) ... استمر سيل الزوار والمهنئين ، وفي رابع يوم لخروجي تلقيت مكالمة من المرحوم الدكتور (علي خشيم) الذي هنأني وطلب مني ضرورة المرور على مكتبه بمجمع اللغة العربية .. ذهبت الى هناك لافاجأ بوجود الأستاذ (علي مصطفى المصراتي) و(محمد وريث) صحبته .. وما إن دخلت حتى القى الدكتور قنبلته الدخانية بقوله لقد تم استدعاؤنا من قبل (البغدادي المحمودي) امين اللجنة الشعبية العامة .. وإبلاغنا برساله مفادها ...(يجب ان يمتنع عتيقة عن أي نشاط ثقافي او فكري ... بل بلغ الامر الى حد عدم حضور المحاضرات) ... ذهلت من هذا الابتزاز الذي لم يكن له مبرر سوى أن محدثي الثلاثة من مصراته التي انتمي اليها وتم تكليفهم بما كلفوا به وفق منطق القبيلة والعشيرة الذي كان يدير الدولة آنذاك ... كان الأستاذ (المصراتي) صامتا وكان (محمد وريث) (محققاً) يكاد يقبض علي ليعيدني الى السجن !! ..

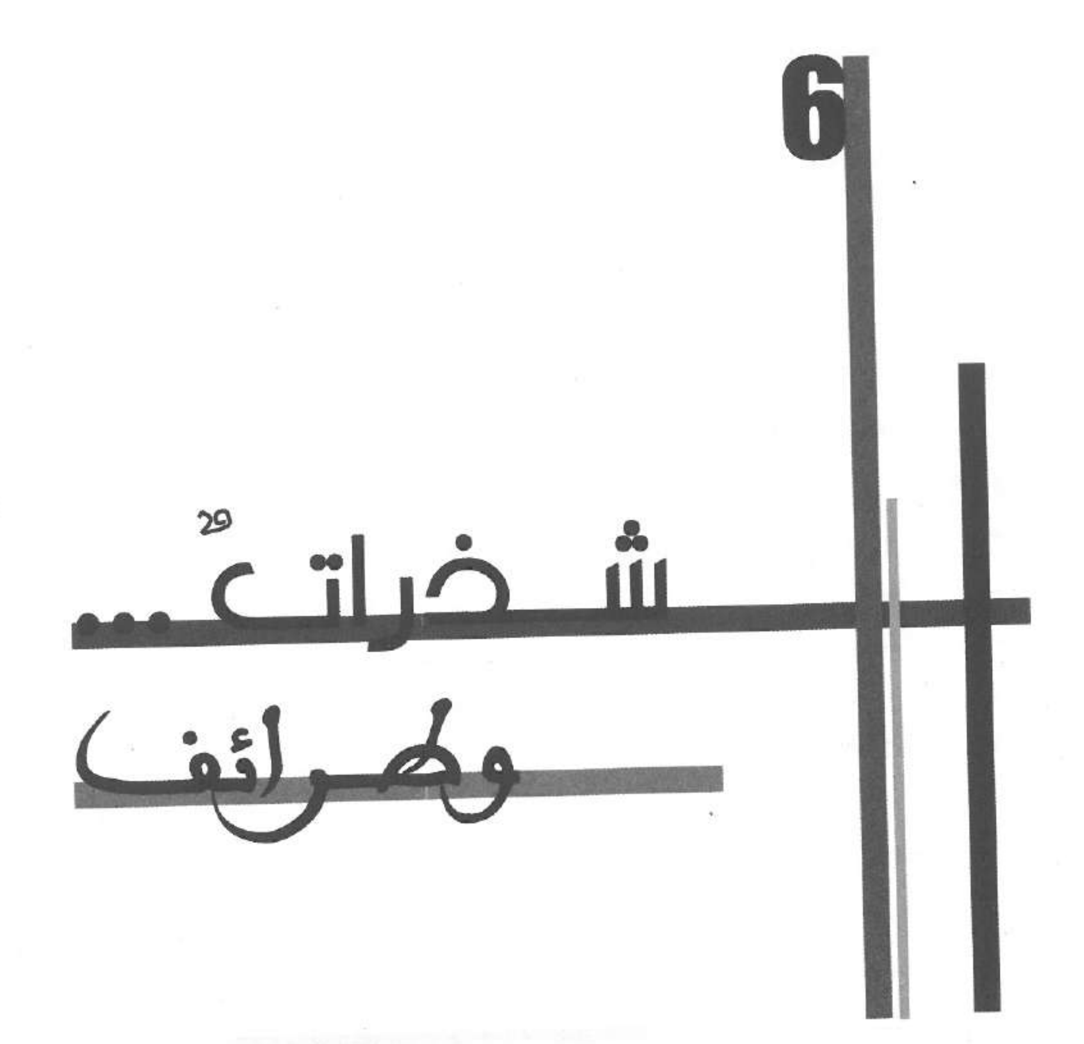
خرجت من عند الدكتور(خشيم) وانا اتأسف واتألم كيف يمكن أن يتحول المثقف الى سيف من سيوف الاستبداد ومصادرة الرأي ... وعدت الى حياتي متسربلاً بالحذر والتوجس .. واعطيت اهتماماً اكبر لاعمال مكتبي القانوني التي اهملتها زمناً جراء انغماسي في محاولات (فتح كوه في جدار صلب) ... وتركته أمانة بيد زميلتي بالمكتب (ليلى الطرابلسي)

رغبت في السفر للعلاج والنقاهة غير أن قرار المنع من السفر ظل سارياً طيلة سنة 2009 .. حتى تم رفعه من قبل النائب العام الجديد (عبدالرحمن العبار) بداية سنة 2010 ...

ومرت الايام وازدادت الظلمة الحالكة القاتمة .. ولم اكن اعرف أنها كانت تلك التي تسبق انبلاج الفجر الذي جاء على يد شباب هذا الوطن ليزلزل اركان الطاغية ويكسر القيود ويحرر الشعب الذي كتب بدمه شعاره الأبدي (لن نعود للقيود) ...

وها هــو العمــر يمضي وها أنا ادلي بكلمتــي للتاريخ والاجيــال القادمة امــلاً فــي مستقبل زاهــر لبــلادي ....

علـى هامـــش الســـيرة





على هامش السيرة

شذراتٌ ... وطرائف

شــذراتٌ

حينما منعت من دخول مصر 1986:

كنت قادما من بغداد الى القاهرة وكانت اجراءات ترتيب الدخول تتم عن طريق بعض الاصدقاء المقيمين في مصر .. وصلت ليلا الى مطار القاهرة .. ومكثت منتظراً الاذن بالدخول وطال الانتظار .. والتسويف .. فطلبت من الضابط المناوب السماح لي بالذهاب الى الفندق الداخلي الموجود بأحد طوابق المطار ... سمح لي بعد ان كلف احد الحرس بمصاحبتي وملازمتي طوال الوقت ، والذي ما إن اختليت به حتى بدأ يشكو من ضيق الحال وغلاء المعيشة .. فأنقذته ببعض النقود .. سمح لي بعدها بإجراء اتصالات من الهاتف العمومي بالمطار فأبلغت الأصدقاء ... ونمت على وعد بحل الأمر في صباح الغد .. ذهبت في الصباح الى مطعم الفندق .. وهناك تعرفت الى شاب ذكر لي انه من (اسرائيل) وعائلته قدمت من رومانيا وكان في رحله لبعض الدول الافريقية .. وهو في انتظار السماح له بدخول القاهرة ... لم يطل الانتظار حتى جاء احد افراد الامن بلباس مدني ونادى على اسمه وابلغه ان بإمكانه الدخول الى مصر .. مضيفاً في انجليزية ركيكة .... .. (you are welcome)

وبقيت أنتظر في حسرة وألم ساعات قبل ان يأتيني نفس الشخص ليعلمني بقرار ترحيلي إلى بغداد .. لم اعرف السبب وأن خمنت بأن سببه زيارة سابقة من قبل أحد ضباط الامن واسمه (فتحي المصري) لي في الفندق وسؤاله عن الاحوال في بغداد .. وهل أنا بعثي ..

وكيف أطمئن ان العراقيين لايقومون بتسليمي للقذافي !!.. وأجبته بانني لا اذيع سراً بانني لست بعثياً ومع ذلك فقد وجدت في العراق معاملة طيبة واحترام وتقدير ... دون املاء او طلب لاي امر خارج عن قناعاتي ... شعرت ان الاجابه لم تعجبه .. ودعني وقد سكنت ذهنه بعض الشكوك حول حقيقة عدم بعثيتي .. ومن هنا خمنت ان هذا سبب للمنع .. ولكن دخولي الى مصر بعد ذلك أزال بعضاً من هذه الشكوك ..

لقاء عاصف مع المقريف والمرحوم أحمد حواس .

في بداية سنة 1981 نشرت جريدة الشرق الاوسط مقابلة مع المرحوم (أحمد احواس) تحدث فيها عن خطط الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا بعد تأسيسها وتطرق الى نشاطهم في الداخل (قال .. لدينا شخصيات في الدائرة الاولى التي تحيط بالعقيد !!) واذكر أنني قرأت المقابلة وأطلعت عليها (سعيد الختالي) الذي كان معي ...فأثارني هذا الامر واتجهت صحبة (سعيد) إلى بيت (المقريف) في منطقة سويسي بالرباط وكان (أحمد حواس) يقيم عنده بعد انشقاقه عن النظام ... حيث كان سفيراً في (غويانا) فوجدناه يتناول الإفطار مع (المقريف) و(الناكوع) فأبديت ملاحظاتي على ماقيل في المقابلة ووجهت الحديث الى المرحوم (حواس) .. قائلا ان ماذكرته في مقابلتك لايخرج عن احد أمرين .. الاول أنه مبالغة ودعاية فارغه لاتكتسب أي مصداقية ... وإمّا تنبيه للنظام لأخذ الحيطه من دائرته المقربة .. وفي ذلك إستخفافاً بمصائر الناس .. إبتسم حواس بهدوئه وطيبته .. و غضب منّي محمد المقريف ...

لقاء في بيت غيث سيف النصر .

كانت عزومة (غداء) في بيت الحاج (غيث عبدالمجيد سيف النصر) وكنا مجموعة منهم على ما أذكر: (المقريف) و(صلاح السويحلي) و(على بوزعكوك) و (محمود الناكوع) ... وكانت الحرب العراقية الايرانية سنة (1980) في بداياتها وأبدى اغلب الحاضرين (من جماعة الاخوان) تأييداً لايران واتهموا العراق بمحاربة الثورة الإسلامية كنموذج يجب ان يحتذى للحكم في العالم الاسلامي ... دخلت معهم انا والاخ صلاح السويحلي في حوار

اشبه مايكون بحوار الطرشان ... وحتى عندما ذكرت لهم بأن (صادق خلخالي) السفاح المعروف الذي كان يقيم المحاكم الميدانية ويرسل الناس الى المشنقة او الرمي بالرصاص بعد توجيه تهمة لم يعرفها تاريخ القضاء في العالم حتى ايام محاكم التفتيش (انت متهم بانك مفسد في الارض !!) ومهما كانت الاجابة فالنتيجة واحدة (الموت) ... هـــذا (خلخالي) سُئل من قبل احد الصحفيين الأجانب انك ترسل الناس للموت بعد محاكمات صورية .. فافترض لو أن أحدا منهم كان بريئاً ؟ .. فأجاب إذا كان مذنباً فقد نفذنا فيه حكم الله .. وإذا كان بريئاً فقـــد عجلنا بدخوله الجنة !! ... ذكرت ذلك للتدليل عن ذهنية حكم الملالي في إيران ... وعندها أجاب المرحوم (احمد أحواس) وسط تأييد مجموعته جواباً أذهلني وصدمني.. قال (هذا يدل على انه قاضي مسلم يعترف بضعفه البشري وإمكانية خطأه) ... عندها لم اجد بدأ من القول لهم : (اذا كنتم بهذه العقلية وقيض لكم ان تحكموا ليبيا سأقاومكم الى آخر نبض في عروقي) ... وخرجت من بيت الحاج غيث مغاضباً ...

الليبيون الأفغان :

لم ألمس هذه الظاهرة إلا بعد دخولي للسجن والتقائي بعض الشباب الذين خاضوا تجربة (الجهاد) في افغانستان .. وقد اعتنق أغلبهم أفكارهم المتطرفة من هناك وتحديداً من الاقامة في منطقة (بيشاور) بباكستان حيث تتواجد المجموعات التي تمثل الاسلام السياسي .. ويتركز بها النشاط الدعوي والاعلامي لهذه المجموعات ... سمعت قصصاً عن (بن لادن) لاول مرة و(عبدالله عزام) وعن فتاوي فقهاء الجماعات حول تكفير الحكام .. والولاء والبراء .. والحاكمية والمفاصلة الشعورية .. تلك الافكار التي تناسلت من مؤلفات (ابو الأعلى المودودي) و(سيد قطب) ومن نهج نهجهم ... سألت بعض هؤلاء الشباب عن الدروب التي أوصلتهم الى تلك المجاهل .. فعلمت ان اغلبهم قد ذهب ضمن عمليات استقطاب داخل ليبيا وان طريقهم قد مر بالسعودية حيث التسهيلات والاقامة .. وكذلك الاستقطاب (الوهابي) وتلقين الشباب افكار (الشيخ بن باز .. العثيميين) .. وغيرهم من فقهاء المذهب الوهابي ... كان جهد السعودية يصب ضمن المخطط الامريكي لمحاربة الاتحاد السوفيتي والمساهمة في تقويضه بعد تورطه في احتلال افغانستان ... كان كثير من الشباب قد رجع من

هناك محبطاً مصدوماً بعد ان اطلع على واقع يصادم ما يحمله من رؤى واحلام صافية نقية ... حيث شاهد الصراع والتصفيات والابتزاز .. وانعدام المصداقية .. إلا ان حملة الاعتقالات الهوجاء والعشوائية يناير سنة 1989 قد حصدتهم وحشرتهم في السجون والمعتقلات ...

محمد بن عيسى :

اثناء اقامتي في المغرب تعرفت إلى السيد (محمد بن عيسى) حيث كان صديقا لشقيقي (علي) ... وكان عضوا بمجلس النواب المغربي ورئيس تحرير جريدة (الميثاق) لسان حزب الوطنيين الدستوريين .. إن لم تخني الذاكرة ... وكان يرأسه (أحمد عصمان) ... اهتم بي السيد (بن عيسى) واستضافني مع زوجتي بمنزله بالرباط وأصيلة عدة مرات.. والحقيقة أن السيد (بن عيسى) مثال للمثقف الحيوي ولديه روح فنان اصيل .... وكان صديقه التشكيلي الشهير (محمد المليحي) ملازماً له.... كان حلو المعشر حاضر البديهة .... كتبت في جريدةالميثاق عدة مقالات تتعلق بالشأن الليبي والنقد الادبي .... (محمد بن عيسى) هو من نصحني بترك المغرب عندما بدأت بوادر عودة العلاقات مع ليبيا ... وأنها لم تعد مكاناً آمناً للمعارضين ... وهذا ماحدث وصدق توقعه ... حيث تم تسليم (عمر المحيشي) و(نوري الفلاح) ونفذ بقية الموجودين في المغرب بجلودهم ...

صار السيد (محمد بن عيسى) وزيراً للثقافة ووزيراً للخارجية وهو الان (2007) متفرغاً لمنتدى اصيله الذي اكتسب شهرة دوليه ومكانه رفيعه في عالم الفكر والثقافة والفن ..

عمر المحيشي:

في هذه الصفحات لن اتناول من موضوع (المحيشي) وملابساته وخلفياته إلا مايتعلق بوقائع شهدتها وكنت طرفاً فيها ... سنة 1982 ابلغني المغاربه (السلطات الامنية) بوجود (عمر المحيشي) في الرباط (بفندق باليما) فذهبت اليه صحبه (محمد المقريف) وفوجئنا بحالته العصبية واحتجاجه الشديد على ما يكتب في حق المعارضة ضد (الثورة) وخاصة نعتها بالانقلاب ... واشتد انفعاله وعلا صوته .. فقمنا بتهدئته .. خاصة واليوم كان عيد اضحى وكنا مجتمعين في بيت (المقريف) على (خروف العيد) فدعوناه وقبل الدعوة .. وامضى معنا يوم

العيد ... لاحظنا انه يعاني من اعراض (انفصاميه) حيث كان يسترسل في الحديث بشكل مسلسل ثم ينقطع هذا التسلسل ... ويدخل في مواضيع اخرى ...

بعد ذلك نقل الى فندق صغير قرب ضريح (محمد الخامس) وهي المنطقة التي كنت أقطن فيها ... فصرت اتردد عليه في هذا الفندق اشفاقا على حالته ومآل اليه وضعه بعد اهمال السلطات المغربية له وتقصيرهم حتى في حمايته ...

وعندما تركت المغرب اواخر سنة 1982 .. كان هو يعاني أسوأ حالاته المرضية .. بعد أن انتقل الى فيلا في منطقة (سلا) استأجرها صهره (صلاح السويحلي) ... ومن هنا كانت جريمة تسليمه مضاعفة .. تسليم انسان مريض مستجير لاجئ ... وقد عبرت عن ذلك في مقالة نشرتها بمجلة (الطليعة العربية) التي اشرت اليها وكان عنوانها (بالزاف ياصاحب الجلاله) .... وقد اخبرني رئيس تحرير المجلة بأنها صودرت ومنعت من التوزيع في المغرب بسبب هذا المقال ....

سالم عتيقة .

شقيقي (سالم) كان ناصرياً حتى النخاع في سنوات الصبا ... بينما كنت انا متأثراً بفكر الاخوان المسلمين .... وكلانا مهتم بالشأن العام .. بعد ذلك سافر الى الولايات المتحدة وبريطانيا للحصول على الدكتوراه ... وأثناء ذلك كان من المؤسسين للاتحاد العام لطلبة ليبيا الذي كان يناضل في سبيل استقلاليته... شارك في المظاهرات والاعتصامات وكانت حيويته وقدرته القيادية متميزة رغم بعده وكرهه للدعاية والتزويق وحب الظهور ... كان (سالم) من ضمن المجموعة التي أصدرت (مجلة صوت ليبيا) أواخر السبعينيات 1979 ... وساهم فيها بقلمه وجهده وتوزيعها كنواة لعمل كان يأمل ان يكون مثمرا فعالا موضوعيا يساهم في اخراج البلد من كبواته ... إلا انه سرعان ما اكتشف المشاحنات والمنازعات والأوهام .... والزعامات الجوفاء .... والخصومات الفاجرة ... فأثر الانسحاب وانصرف الى عائلته واعماله الخاصة .... وهو الان يقيم في الولايات المتحدة مع زوجته واولاده ... (ياسر – خالد) والحقيقة أن سالم "اثير لدي" وله علي افضال عدة من سنوات التكوين والنشأة المبكرة وفيما تلى ذلك من أيام ...

وأثناء إعداد هذه المذكرات للطبع فاجأني شقيقي سالم بوجود رسالة لديه كنت قد أرسلتها إليه سنة 1977 أثناء مغادرتي لليبيا تحوي تصويرا لظروف وملابسات خروجي في ذلك الوقت .

ملحق الوثائق....

(1)

أخي العزيز سالم

[illegible]

صورة الرسالة التى أرسلها إلى شقيقى سالم سنة 1977 بعد مغادرتى ليبيا :

(٢)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١) عبد المجيد [illegible] ([illegible])

٢) [illegible] ١٩) [illegible]

٣) [illegible] ٢٠) [illegible]

٤) [illegible] ٢١) [illegible]

٥) [illegible]

٦) [illegible]

٧) [illegible]

٨) [illegible]

٩) [illegible]

١٠) [illegible]

١١) [illegible]

١٢) [illegible] ([illegible])

١٣) [illegible]

١٤) [illegible]

١٥) [illegible]

١٦) [illegible]

١٧) عبد الكريم [illegible]

١٨) [illegible]

[illegible]

المفصولون

[illegible] } [illegible]

[illegible] } [illegible]

[illegible] } [illegible]

(٢٦)

[illegible] بسبب [illegible] وقت [illegible]

[illegible] الكتيبة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أخوك المخلص

[illegible]

أخى العزيز سالم

تحية طيبة عساك تكون بخير أرجو ذلك ... عن أخبارى طيبة ومطمئنة بدأت دورات اللغة ، أبحث عن سكن مناسب لإحضار محبوبة وربما عن ظروف خروجي المفاجئ كما أعلمتك بالتليفون فإننى نصحت من قبل أصدقاء مقربين على صلة بأحد الأجهزة الخاصة بان أغادر فى اقرب وقت ممكن حتى لا أتعرض لإجراء ما .واحضر لي احد أصدقائي وهو محمد مؤمن فى مكتب الادعاء العام تذكرة سفر في المساء واخذ جواز السفر وأنهي لي الإجراءات .. وهكذا سأبقي هنا ربما لفترة طويلة حتي أتمكن من العودة بعد ان تهدأ الزوبعة .. لا ادري ما هي الأسباب. منها موضوع المرافعة في المحكمة العسكرية ومحكمة الشعب وعلي ما أعتقد موضوع الإتصال بمنظمة العفو الدولية Amnesty ..

.. ووشايات كثيرة خاصة في هذه الفترة الرهيبة التي يمر بها البلد والتي أصبح الناس جميعا يعيشون رعبا دائما وانطلقت أجهزة الجنون تلاحق وتراقب وترصد وتنكل بكل الشرفاء والمخلصين ... إنها محنة يمر بها هذا الوطن تستوجب حقا منا أن نناضل ونناضل وأن نقدم ما بإمكاننا لاتقاء هذه الأرض الطيبة التي ابتلاها الله بأحمق مجنون تافه قتل فيها كل فرص التقدم والأمن والرخاء ويعرضها سلعة للبيع للشرق أو الغرب لايهم ، المهم أن يبقي في الكرسي الملطخ بدم الضحايا لا يحكمه ضمير أو أخلاق. منطقة قبلي عشائري متخلف ... إنها محنة والسلام !! .

أخي ...

أرجو أن تكون أخبارك طيبة وجميع أصدقائك، سأحاول جاهدا أن أزورك إذا تحصلت علي الفيزا وقد وعدتنى جماعة في السفارة بذلك ولكننى في الفترة الأخيرة لاحظت عليهم بعض الفتور في المعاملة .. لا ادري ما سببه !! .

عموماً معنوياتي عالية لست آسفا علي شئ فحياة الركود والخنوع أنت تعرف أننا لا نقبلها .. وأملي وثقتي في ان الغد سيكون أفضل وان هذا الطفح السيئ وهذا الدمل الخبيث سوف يختفى من علي جسم الوطن ويعود معافي يمنح الحب والخير للجميع . وستنزع شمس الحق غيوم الباطل وتلقي بها في مزبلة التاريخ .

نحن يا هتلر يا فرعون نعلم
أن أطلال القبور ستغطي ذات يوم بالسنابل
وسينسي الناس الآم السجون
وسينسون المشانق والمنافي والسلاسل
هذه حكمة التاريخ ومنطق الأشياء

أخي أرفق لك قائمة الشهداء الذين قتلهم السفاح دونما أي ذنب ارتكبوه سوى أنهم أحبوا هذه الأرض وعشقوها :

1 - عبد المجيد المنقوش (من أصدقائي المقربين ومن خيرة ضباط الجيش)
2 - مصطفي المنقوش
3 - عمر خضر
4 - عيسي كروال
5 - علي مشوط
6 - خليفة الفقي
7 - محمد سليمان عطية
8 - محمد سالم البرغتي
9 - حامد الفندور
10 - محمد عبد السلام المنصوري
11 - أحمد بن سعود (هذا احد أصدقائي الأعزاء)
12 - رمضان العربي
13 - فرج الهوني
14 - أحمد دياب عبد الرحمن
15 - صالح القلوص
16 - علي الشاوش
17 - عبد الكريم نجم
18 - عبد السلام البيرة
19 - يوسف السنوسي جلالة
20 - محمد الشريف مرواس
21 - محمد فضيل بريدان

تم تنفيذ حكم الاعدام في هؤلاء يوم 2 ابريل 1977 الساعة الثامنة صباحاً كل في معسكره وبحضور الجنود والضباط وكلف اقرب الضباط اليهم بأن يكونوا هم ضباط الرمي ... وكانت معنوياتهم جميعا عالية جدا .

المدنيون

(عمر علي دبوب - محمد الطيب بن سعود) شنقا أمام مبني الاتحاد الاشتراكي في بنغازي وقد ظلت الجثث معلقة من الساعة 2:15 إلي 7:30 مساء للإرهاب .
(عمر المحزومي - محمد فؤاد السيد)أمام ميناء بنغازي وظلت جثتهم معلقة أيضا .
(المبروك الزول - عبد الغني حنفر) لم ينفذ بعد وسمعت انه ربما نفذ في الأسبوع الماضي ولم أتأكد .

عن ردود الفعل في البلد ... استياء كامل وحقد مندس واستنكار شديد لجرائم المعتوه الحقير ..

في بنغازي تأكد انه خلال الأسبوع قامت مظاهرة استنكار شديدة ونعش رمزي .. حوصرت بقوات الصاعقة تم اعتقال ما يقرب من سبعين طالبا من جامعة قاريونس .

محاولة لإغتيال القذافي تمت في معسكر التدريب الخارجي بطريق غريان أصيب خليفة أحنيش يعالج في مستشفي في ضواحي روما (Bari) تبعد مسافة كيلو متراً . الضابط قتل في نفس الوقت .

أخيرا أرجو لك التوفيق والثبات ..

اخوك المشتاق

جمعة

1977 / 5 / 11

منصور الكيخيا .

كان (كعب اخيل) الذي مكن خاطفي (منصور الكيخيا) من النيل منه ... رجل حوار لايحبذ العنف ولا يقره ولا يدعو اليه ... كان يرى ان مشاكل ليبيا ممكن ان تحل بالحوار وبمزيد من التأكيد على اسس الوحدة الوطنية .... لم يكن يميل الى اخذ الاحتياطات الامنية بل انه يسخر ممن يبالغون في ذلك ....

عرفت (منصور الكيخيا) شخصيا في النصف الاول من السبعينيات ... بعد استقالته من منصبه كوزير للخارجية على اثر معاملة غير لائقة (بروتوكوليا) من قبل العقيد (القذافي) ... اثناء زيارة للرئيس (هواري بومدين) الى ليبيا ... حيث لم يدع لحضور لقاء بين (القذافي وبومدين)... حضره نظيره الجزائري (عبدالعزيز بوتفليقة) وزير خارجية الجزائر ... امام هذه الاهانة قدم (منصور) استقالته وفتح مكتبا لممارسة مهنة المحاماة في منطقة الظهرة قرب مبنى مكتب الامم المتحدة .... كنت ازوره في مكتبه واستمع الى انتقاداته ... الحذرة وتحليلاته العميقة ... واستشرافه للمستقبل كان (متفائلا) في توقعاته .... عاد بعدها ليشغل منصب مندوب ليبيا الدائم في الامم المتحدة حتى 1980 ... بعد هوجة الاعتقالات والاغتيالات التي طالت اصدقاء له ورفاق لدربه (كعامر الدغيس .. ومحمد حمّي) ومغادرة اخرين للبلاد فراراً من مصير مجهول .. كالاستاذ (عبدالله شرف الدين) و (علي بوزقيه)بعد هذه الحوادث والوقائع المؤلمة ... قدم استقالته وانضم (للمعارضة) صوتا عاقلا هادئا ... محاوراً ينبذ الغوغاء والتهور ... ويحلم ببلد تسوده الديمقراطية وسيادة القانون ...

أذكر أنه في اواخر سنة 1981 حضر الى المغرب والتقيت به مرارا وكان بصحبته الاستاذ (عبدالله شرف الدين) واثناء تناولنا الغذاء ذات يوم في بيت (محمد المقريف) ابدى (منصور) بعض الملاحظات حول (بيان استقالة المقريف) وما كان يدلي به من تصريحات صحفية ... تتهم النظام في ليبيا بانه عميل لامريكا وانه قد تأكد من ذلك منذ بداية صعود العسكر الى السلطة وقد فاصلهم الان لهذا السبب .... كانت وجهة نظر (منصور) انه لايجوز لمن شغل مناصب عليا في الدوله (سفير .... وزير) ان يقول مثل هذا الكلام بعد عشر سنوات من عمر النظام ... مما يجعله في موقع الشريك في العماله والتبعية ... لم يعجب كلام (منصور)

(المقريف) وأخذ كعادته في الصراخ ورفع الصوت والعصبية الهادرة ... و(منصور) كعادته هادئا مبتسما ... وعندما امعن (المقريف) في نوبته العصبية ... ذكره بهدوء بانهم ضيوف عنده في بيته والامر لايعدو ان يكون اختلاف في وجهات النظر ... عندها هدأ (المقريف) قليلا على مضض ....

كان غياب (منصور) ضربه لكل القوى الديمقراطية والتقدمية في ليبيا ... وما زال مصيره لغزا غامضاً حتى اليوم اغسطس (2008) ...

قضية الإخوان المسلمين :

تم القبض على مجموعة من الاشخاص في اواخر تسعينيات القرن الماضي واتهموا بتشكيل تنظيم يقوم على (فكر مضاد لثورة الفاتح من سبتمير!!) ... حسب نصّ (قانون تجريم الحزبية رقم 71 لسنة 1472) .. ينتمي الى جماعة الاخوان المسلمين ... واستمر اعتقالهم سنوات طويلة وفي بداية سنة 2004 ... لاحظت ان (سيف الاسلام). بدأ يبدي اهتماماً خاصاً بالقضية ويتحدث عن ضرورة اطلاق سراحهم ... كما ان مساعى كبيرة بدأت في هذا الاتجاه ... كان من ابرزها زيارة الشيخ (يوسف القرضاوي) لليبيا وطلبه من (القذافي) اطلاق سراحهم ... ضمت المجموعة نخبة من الكفاءات العلمية كالدكتور (عبدالله شامية) .. وعددا من الشباب الوطني الذين استهواهم فكر الجماعة ونظموا انفسهم في خلايا وفرق سريّة ... حتى تم اكتشافهم بوشايات ترددت بشأنها اقوال عدة !! ..

علمت في بداية سنة 2006 .. عن طريق الصدفة ان المتهمين سيقدمون الى المحاكمة صباح الغد .. وان ذلك قد تم وسط تكتم تام .. وان اعضاء في (المحاماه الشعبية) قد كلفوابالدفاع عنهم ....فذهبت في اليوم التالي الى مقر انعقاد المحكمة (معسكر الشرطة) .. بطريق صلاح الدين ، ووجدت هناك زميلي الأستاذ (ضو المنصوري) ... وقبل افتتاح الجلسة وبعد ادخال المتهمين قدمت توكيلاً باسم الاخ (محمد صوان) الذي تربطني به علاقة قرابه .... وكذلك عديلي (جمال الماجري) ...

وعند افتتاح الجلسة التي كان يرأسها المرحوم (عبدالله عون) فوجئت الهيئة بوجودي

وزميلي .... فأسقط في يدهم ... وقدمت التوكيل للمحكمة التي تأجلت الى موعد آخر مما فتح المجال امام زملاء آخرين للحصول على توكيلات عن عدد اخر من المتهمين .. وامام هذه الوضعية قررنا تشكيل هيئة للدفاع تشرفت برئاستها .. وضمت الزملاء (محمد العلاقي .. انور الطشاني .. ضو المنصوري .. صالح عبدالجواد .. محمد العربي) ... وأعددنا دفاعنا كفريق متكامل .. وابدينا دفوعاً قانونية منتجة وصارمة دفعنا .. بعدم الدستورية ... وبطلان الاجراءات وبطلان الحبس ... وغير ذلك من الدفوع والدفاع .. غير ان ما اود ان اشير اليه والذي يمثل دلالات لا تخفى على القارئ .. انني حينما دفعت دفعاً دستوريا يترتب على قبوله وقف السير في الدعوى ... وإحالة الملف الى الدائرة الدستورية بالمحكمة العليا التي اعيد تشكيلها بعد طول غياب ... حينها وقف وكيل النيابة معترضاً قائلاً بإنفعال شديد (يا استاذ ادخل في الموضوع ولا تضيع وقت المحكمة) توجهت بالحديث الى رئيس المحكمة (وهو زميل من دفعتي) قائلاً إذا كان الدفع الدستوري ليس من الموضوع فاين هو الموضوع !! .. لمح طيف ابتسامة على وجه رئيس المحكمة ... قرأت فيه انه يشاركني الاسف في المستوى الذي وصل اليه القضاء نتيجة غياب الدستور وثقافته وفقهه !! ..

انتهت المرافعات التي نالت إعجاب المتهمين حتى اننا تلقينا شهادة شكر مكتوبة منهم لازلت احتفظ بها ... وحجزت القضية للحكم ونتيجة للتدخلات والضغوط التي اشرت اليها انعقدت المحكمة في اليوم التالي قبل الموعد الذي حددته المحكمة للنطق بحكمها (بعد الظهر) ودون اعلامنا بذلك .. واصدرت احكامها المتفاوتة وجلها السجن المؤبد وبعد صدور الحكم مكث المحكومون في السجن ... في انتظار الافراج عنهم وبدأ مجموعة من المسئولين الأمنيين زيارتهم والحديث معهم تمهيداً لنيل موافقة (القذافي) بالافراج عنهم ... وقاموا في الاثناء بتسجيل مجموعة من الاشرطة المرئية لاعضاء الجماعة تفيد تخليهم عن قناعاتهم وتعهدهم بعدم العمل السري المناوي للنظام ... وربما تم ذلك بسبب ضغوط اهاليهم الذين كانوا يقيمون معهم داخل اسوار معسكر بوسليم في خيام اعدت لهذا الغرض ...

خرج الاخوان المسلمون .. وسرعان مابدأت ملامح (التصالح) بينهم وبين النظام تظهر على السطح ... حيث انظمت مجموعة منهم لما عرف انذاك (بمشروع الاصلاح) وعاد الى ليبيا

الشيخ (علي الصلابي) متعاونا ومشاركا .. وتم تعيينه عضوا لمجلس امناء (مؤسسة القذافي للتنمية) الى جانب مجموعة منتقاه لإضفاء نوع من الوجاهة الزائفة على المؤسسة (امثال اندريوتي .. بابا ندريو ..) كما تولى الاخ (سليمان دوغه) المحسوب على الجماعة منصب مدير (شركة الغد للاعلام) .. والتي كانت تصدر جريدتي (اويا) و(قورينا) .. يعاونه في ذلك من نفس التيار الاخ (فوزي بالتمر) و(اسماعيل القريتلي) وغيرهم .... واستمر تعاون الجماعه مع النظام حتى انطلاق ثورة فبراير حيث انظموا جميعا للمعارضة وكانت لهم ادوار (اعلامية) بارزه ....

(يوسف) الطفل الذي ترعرع في السجن .

(يوسف ابو مطيريق) طفل ادخل السجن وعمره لايتجاوز خمسة عشر عاما تم اعتقاله (بمناسبة!!) اعتقال والده (الشيخ ابو مطيريق) الشخصية المعروفة بورعها وفقهها وجراءتها في منطقة (القره بوللي) اثناء حملة (1989) المشار اليها في المذكرات ... كان وجود (يوسف) يثير لدينا كثيراً من مشاعر الالم والاسف والحنق... كان مشهد نومه في حضن والده ... وحيويته الطفولية المقموعة يدمي قلوبنا ويطعن مشاعرنا ... عند الخروج القليل (للاريه) كان بعض الحراس يعابثون (يوسف) ويلاحقونه وهو يركض يسدون امامه الطريق ليفلت منهم في خفه ونشاط .... تلفه البراءة والرغبة في ممارسة (اللعب البرىء) الذي حرم منه وسط اقرانه من الاطفال ... مر الحال سنين طويلة و(يوسف) يترعرع وينمو ويشتد عوده داخل جدران السجن ... يمضي وقته في خدمة والده وغيره (من كبار السن) يثابر على حفظ كتاب الله .... كبر الطفل قبل اوانه .. خُط شاربه وتهدج صوته وهو قابع في السجن ولا امل ولا رحمه ولا شفقه .... ويوم ان تم نقله من القاطع الذي ينزل فيه والده (قتل والده في مذبحة بوسليم) كان يوماً عصيباً لا اجد القدرة على التعبير عنه وتصويره ... وإن كان قد اتجه هذا النقل من (مذبحه 1996) ومكث في السجن الى سنة 2002 حيث خرج ضمن المجموعات المفرج عنها ... وعاد الى حياته تزوج وحصل على عمل لدى احد (تجار قطع الغيار) الخيرين ... كان يتردد على مكتبي بين الفينة والاخرى ... صار (يوسف) شاباً يافعاً دمث الاخلاق ... اصيل المحتد .. هادئ الطبع ... وفي صيف (2005) غاب عني (يوسف) طويلا على

غير عادته فهاتفت احد اصدقائه مستفسراً .... حيث جائني النبأ الصاعقه (لقد غرق يوسف في البحر منذ اسابيع) لم استطع السيطرة على دموعي ... فها هو ضحية اخرى للعسف والجنون .. اغتالوا طفولته .. وشاء القدر إلا أن يعصف بآماله وطموحاته .. رحم الله يوسف ...

طرائف سجنية

كتاب مصطفى العالم :

كان اعتقالنا سنة 1973 في اطار ماسمي بالثورة الثقافية التي استهدفت (المثقفين) بمختلف توجهاتهم ومشاربهم .. وقامت السلطات بحرق الكتب التي اعتبرت مناوئة لخط النظام ... وصادرت مالدينا من كتب في مكتباتنا الخاصة .. بل شكلت هذه الكتب دليل الاتهام الوحيد ضدنا...

كنا خارجين للزيارة ظهيرة احد الايام وفي طريقنا الى لقاء الاهل صادف (مصطفى العالم المحامي المعروف في بنغازي) صديقا يعرفه عانقه الرجل واستفسر منه مصطفى عن سبب تواجده بالسجن .. فجاوب بألم وحرقة وتأثر (عندي العيل محبوس) وسأله (مصطفى) بفضول المحامي عن سبب سجنه فقال الرجل بنبره يشوبها شئ من الحياء (لقد وجدوه مع بنت!!) فرد مصطفى مازحاً (احمد الله انهم لم يجدوه مع كتاب وإلا كان مصيره مجهولا كمصيرنا!) ضحكت وضحك الرجل .. وكانت طرفة !.

(يوسف الشوقي).. امام الجامع الشيوعي!! .

يوسف الشوقي (انسان) بسيط يعمل مدرساً للدين في إحدى مدارس البيضاء ويقوم في الوقت ذاته بالخطابة في احد مساجدها .. جاءت به حملة الاعتقالات التي طالت مجموعة كبيرة من الجبل الاخضـــر مـــن المحسوبين على الدكتور(محمد المفتي) بتهمة الانتماء الى حزب شيوعي !! سنة 1973 .. الرجل حامل لكتاب الله ولايفرق بين الشيعة والشيوعية..

مواظب على ان يؤوم المصلين في السجن جماعه في خلال الاوقات الخمسه ... رجع ذات يوم من التحقيق مهموما متوجساً حائراً .. وحينما سألناه السؤال المعتاد اجاب والحيرة تملا محياه (ياجماعة حكومتنا هذه اقوى حكومة في العالم) وعند الاستفسار عن مصدر هذا الاستنتاج اجاب (العرب عارفيني في حزب ونا مانعرفش روحي) عندها ضحكنا وعرفنا ان المحقق كان يؤكد للشيخ (يوسف) مـن ان الحكـومة متأكـده يقيناً مـن انه ينتمي للحـزب وعليه فقط ان يعترف بذلك !!..

حفلة كشك .

في إحدى ليالي الصيف .. وكانت الاجواء قد شهدت انفراجا نسبياً ولم تعد العنابر تقفل علينا بل صار يكتفي بإغلاق باب الساحة الصغيرة التي تتوسط الغرف .. قررت جماعة الجبل الاخضر اقامة حفلة (كشك) وتحادت المناكب في شكل نصف دائرة ، وبدأ الرجال في ضرب الكف على الطريقة البدوية .. وكان اغلبهم ضليعاً في هذا الفن .. ولم تكن تنقصهم سوى (الحجاله) وفي غمرة الاندمـاج والانسجام فتح باب الارية لنفاجأ بمسؤول السجن (ممثل الشرطة العسكرية وكان اسمه (جمعة المصري)) يدخل حافياً وهو يحمل (قرصاً) من السجائر المستورد .. اشار للذين توقفوا بالاستمرار في (الكشك) بل دخل الحلقه مشاركاً .. واعطانا علب السجائر بعد ان بددها في الهواء .. وشطح ومرح .. وداعبنا .. وتمنى لنا الخروج قريباً.. وفي اليوم التالي حرمنا من الخروج للساحة الكبيرة .. وعرفنا ان سبب بهجته الطارئة هو ماكان يفوح منه من روائح تنبئ عن حالة الانتشاء والثمالة ...!

استرطبوني ياعمي جمعة .

في غرفة مجاورة لغرفتنا في القاطع الثالث في سجن ابوسليم .. كان شاب من درنة يسمى (بوتركيه) دائم السؤال عن وضعه وعن تفاصيل التحقيق معه .. وحينما علم انني محامي زادت اسئلته وطلباته مني بالخصوص ... في احد المرات سألني عما تعني كلمة (استرطبوني) لان المحقق ذكر له ان (الزنادقه) استرطبوه .. سألته بماذا أجاب فقال قلت لهم انني (مسترطب

من يومي) ولم تطل حيرتي حيث توقعت انهم قالوا له إن (الزنادقة) قد استقطبوه فاختلط عليه معني الاستقطاب بمعنى الإسترطاب ... وهكذا هي احد عينات ضحايا السجن العشوائي .. واعتقد ان صاحبنا قد قتل في المذبحة ..

توكه بن جريد:

كانت تعليمات الادارة للحرس في (ابوسليم) تشديد وتغليط المعامله .. ورغم ذلك لايخلو الامر من مساحات طيبه في اعماق بعضهم ... مثل بن جريد وكان يرأس احد التوكات (والتوكه هي مجموعة من اربعة او خمس حراس تقوم بالحراسه لمدة 24 ساعة تم تستريح 48 ساعة) كان بن جريد يحرص على ان يتحدث اللغة العربية الفصحى .. بطريقة مضحكة طريفه ... فهو كان يسمى (الاريه)(الفناء) ويقول (من يريد الخروج الى الفناء فليستعد !!) وكان ينطقها بفتح (الفاء) .. كان حين يقرر التأنيب والتوبيخ يقول (هرول يابني آدم!!) وهي صفه غير مألوفه في قاموس الحرس الاخرين المليء بالكلمات البذيئة والنابيه ... في السنة الاولى وكنت في السجن الانفرادي في عشية احد ايام رمضان سنة 1990 ... دخل (بن جريد) القاطع فوجد احد الشباب يلقي درساً في التاريخ الاسلامي ... وكان يتحدث عن (عثمان بن عفان رضي الله عنه) .. يبدو ان (بن جريد) استمع الى الدرس قبل ان يفتح باب القاطع ليحدد الحجرة والشخص .. وبدلا من التنكيل به وضربه وربما جميع من معه في (الشيله) وكانوا اربعه ... قال بن جريد أنا أريد ان اناقشك فيما قلت .. قل لي .. هل قابلت عثمان بن عفان !! هل قال لك الكلام الذي تضلل به الناس .. أما قال ... قال .... فهذه زندقة .. وانتهى الامر عند هذا الحد ....

حمد وأحمد خنفور:

حمد وأحمد شقيقان جئ بهما على طريقة (احنا بتوع الاوتوبيس) كانت سلطات الامن تبحث عن (حمد خنفور) فذهبوا الى شركة الزويتينة وقبضوا على شقيقه (احمد) ثم قبض على (حمد) اودع الاثنان سجن ابوسليم .. حيث مكث احمد لمجرد الاشتباه في اسمه حتى

سنة 2002 .. عندما افرج عنه بعد ان اصيب بمرض السـل .... اما(حمـد) مازال في السجن حتى كتابة هـذه السـطور (اغسطس 2008) ..

بطنَ الآمـر :

ذات صباح شتوي قام الحرس بايقاظنا مبكراً (وكنا محرومين من الساحة) وامرونا بالخروج سريعاً .. وفي الساحة امرنا بالجلوس في صفوف متعاقبة .. ولاحظنا ان قاطني الحجرة (20) واقفين بجانب الجدار الايمن للساحة .. والحرس مدججاً بسلاحه على السطح والارض يحرسنا ... مكثنا على هذه الحاله مايقرب الساعة .. ثم فتح باب الساحة ليدخل (عامر المسلاتي) وهو آمر السجن واحد المشاركين في مذبحة اليهود الشهيرة سنة 1967 بعد حرب يونيو .... دخل فخيم صمتٌ رهيب قطعه بتوجيه الكلام لنا مع الاشارة الى الواقفين وقال (لقد قررنا اعدام هؤلاء لانهم حاولوا الهروب) .. وكان مايسميه بمحاولة الهروب (عبارة عن ضبط الحرس لهم وهو يحاولون حفر مساحة صغيرة في الجدار لمحاولة صنع بعض معاليق للملابس) ... فاعتبرها الآمر محاولة للهرب المستحيل ... وبعد ذلك اتجه بالحديث نحونا .. وهو يقول (تشوفوا في هالبطن) مشيراً الى كرشه المتدلي امامه ... انا صارف عليه .. كل عام اذهب لايطاليا ... وكل يوم (نضرب) في زجاجتي نبيد .. وليس مثلكم (يامقملين) .. ثم بصق علينا وغادر .. ونحن نتبادل نظرات السخرية والتندر والاحتقار لهذا المخلوق المسخ ..

الآذان من جميع الحجرات :

قلت في متن هذه المذكرات ان الشباب المتواجدين كانت بينهم مشاحنات وخلافات ويتسمون بضآلة التحصيل العلمي والفقهي .. يتمسكون بكثير من الشكليات ويصرفون النظر عن الجوهر الذي يمثل حقيقة تعاليم الاسلام ... من ذلك ان الغرف الموجوده بالقاطع الثالث كانت كل حجرة تقيم الآذان لوحدها ولاتعترف بأذان الغرف الاخرى .. حاولت الاعتراض ومناقشتهم وافهامهم ان في مثل هذه المساحة الضيقة المغلقه يكفي آذان واحد ولو بصوت منخفض .. فضلاً عن ان حكم العادة قـد جعـل الاغلـبيه يستيقظون في الفجر

تلقائياً .. لم تسفر محاولاتي سوى عن زيادة رفع الصوت في بعض الغرف ... كنوع من المناكفة (والثبات على المبدأ !!) وكان ذلك يحدث عند صلاة الفجر حيث لاوجود للحرس ... حتى كان فجر احد الايام حيث ضبط الحرس احدهم وهو يرفع صوته عالياً بالأذان .. وكان مجرد زمجره منه وتهديد ووعيد كفيل يجعلهم يقلعون عن هذه البدعة المنكره ..

رساله محبوبه .. وحملات التفتيش :

اثناء احد (توكات) بن جريد .. دخل احد الحراس .. وكنت اعرفه لانه كان يصحبنا الى المحكمة .. وكان قد فوجئ بوجودي في السجن اثناء احد زياراتي للعيادة .. واستغرب من عدم اطلاق سراحي بعد حكم البراءة بعدة سنوات .. وسألني ان كنت اريد أي خدمة . فذكرت له عنوان مكتبي ... وطلبت اخبار عن زوجتي واولادي الذين انقطعت عني اخبارهم ... دخل هذا الرجل الطيب بعد لقائي به باسابيع ليسلمني ظرفاً طلب مني حرقه بعد قراءته .. وكم كانت سعادتي بالغه حين وجدت (رسالة من محبوبه وصور للاولاد) كانت فرحتي لا حدود لها ... وتلقيت التهاني من كثير من الزملاء ... وبقيت اتأمل صور الاطفال الذين يبدو انهم بدأوا يكبرون في غيابي .. واعدت قراءة الكلمات القليلة التي حوتها الرسالة مراراً وتكراراً ببهجة وتفاؤل ... تخترق الواح الاسمنت .. كان الحارس قد امرني بحرقها خوفا من العواقب التي ستطاله فيما لو اكتشف الامر ... خالفت وعدي له .. احتفظت بالرساله والصورة حتى افقنا ذات يوم على حمله تفتيش في الحجرات التي قبلنا في الترتيب .. علمنا ان التفتيش يهدف بالدرجة الاولى الى البحث عن الكتب المتسلله والمهربه على قلتها واي شئ مكتوب .. كان لابد ان امزق الصور والرسالة واخفيها في شق ظاهر في الحمام .. توقف التفتيش عند الغرفة الملاصقة لنا وذهب الحراس عندها رجعت الى الصور والرسالة واعدت بمساعدة (صلاح الكوافي .. ونور الدين الشريف ..) عملية الالصاق واعادة التركيب .. وفي احد المرات اخطأت في عملية التركيب والالصاق .. فحمل جسد ريما رأس غسان والعكس ايضاً فضحكنا على هذا الموقف الظريف رغم المأساة والالم !!...

وظل الحال متكرراً بعد ذلك .. ولم افقد الرسالة والصور نهائياً إلا ليلة الترحيل القسري الرهيب .. فجر يوم المذبحة .. حينما نقلت الى السجن العسكري ..

نتيجة كأس العالم بعد سنة 1990.

اثناء كأس العالم سنة **1990** كنت مع (رضا الكزه) في غرفه واحده كما سبق ان ذكرت .. وكان (رضا) مغرماً بكرة القدم ولم اكن اهتم بالامر كثيراً .. لم نعلم من حاز البطولةواحرز الكأس في الدورة التي اقيمت في ايطاليا .. سبب ذلك قلقاً شديداً لـ(رضا) .. ولم نكن نستطيع سؤال الحرس في ذلك الوقت .. وكان ان خرجت الى المحكمة وبصحبتي احد الحراس الطيبين (هو الذي احضر لي الرساله والصورة) واثناء نقلنا همست له حتى لايسمعني بقية الحراس المصاحبين ، عمن حاز الكأس ؟ .. فذكر لي ان المانيا حازت الكأس .. رجعت الى (رضا) بالخبر الذي فرح به كثيراً حيث إنه كان من مشجعي الفريق الالماني .. كان قد مضى على نهاية الدورة مايقارب العام ...

نمل السكر.

كان الدكتور (ابوزيد عمر) طبيباً باطنياً اعتقل بسبب وشاية حاقدة من زميل له في المستشفى .. كان طيب المعشر صاحب نكتة وبديهية سريعة ... ابتكر طريقة لا أعتقد ان احدا سبقه اليها في تاريخ الطب من (أبي قراط) حتى الآن هذه الطريقة استعملها (الدكتور بوزيد) في كشف حالات الاصابة بمرض السكري ... والذي كانت ظروف السجن مناخا خصباً للاصابة به ... تتمثل هذه الطريقة في ان يطلب ممن (قرر اجراء الكشف)!!.. ان يضع قليلا من بوله في إناء مسطح وبعد فترة من المراقبة تتجمع كميات من النمل حول إناء البول .... الامر الذي يؤشر الى اصابة صاحبه .. واذا حدث العكس ففرحة صاحب العينة تجعله يهمل دفع فاتورة الكشف للدكتور (ابوزيد)!! ... ذهب الدكتور (ابوزيد) وطريقته المبتكرة ضحية المذبحة الدامية في (ابوسليم) رحمه الله رحمة واسعة ....

الطيب عريقيب (الداء والدواء).

اعتقل وهو على مشارف السبعينات ..ينتمي الى منطقة طبرق .. مأأتى به الى السجن وفائه

لصديقه (خليفة حفتر) الذي كان ملازما له اثناء وجوده قائدا للمنطقة العسكرية في طبرق .. قبل ان يلجئه الأسر التشادي الى الانشقاق والانضمام مع بعض الأسرى الى (جبهة الانقاذ) التي سمعت انه انشق عنها ايضا سنة 2007 .. استدعاه (فرج بوغاليه) وكلفه بالذهاب لـ(خليفة حفتر) للتفاوض .. ذهب ولم يفلح في مهمته .. وان حمّله (خليفة حفتر) بعض الرسائل التي قادته الى السجن .... كان الطيب شخصية مرحه طريفه .. وكانت مغامراته وذكرياته وطريقته في سردها واحة ممتعة وسط (تصحر) السجن .. ربطتني به علاقة ودّ حممية حتى اليوم (خرج من السجن سنة 2002) لم يكن يكدر صفو هذه العلاقة سوى اصرار (الطيب) على طلب الادوية من الحرس بشكل مبالغ فيه .. وكنت اعترض على ذلك ناصحا ومنبها للمخاطر الصحية .. وكان يبدي تفهماً ظاهرياً لكنه يقتنص الفرص لطلب المزيد خاصة (اعصاب المعدة)... وكان (الطيب) أكولاً نهماً لايترك اخضر ولا يابس إلا التهمه خاصة وان مايرسل اليه من اهله كان خيرا وفيرا ...

وفي لحظة غضب من اصراره على التهام الادوية التي يصرفها الطبيب (البنغلاديشي) بوصفة واحدة للجميع .. صرخت في وجهه (معدتك لاتحتاج الى (عقاقير للاعصاب) ولكنها بحاجة الى عقاقير (لسد النفس) ....